

کتابی

لعبة
الحب
والموت

حامی مراد

وکتب أخرى

۸ کتب
۸ فروش

عنزى القارىء ..

بهذا العدد تختتم السنة الاولى من حياة «كتابى» .. واذا كان لى أن اوجه اليك كلمة لهذه المناسبة ، فاحسبك تعرف انها لا يمكن أن تكون غير كلمة شكر صادر من اعماق القلب .. فانت الذى احتضنت كتابى منذ اللحظة الاولى ، وتمهدته برعايتك ، واعتبرته كتابك المفضل الفريد فى فكرته ، والوحيد من نوعه .. وانت - بعد الله - صاحب الفضل الاكبر فى هذه الكاتبة الممتازة التى بلغها كتابى فى عام واحد ! .. والعام فى عمر المجلة الشهرية لا يزيد فى نظرك عن اثنى عشر يوما ، هى ايام صدور اعدادها الاثنى عشر .. اما بالنسبة لى فقد كان العام ٣٦٥ يوما كاملة ، مضروبة فى عشرات الساعات التى قضيتها من كل يوم مكتبا على اعداد مواد كتابى ، والاشراف بنفسى على كل صغيرة فيه وكبيرة .. !

فلما كان لى أن ارفع اليوم رأسى من هذا الانكباب الطويل ، فلكى اعترف بالجميل لاهله ، واقر لك بصنيعك العظيم .. ثم لاعاهدك على أن يكون هدف كتابى فى عامه الجديد أن يقرر لك - وبواسطتك - فى كل عدد قفزة جديدة .. وان يحقق لك من آمانيك كل عسر صعب النال !
وبهذا العزم المتسلط وهذه الفكرة الملحة اعترزم أن أقدم لك بالبن الله فى مستهل العام الثانى من كتابى - فى أول مارس القادم - عددا فائرا ممتازا ، أرجو أن يكون فاتحة اعداد ممتازة متوالية .. ولا أريد أن اسرف لك اليوم فى الوعود ، فسوف ترى وتلمس ذلك بنفسك .. !

هذا الورق ..

♦ ولما كنت اعتبرك قد صرت فى الواقع «صاحب» كتابى أكثر منى ، بحيث يحق لك أن تطالبنى بتسميته «كتابك» .. فانى لا أريد أن يطرا على الكتاب أى جديد بغير أن تعرف سببه وداعيه .. ولعلك قد لاحظت بمجرد تقليب صفحات هذا العدد أن ورقه يختلف عن ورق الاعداد السابقة جميعا ، بحيث قد تسوء بى الظن فتحسبنى عمدت الى تغييره ابتغاء نفع أو فائدة مادية .. فى حين أنه كلفنى ثمنا غاليا يوازى ثمن ورق الاعداد الماضية بل ويجاوزها بقليل ، فهو من النوع المسمى (Mittle-fine) - وان يكن لا يعجبنى مع ذلك ، شخصيا ، وانما اضطرت الى استعماله هذه المرة اضطرارا بسبب

نفاذ كميات الورق الآخر قبل اوانها ، نتيجة لزيادة المطبوع من المديدين السابقين ، ولاعادة طبع العدد الاول طبعة «ثانية» ثم «ثالثة» ، في منتصف ديسمبر ثم منتصف يناير المنصرم على التماقب .. وهكذا حان موعد طبع هذا العدد ، والورق الجديد الذى طلبته من الخارج خصيصا لكتابى لم يصل بعد .. فلم يكن بد من الرضا بهذا الصنف مؤقتا .

العدد الثانى .. نقد أيضا !

♦ وعلى ذكر العدد الاول واعادة طبعه ، فقد نفتت اخيرا نسخ العدد الثانى أيضا «قلب عذراء» ، ولا أتوقع أن أتمكن من اعادة طبعه مرة ثانية - على الاقل في المستقبل القريب - الا اذا ايقنت ، من طلبات الجملة التى تصلنى من متعهدى التوزيع ، ان المطلوب منه قد بلغ الحد الذى يحتمل نفقات اعادة الجمع والطبع .. الخ لذلك أجدنى مضطرا الى الاعتذار لحضرات الذين ارسلوا في طلبه منذ نفاذه ، والى سواهم ممن قد يفكرون في طلبه بعد الآن ، مكررا أسفى لعجزى عن تلبية طلباتهم ..

وختاماً ، تقبل منى ايها القارئ العزيز في نهاية المجلد الاول من «كتابك» ، اطيب التحية واجمل التمنيات .. والى اللقاء على صفحات كتابى القادم - الممتاز - باذن الله

هامى مراد

كتابى .. القادم

اول أعداد كتابى الممتازة .. وكفى !

ممتاز فى مادته .. ممتاز فى مظهره

احجز نسختك من الآن



♦ تسألونني يا حضرات المستشارين عما اذا كنت قد قتلت المجنى عليها ؟ وعن الدوافع التي حدثت بي الى ارتكاب جريمتي الشنعاء ؟

« أما السؤال الاول فجوابي عليه : نعم .. أنا القاتل !
 « .. وأما دوافع جريمتي فلها قصة ، لو اتسعت صدوركم لسماعها فسوف تسألونني ، وتتساءلون معي : كيف لم أقتلها من قبل ؟؟

« ولكن ، دعوني أعرفكم أولا بنفسى ..
 « اسمى الكامل (عصمت خليل عبد الغفار) ، رئيس فلم (٠٠) بوزارة الاوقاف . ولدت في مركز « طوخ » في ٧ فبراير سنة ١٩٠٦ من أسرة متوسطة الحال ، قوامها أبى « الشيخ خليل » - الذى كان يملك أكبر متجر للخردوات فى البلدة ثم أفلس تجارته ومات وأنا بعهد فى بداية عامى الثالث ! - وأمى ، التى عاشت قبل ولادتى فى حداد شبه متصل على أولادها الذكور الذين كانوا يولدون ثم يموتون على التعاقب فى طفولتهم الباكرة فى ظروف أليمة متنوعة الاسباب ! .. وأخيرا اخواتى الاناث الثلاث اللواتى كن وحدهن بمنجاة دائما من كل سوء !

« وقد نشأت وأنا أسمع من أمى همسا انها وأبى قد انفقا عقب مولدى على اخفاء حقيقة جنسى ردحا من الزمن ، وعلى الزعم فى البداية اننى « انثى » ، اتقاء لشر الحسد أو « العين » .. التى كانت فى نظرهما المسؤولة عن انقراض كل نسلهما من الذكور أولا بأول ! .. وقد اختارا لى اسم (عصمت) المتشبه كى يتمشى مع هذا الزعم ، والبسانى ثياب الانثى عامين كاملين ، امعانا فى التعمية وحسن السبك .. حتى

زالت حدائث المناسبة التي أوجت اليهما بهذا التصرف الشاذ، فتركا حقيقتي تظهر للعيان بالتدريج وكلما دعت الظروف ، ولم يبقا من تعاويذ الماضي غير حجاب صغير مربوط تحت ابطنى على الدوام ! .. ثم لم تمض شهور حتى ارتبكت حالة أبى المالبلة وأشهر افلاسه، فأصابته النكبة بصدمة قلبية قضت عليه فى خلال ساعات ! ..

« وهكذا صرت « رجل » الاسرة وأنا ما أزال .. طفلا »
 « **قصصت عليكم كل ذلك - يا حضرات المستشارين -**
 لارسم لكم صورة مصغرة لطفولتى الحزينة وصباى القاتم ،
 وللبيئة الممرورة التى دمغت سنوات يفاعنى بطابعها الكئيب ،
 فتسببت سوداوى المزاج ، مشبعا بروح التشاؤم والتطير ،
 شديد الانطواء على نفسى والعزوف عن الناس ، أكره المجتمعات
 وأمقت الظهور والمباهاة ! .. وفى ظل هذه الظروف التعسفة
 والتربية الخاطئة الغرقاء كبرت وترعرعت ، فظل هذا الطابع
 يغلب على نفسيتى طيلة السنوات القاتمة التى قضيناها فى كفاح
 دائم من أجل العيش ..

« .. حتى نلت البكالوريا ، بشق النفس ، ثم حصلت على
 وطبقة لا بأس بها بديوان الاوقاف .. واذ ذاك بدأت أحوالى
 تتحسن بالتدريج .. وحين بلغت الخامسة والثلاثين كنت قد
 وصلت باجتهادى الى مركز أدبى ومادى يؤهلنى للزواج ،
 فخطبت ابنة واحد من رؤسائى كان معجبا بعملى وشخصيتى
 « الوقورة المتزنة » ، وتم زفافنا بعد حين ..

« وعندما جادت على الاقدار بطفل قبل انقضاء العام ، أيقنت
 ان السعادة قد دانت لى بعد طول شقاء .. ولم يخيب الله ظنى
 فتذوقت فى الاعوام التالية من هناء العيش ما لم أكن أتمنى
 لنفسى بعضه من قبل ..



♦ ومضت ست سنوات ، كبر خلالها ابني « وحيد » ، واقتضت ظروف تعليمه أن ننتقل من مسكننا الاول الى مسكن آخر قريب من المدرسة الابتدائية التي ألحقناه بها في حي العباسية ٠٠ فلم نكد نحل به حتى تعرفنا الى جارتنا الجديدة التي تقطن الشقة المواجهة لنا ٠٠ وكانت « مفيدة هانم » أرملة فوق الاربعين ، لا زوج لها ولا ولد ، بدينة الجسم ، قبيحة الخلقة - باستثناء عينيها الواسعتين الكحلأوين ، الشبيهتين بعيني منوم مغناطيسي ! - ولكنها كانت جدابة الحديث ، تتقن فن الثرثرة وسرد أخبار الناس والمجتمعات ٠٠ حتى لقد أطلقنا عليها لقب « الجاسوسة غير الحسنة ! »

« وكان السبب في تعارفنا حادث كافه لم أعره عند وقوعه دلالة خاصة : كنا قد سعدنا الى مسكننا الجديد في الطابق الثاني لاستلام الاثاث من الحمالين وارشادهم الى مكان وضع كل قطعة منه ٠٠ وفيما نحن أمام الباب المفتوح على مصراعيه ، فتح باب الشقة المواجهة وبرزت على عتبة امرأة لم تكد ترانا حتى تظاهرت بالاغفال ، وكأنها فوجئت برؤيتنا ، كى تخفى فضولها الى « التفرج » على السكان الجدد ! ثم تداركت الموقف بأن حيتنا وأزجت الينا التهنئة المألوفة في هذه المناسبة ٠٠ « فى تلك اللحظات كان الحمالون يدخلون من الباب مرآة « كونسول » غرفة الاستقبال ، وكانت تحفة رائعة من تحف فن الاثاث موضوعة داخل اطار مذهب دقيق الصنع ٠٠ فلم تكد تراها الجارة وهى تهتم بالتراجع الى شقتها حتى تريثت عند الباب برهة تتأملها ، وفى عينيها نظرة الاعجاب الصامتة ! « وشغلنى زهوى باعجابها عن مراقبة الحمالين ، ففعلت عنهم لحظة ٠٠ لكنها كانت كافية لوقوع « الحادث » ! فقد



تنبعت فجأة على صوت المرأة
الثمينة تصطدم بمقبض الباب
النحاسي .. فتتشم !

« دابر رأسي ، ونظرت الى
المرأة بحسرة .. فتراءى لي
فيها شبح (مفيدة هانم) ،
التي تفضلت فشـاركـتنا
« مصابنا » بهمة مشكورة
وخماسة بالغة ، مبدية أسفها
لما حدث في أحر لهجة .. ثم
أوصتنا أن نحمد الله على أن
« الشر قد انكسر ! »



« ♦ وكان ذلك الحادث بداية التعارف بيننا .. وفي
الاشهر التالية توثقت الصلة بين زوجتي ومفيدة هانم . ولم
أر أنا بأسا في هذه الصلة في البداية ، فقد كانت فيها تسلية
لزوجتي في فترة غيابي في المقهى وانشغال وحيد بدروسه ..
واعتدت أن أراها تتسارران ، حين يصادف أن أعود مبكرا ،
فلم أكن أعلق على ذلك أهمية ما .. بل كنت على العكس أمني
نفسى في كل مرة بقصة شائقة من قصص الزواج والطلاق ،
أو فضيحة كبرى من فضائح المجتمع تروىها لي زوجتي في أقرب
مناسبة ، نقلا عن جارتنا الثريثة ! .. وبمرور الايام بدأت
أجد لذة في سماع قصص مفيدة هانم ، وخاصة حين كان
ينغص صفو بيتنا حادث مكدر ، فقد كانت لطرافتها ترفه عنا
بعض ما يصيبنا من نكد ومتاعب !

« لكن حاجتي الى قصص وفضائح مفيدة هانم أخذت تزداد
يوما بعد يوم ، بازدياد المنغصات التي أخذت تتواتر علينا

تقريبا بلا انقطاع .. حتى لم تعد تغلو الحال من مريض في البيت أو اشكال خطير في العمل ، أو خلاف زوجي حاد ، أو خسارة مالية أو سرقة كبيرة .. الخ .. وفي كل مرة كنا نستمع الى نصيحة مفيدة هانم فنصدق أن «صحتنا بالدنيا» وأن « الشر قد انكسر »

« لكن الشرور استمرأت فيما يبدو أن تنكسر عندنا ، المرة بعد المرة ، فتتابعت وتنوعت .. صار ينكسر لنسا كل أيام شر جديد ، أو يصيبنا مكروه جديد ! .. وكان ضحيتها غالبا أحدنا أو كلانا .. وهدفها دائما أعصابنا !

♦ وهر العام .. ونخرج وحيد في الامتحان بتفوق ، فأقمنا في منزلنا حفلة كبرى ابتهاجا بنجاحه .. وانقضت الليلة في صخب ومرح وموسيقى وطرب ، حتى مطلع الفجر .. ثم آوينا بعد ذلك كل الى فراشه فمنا حتى ساعة الظهر ، ولم نستيقظ الا على دقات جرس الباب .. واذا رجال الشرطة قد أحاطوا بالبيت ، وضباط البوليس السياسى قد أقبلوا يفتشون مسكننا بحثا عن نشرة حزبية فيها مهاجمة للحكومة القائمة وقتذاك ! .. ورغم انهم لم يجدوا من النشرة الا نسختين كانتا قد وصلتاى بطريق البريد ، فانهم أصروا على اقتيادى معهم الى حيث ألقبت فى أحد المعتقلات ! ..

« وفيما أنا أهبط السلم فى حراسنهم لمحت فى عيني مفيدة هانم وهى على عتبة بابها نظرتها المواسية المألوفة التى تقول « تشجع .. صحتك بالدنيا ! » .. فتملكنى حنق شديد ، ودار بخاطرى سؤال حائر : « الى متى سأظل ألتقى من هذه المرأة نظرات الرئاء وكلمات العزاء ؟ » .. ان المواساة المتكررة فى ظروف اليمة تصبغ أحيانا فى نظر المصاب الحائق مدعاة للتفاؤم من مواسينه ، ومثارا لحفيظته عليه !

« وفيما أنا أضع قدمي في سيارة « البوكسفورد » ، تذكرت
 سهرة البارحة .. وأفراحنا التي انقلبت أتراحا .. فومض في
 ذهني خاطر مفاجيء : « ان شوؤما عجيبا قد لازمنا منذ وضعنا
 أقدامنا في هذا البيت ! .. ما من مرة فرحنا فيها أو ظفرنا أو
 اعتزنا بشيء ، الا وأصبنا في صميمنا فحرمنا منه أو فجعنا
 فيه ! .. ترى ما السر ؟ » .. ومضت سيارة البوليس تنهب بنا
 الطريق ، والأفكار والهواجس المشوشة تنهب رأسي تباعا :
 « انقراض اخوتي الذكور .. طفولتي .. ثياب الانثى .. اسم
 عصمت .. الحجاب تحت ابطي .. افلاس أبى ووفاته بعد
 انكشاف ذكورتى ! .. ألم تكن أمي تقول ان « عين الحسود »
 هي المسؤولة عن كل ما أصابها ؟ .. لم لا يكون الامر صحيحا
 معي أنا أيضا ؟ .. لم لا يكون الداء في الأسرة ؟ كلا ، انها ليست
 خرافة ينبغي أن أخجل منها .. ان الأديان ذاتها قد نصت
 عليها ! »

« وجعل صوت المطارق يدق وعيي بشدة : « العين ..
 العين ! .. العين ! » .. ولكن عين من ؟ .. تمثلت لى عيون
 حشد من الأصدقاء والأقارب والزملاء .. عيون سوداء ، وعسلية ،
 وغبراء ، وزرقاء .. لكنها مرت جميعا كما في شريط سينمائي
 دون أن تثبت أى منها في خيالي .. وبغثة ، تراءت لى عينان ..
 واسعتان كحلاوان .. أشبه بعيني المنوم المغناطيسى .. آه ،
 وجدتها ! انها ليست غير .. مفيدة هانم ! »

« ووجدت في ذلك مفتاح اللغز العصى .. وكما تتدفق المياه
 مندفعة من قمة شلال تدفقت في ذاكرتى أحداث العام الاخير
 وتداعت مناسباتها .. فجعلت « أولف » عليها مفتاحي الجديد ،
 وإذا أقفاله جميعا تلين له ، فينفتح أمامي أفق الحقيقة الرهيبة
 التي كنت أشفق من الاعتراف بها منذ حادث كسر المرأة .. وإذا

أنا أتبين فاسما مشتركا بين جميع الحوادث التي أصابتنا ، كان بسبق البلية في كل مرة ، هو عينا مفيدة هانم !! ما من مرة وقعت عيناها على شيء نمين أو شهدت عندنا حفلا بهيجا أو .. الا وأصابنا عقب ذلك مكروه ، أو انكسر شر جديد !! رباه ، أما لهذه اللعنة من آخر ؟؟



« ♦ وبقيت في المعتقل سبعة أشهر ، قاسيت فيها من الآلام النفسية الفظيعة ما أترك لكم أن تتصوروه .. وحين أفرج عني آخر الامر ، وجاءت مفيدة هانم تهنئنا ، كدت أفقد زمام أعصابي فأطردها من البيت وأشيعها باللعنات .. لكنني تماسكت ، واكتفيت بأن طلبت من زوجتي بمجرد خروجها أن تقطع صلتها بجارتها ، بالطريقة التي تراها !! وحين سألتني عن السبب خجلت من أن أصارحها بهواجسي - سيما واني كنت أعلم أنها لا تؤمن بالحسد ! - فاخترعت لها قصة وهمية تبرر طلبتي الشاذ العجيب ..

« ونفذت زوجني رغبتى بالتدريج ، وبصورة ودية .. فصارت تتراخى في رد زيارات جارتها ، وتكثر من الخروج في أوقات الزيارة الى ناد قريب اشتركت فيه خصيصا لهذا الغرض .. حتى فترت علاقتها بمفيدة هانم فتورا ملحوظا .. ولكن حتى هذه النتيجة لم تكف لتقطع دابر هواجسي !! صار يكفي أن تقع عينا اللعينة على ، في خروجي أو دخولي ، أو على السلم ، أو في الشرفة ، حتى يستيقظ وسواسي ويتملكني تشاؤم مرعب ، فأتوجس خيفة من العواقب وأتوقع مكروها .. فأظل أرقب ما يأتي به الغد ، بقلب واجف !

« واستحالت حياتي جحيما .. فقدت كل ذخيرتي من سلام النفس وسكينة خاطر ، والاطمئنان الى المستقبل !! حتى

انتهى الامر بى الى التفكير فى مخرج سريع من هذه الحال : هو الانتقال من مسكنى الى بيت آخر ، أبعد ما يكون عن « المجال الحيوى » لىمنى مفيدة هانم ! لكن أزمة المساكن وفداحة الايجارات الجديدة قضت على الفكرة فى مهدها ، وقضت على بالخضوع أقدرى المحتوم الى النهاية ..

« وتوالت علينا المتاعب والاكدار ، فى فترات متقاربة لم تكن تسمح لروعى أن يفرخ ، ولاطمئناني وتقاولى أن يعاوداني ! .. وتوالت لدى أدلة الاتهام ، وكلها تشير بأصبعها الى فاعل واحد: مفيدة هانم ! .. وقبل أن يطمئن مرور الايام من أوهامى وقع حادث جديد : كنا خارجين لحضور حفلة ساهرة تقيمها احدى جمعيات « البر » ، وكانت زوجتى قد ارتدت ثوبا جديدا رائعا من ثياب السهرة .. فلم نكد نهبط الى منتصف السلم حتى صادفنا مفيدة هانم صاعدة ! وحلا للعيننة أن تبدى اعجابها الزائد بنوب زوجتى الجديد ، وتطرى شبايها الفاتن .. وكانت عباراتها كاذبة كى تبذل أفكارى وتنغصنى طيلة السهرة ! .. وحين علينا أحسست زوجتى ببرد ، فدخلت المطبخ لتعد لنفسها شرابا ساخدا .. وما هى الا لحظات حتى انفجر فى وجهها موقد البترول وشبت النار فى ثوبها ، فأصيبت بحروق ظلت تعالج منها ومن آذلها أشهرا طوالا !

« ومرة أخرى دخلت علينا مفيدة هانم لزيارتنا بدون سابق اخطار ، وكنا قد دعونا بعض الاصدقاء لتناول الشاى ، فارتبكت وانسحبت .. لكنها لم تنس أن تلقى على مائدة الشاى قبل أن تخرج نظرة سريعة ، بدافع من الفضول ، فلم تمض ساعتان حتى ظهرت على ثلاثة منا أعراض التسمم من فطيرة فاسسدة أكلناها !

« وذات يوم كنا فى زيارة احدى أسر الجيران ، فقالت لنا

ربة البيت عرضا انها سمعت مفيدة هانم تمتدح زوجتي وتشيد بمبلغ تفانيها في حبى الى درجة أستحق أن أغبط عليها!! فلم أكد أسمع هذه الرواية حتى اعترانى انقباض مفاجئ، وكأبة شديدة، كالتي تصيب الشخص حين يتنبأ له منجم بارع بكارثة توشك أن تدمه!! وهكذا قضيت أسابيع نهبا لشتى ألوان المخاوف والوساوس، أتوقع فى كل لحظة أن يصيبني أو يصيب زوجتي مكره يفرق بيننا، ويحرمنى من حبها الذى تحسدنى عليه الارملة اللعينة!



« ووقعت الكارثة فعلا ، بلا مقدمات !! عدت ذات ليلة فجأة من مهمة مصلحة فى بلدة قريبة ، قبل الموعد الذى حددته لعودتى ، فوجدت زوجتى بين ذراعى رجل غريب ، من أعضاء النادي الذى تتردد عليه !

• ولكم أن تقدروا يا حضرات المستشارين عنف الصدمة التى أصابتنى ، فسحقتنى سحقا !! فكلكم زوج وكلكم يستطيع أن يتصور فظاعة الطعنة التى تمزق قلب الزوج المخدوع حين يكتشف فجأة أن زوجته التى أظلمها سقفه، ووجدانه، سنوات .. قد استباححت أن تلغ فى شرفه بلا رحمة ولا وازع من ضمير !



♦ يا حضرات المستشارين ..

• الملح على وجوهكم تساؤلا حائرا يريد أن يفصح عن نفسه :
• ما دمت أهلا لارتكاب جريمة القتل ، فكيف ولماذا لم ارتكبتها

ساعتئذ ؟ وأى دوافع للقتل أقوى وأعنف من هذا الدافع الذى واتانى به القدر ؟ »

« وجوابا على هذا التساؤل المنطقى المفهوم أبادر فأقول : انى لم ارتكب جريمة القتل يومئذ من أجل مستقبل ابنى « وحيد » . ومن أجله وحده ارتكبت الجريمة ذاتها فيما بعد !

« كان قد انقضى على الحوادث السالفة التى انتهت بتطليقى لزوجتى الفادرة قرابة عامين ، قوى فيهما « ايمانى » بمفعول عين مفيدة هانم، بعد التجارب الرهيبة التى مرت بى، والتجارب الاخرى الجديدة التى لن يتسع وقتكم لسماعها لو ذكرتها بالتفصيل ! . . . عامين قضيتهما مع وحيدى فى خوف متصل ورعب قاتل ، بل فزع مروع - أشبه بفزع القيامة ! - وذقت خلالهما من اضطراب الاعصاب وهواجس الاوهام ما لا قبل لاقوى جبار باحتماله . . . كنت طيلتتهما أحنو على صغيرى اذا غدا . وأحنو عليه اذا راح ، كما يحنو النسر على فرخه من عدوان الزمان ، فى انتظار اللحظة التى ينطلق به فيها من موطن الخطر الى جو الامان ! . . . وكان حبى اياه وخوفى عليه قد أمدانى بعقلية وحشية ، سخرتها لبذل أقصى ما فى طاقة البشر لحمايته من خدش النسيم ! . . . دون أن أتوانى أثناء ذلك يوما واحدا عن البحث بكل وسيلة وحيلة عن مسكن آخر ، بايجسار تتحملة ميزانيتى . كنى أنتقل بالصبى اليه !

« وتحققت أمنيتى أخيرا ، فوجدت المسكن المنشود . . . ووقعت عقد الايجار . . . ثم طرت الى صغيرى والفرحة تنشرنى وقطونى، وهناك وجدت فرحة أخرى تنتظرنى فى صحف المساء : لقد نجح وحيدى فى امتحان الشهادة الابتدائية ، بل وظفر بالاولوية بين زملائه ، فدعته المدرسة الى حفلة تكريم تقام لهذه المناسبة فى عصر ذلك اليوم !

« لو رأيتُموني يا حضرات المستشارين وأنا ألبس الصبي يومئذ حلته الجديدة الانيقة بنفسى - وقد صرت أباه وأمه ! - ثم وأنا أطبع على جبينه قبلة الاعجاب ، وأخرج به والزهو يملأ أعطافي الى حيث ينتظره التكريم .. لقد رتم مبلغ الانزعاج الجنونى الذى أصابنى لحظتئذ حين فتحت باب مسكنى لأخرج ، وفى يدى الصغير ، فاذا أنا أرى بومة الشؤم « مفيدة هانم » واقفة على عتبة بابها ! - وأقسم لكم لو ان الشيطان بعينه تجسد لى لما انفلح له قلبى كما انفلح فى تلك اللحظة !!
 « .. ولو رأيتُموني وأنا أتبه فخرا بابنى « المحتفى به » ، أمام مئات الآباء والامهات والتلاميذ الذين حضروا الحفلة فى ذلك المساء .. لتفطرت قلوبكم لفجيعتى وأنا ألتقط الصبى من عرض الطريق فى اليوم التالى وقد دهشته سيارة جامعة !



« ♦ وأحسبكم تستنتجون ما حدث بعد ذلك يا حضرات المستشارين : مات وحيدى ! لفظ أمامى نفسه الاخير وأنا جالس على حافة فراشه مسلوب الرشاد ، أود لو أفتديه بكل رصيدي الباقي لى فى ذمة الدنيا من عمر ومال .. أو أنتزع نجاته من برائن القدر الغشوم ولو اقتضانى الصراع معه أن يعتصر دمي قطرة قطرة ، ويمتص من جسدى ماء الحياة نقطة نقطة ، حتى أسقط - بعد انتصارى - جثة هامة تحت قدميه !
 « لكن أمانى ومساوماتى لم تبلغ مسامع القدر فيما يبدو ، فنفذ فى وحيدى قضاء الله الذى لا راد له !
 « وجاءت مفيدة هانم لتعزىنى ، كالعادة .. ! والانسان اذا فقد فى كهولته زوجته ، وشرفه ، ثم ابنه الوحيد .. خليق أن يفقد معها أعصابه ، فيرتكب أى فعل .. لاسيما اذا رأى نفسه فى لحظة الصدمة وجها لوجه أمام المخلوق الذى يعتبره المسؤول عن كل ما حدث !

« وقد كان .. لم أكد أرى الارملة المنكودة تدخل على ، حتى اختلطت في ذهني ألف فكرة وفكرة ، وتتابع في مخيلتي ألف منظر ومنظر .. فاختطفني من جوار جثة الصبي مبضع الجراح الذي كان يحاول انقاذه به وهجمت على اللعينة كالوحش الكاسر .. لم أكن أنوى أن أقتلها فأريحتها من انتقامي في سهولة ويسر ، وانما أردت أن أفقأ عينيها الشريرتين اللتين سلطتهما على كل ما كنت أعتر به ، وكانت هي محرومة منه ، فأفقدتني إياه !

« نعم ، أردت فقط أن أفقأ عينيها الأثمتين ، كي تقضى بقية حياتها في ظلام دائم أشد حلكة من ظلام القبور .. لكنها قاومت ، فجن جنوني ، وانهلت عليها بالسلاح الحاد أفتت به جسمها كيفما اتفق .. حتى خلصوها مني « جثة » فاقدة الحياة !

♦ يا حضرات المستشارين ..

« هذه قصتي ، سردها عليكم بدقة وأمانة أشهد عليهما الله .. لا طمعا في تبرئة نفسي ، وانما لتكون عبرة للناس ، فمن أمسى في مثل حالي لا يعقل أن يتشبث لحظة بالحياة ! .. بل لئن كان لي مطعم في رحمة الله ورحمتكم فهو أن تعجلوا بانتشالي من جحيم هذه الارض ، لعلى أجد رحمة وراحة في جحيم السماء !

♦ يا حضرات المستشارين ..

« تريدون رقبتي ؟ .. خذوها .. فما عادت بالشئ الذي أحرص عليه ! »



♦ وفرغ الرجل من « دفاعه » ، فأجال بصره فينا برهة وقد سبغ وجهه في دمه .. ثم نكس رأسه ، وأطلق زفرة ارتياح ، كمن أسلم مصيره لقضاء الله والناس ! ..

وبعد لحظة اقترب منه رجل في ثياب « التمريض » ، فربت على كتفه مواسيا في رفق ، ثم قال له في صوت لا يخلو من

حنان : « تعال بنا جوه يا عصمت افندى .. الهوا بقى ساقع
وبعدين تاخذ برد ! »

فالتفت أنا الى مرافقى الدكتور (٠٠٠) - طبيب أول مستشفى
الامراض العقلية - أسأله حائرا : « وما نصيب هذه القصة من
الواقع والخيال ؟ »

فأجابنى على الفور : « كلها صحيحة بحذافيرها ، ما عدا
النهاية .. فعلى أثر وفاة وحيدة أصيب الرجل بلوثة في عقله
حيأت له انه قد نفذ بالفعل أمنية عقله الباطن فقتل جارتة
الارملة ! .. وحين دخل عليه خادمه فى غرفة ابنه ، وجده جائما
فوق وسادة سريره يمزقها بطعنات نصله الحاد وهو يزأر
متشفيا ويصيح صيحات هستيرية !

ومنذ اقتيد الى هنا وهو يقف كل صباح وراء هذا السور
- الذى يخاله سور قفص الاتهام - فيلقى دفاعه هذا ، مخاطبا
قضاته الوهميين ! ..

فهمست لنفسي ودمعة الاشفاق تظفر من عيني : « ليت قضاء
الله يدركه ، فيرحمه ! »





.. اما هذه فكوميديا طريفة أبدع كاتبها في السخرية من اساليب «مجلس الامن» في معالجة المشكلات التي تعرض عليه ، بالمثل ، والتسويق ، والتهرب من حسم الامور ، ودفن مطالب الدول (فقر الصديقه) في الف كفن وكفن من المناقشات البيزنطية والمناورات الدبلوماسية المأكرة !.. ولعل الطف ما في القصة براعة الكاتب في تقليد اساليب كل دولة من الدول الكبرى في معاملاتها مع خصومها وحلفائها ، وعلى الاخص اساليب الدبلوماسية البريطانية التقليدية الصيقة ، المشبعة بروح التحفظ والمداهنة وتخدير الاعصاب ! ومن الناحية الاخرى فقد صور الكاتب الصراع الخفى «والحرب الباردة» الناشبة بين دول الكتلتين الغربية والشرقية ، بقلم يقطر سخرية وتهكما لأذنين ، حتى لتشبه بعض مواقف هذا الصراع مناوشات القط والغار !

فتعال معي نزور هذا «السيرك» الدولي ، لنشاهد نموذجا طريفا من امثلة الصراع البارد بين القط الامريكى ، والدب الروسى ، والشعلب البريطانى !

المكان : قاعة اجتماع مجلس الامن الدولي ..

الزمان : فبراير سنة ١٩٥٦ ..

الأشخاص : ممثلو كل من دول : الاتحاد السوفييتى ، والولايات المتحدة ، وبريطانيا ، وبولندا ، وهولندا ، واستراليا ..

♦ الرئيس : افتتح الجلسة (٥٩٩) من اجتماعات مجلس الامن ..

♦ مندوب الاتحاد السوفييتى : (يعطس فجأة فرفع اصبعه طالبا الاذن بالكلام ، فيلمحه الرئيس ويأذن له) : أريد الكلام في مسألة ذات صبغة شخصية يا جناب الرئيس

♦ الرئيس : هل للمندوب أن يشرح وجهة نظره ؟
♦ المندوب السوفييتي : أود أن أرجو الرئيس أن يتفضل باصدار امره الى الحاجب كي يفلق النافذة التي في أعلى المدخل الشرقي لقاعة الاجتماع .. فاني احس بتيار هواء بارد في ظهري !
♦ الرئيس : اذا لم يكن هناك اعتراض من احد فان مطلب المندوب السوفييتي يجاب فوراً .. فهل عند أحد مانع ؟
♦ مندوب الولايات المتحدة : الواقع انه لم يتح لحكومتي الوقت الكافي لدراسة هذا الطلب المفاجيء من المندوب السوفييتي بما يستحق من عناية .. ومن ثم يؤسفني ان اقول انني لا استطيع الموافقة عليه في الوقت الحاضر .. وان يكن من الطبيعي أن حكومتي ترغب رغبة صادقة في اعطاء هذه المسألة نصيباً من اهتمامها وعطفها ، وتكييف وجهة نظرها - اذا أمكن - وفق آراء المندوب السوفييتي . ولكن من سوء الحظ أن هذا المطلب بالذات يمس اخطر مشكلات الاجراءات والمبادئ التي يلتزمها هذا المجلس . فمثلاً لا يستطيع المجلس ان يتجاهل الحقيقة التي مؤداها أن طلب اغلاق النافذة انما هو - واؤكد لكم هذا بكل حزم وقوة - مطلب من جانب واحد بطبيعته ، فلو سمحنا باقرار مثل هذه الطلبات التي تتوقف على الإرادة المنفردة فماذا يكون مصر الامم المتحدة ، وخاصة الصغيرة منها ؟ انها تصبح عرضة لنوع جديد من التحكم والاستبداد من جانب أية دولة بمحض ارادتها !
ثم .. كيف نقبل ونقر زعم المندوب السوفييتي بشأن تيار الهواء الذي يحسه ، باعتباره حقيقة ثابتة ، بناء على مجرد قوله بذلك ؟ أنا مثلاً لا احس بأي تيار هواء !

(وهنا يعطس المندوب السوفييتي عطسة أخرى باللغة الروسية !)
♦ مندوب الولايات المتحدة (وهو يستدير الى «مترجم» الوفد السوفييتي):
ماذا يقول ؟

(وفي اثناء ذلك يطلب الرئيس من المترجمين والمفسرين ان يهتدوا الى الترجمة الدقيقة الفرنسية والانجليزية للنص الروسى .. ثم تستأنف المناقشة)
♦ مندوب بريطانيا : سيدى الرئيس . اولاً اريد - اذا جاز لى ذلك - ان اقول انى تؤيد على طول الخط ما أعرب عنه زميلي مندوب الولايات المتحدة . فاننا لم نواجه من قبل مطلباً باغلاق النافذة كهذا الذى يفاجئنا

به الليلة مندوب الإسعاد السوفييتي .. ولا أظن انه يليق بنا أن نرضخ له دون أن نوليّه أكبر نصيب من الدراسة الدقيقة والتمحيص ، ولا تكون فد نورطنا في سابقة خطيرة تشر لنا في المستقبل مناعب جمة .. لهذا أظن انه من الاوفق أن نتصرف بمزيد من الحكمة والتبصر فندرج المسألة في جدول اعمال دورة اخرى - في شهر يونيو أو يوليو مثلا ، حين يتحسن الطقس - فاذا سار كل شيء على ما يرام وتحسن الطقس فعلا يكون من الممكن انهاء المسألة نهاية مرضية للجميع !

♦ مندوب بولندا : اجننى مضطرا ياسيدى الرئيس ، عند هذه النقطة بالذات ، الى القول بانى - باسم حكومتى - أحس أنا أيضا بتيار هواه !.. ثم يهمنى ان اضيف شيئا الى ذلك فالفت نظر المجلس الى قصاصة أحملها معى من جريدة (النيويورك تيمس) الصادرة هذا الصباح ، وقد نشرت في الصفحة الاولى منها خلاصة النشرة الجوية التى أصدرها مكتب الولايات المتحدة للارصاد الجوية ، وفيما يلى نصها اقراه لكم بخدافيه : «بميل الطقس اليوم الى البرودة وتهب رياح شديدة .. الخ» بناء على هذا يرى الوفد البولندى أن المندوب السوفييتى حين طلب اغلاق النافذة انما التزم روح ميثاق الاطلنطى ..

♦ مندوب استراليا : سيدى الرئيس . ان القضية المعروضة على المجلس الان هى اغلاق النافذة - للاسباب التى أبدأها المندوب السوفييتى - أو عدم اغلاقها . وبفحص تلك الاسباب يبدو لى ان الموقف لم يبلغ حد النصج الكافى الذى يستطيع معه المجلس أن يبحث في اجابة اقتراح المندوب السوفييتى .. فنحن - كما ارى - لم نطلع على أية بيانات بصدد المسألة . كل ما لدينا منها قصاصة من إحدى الصحف وتقرير فى مونوق فيه . واحسب ان واجبنا الاول أن نتحرى صدق ودقة تلك البيانات . لهذا اقترح أن ينتدب المجلس لجنة تحقيق مزودة بتعليمات تكفل الوصول الى الحقيقة الكاملة في مدة لا تتجاوز اسبوعا . وفى اثناء ذلك يستطيع المجلس ان يتصل بمكتب الارصاد الجوية كى يحيط اللجنة علما بكافة التطورات التى قد تطرا على الحالة ..

♦ المندوب السوفييتى : انى في الواقع عاجز عن فهم سبب تردد اعضاء المجلس في الموافقة على الطلب القانونى المشروع الذى قبعته باسم حكومتى.

لقد صرحت بوضوح تام بانى اشعر بتيار هواء بارد في ظهري يستدعى الخلائق النافذة . وبما ان المجلس لا يريد اجابتي الى هذا المطلب المنطقي المقول ، اراني مضطرا الى أن اقرر عجزى عن البقاء لحقطة واحدة في قاعة المجلس ! (وعلى اثر انتهاء المترجمين من نقل تصريح المندوب السوفييتى الى جميع اللغات ، ينسحب المندوب ومعاونوه من القاعة .. بينما يظل مندوب بولندا جالسا في مكانه ، مكتفيا برفع ياقة «الجاكيت» على عنقه ! وبعد فترة قصيرة يعود الوفد السوفييتى بكامل أعضائه، بعد أن قاموا بجولة على الاقدام . ولا يكاد المندوب يجلس في مكانه حتى يرفع يده من جديد، فيأذن له الرئيس بالكلام) :

♦ المندوب السوفييتى : منذ أن دارت مناقشتنا السابقة - ياسيدى الرئيس - تغير الموقف تغيرا كبيرا ، فان الشمس في الخارج مشرقة والطقس قد صار دافئا ، ومن ثم لم أعد أشكو من برودة تيار الهواء في ظهري . وواضح أن هذه الظروف تجعل من العقيم أن يمضى المجلس في مناقشة المسألة . وعلى هذا فاني أود أن اسحب طلبى الخاص بإغلاق النافذة .

مندوب الولايات المتحدة : يسر حكومتى بالطبع أن تصلم ان المندوب السوفييتى لم يعد يحس بتيار الهواء . ولكن - من الناحية الأخرى - أجد من واجبى أن أقول أنه ما دامت المسألة قد أدرجت في جدول الأعمال ، فيجب أن تبقى حتى ينتهى المجلس من بحثها . وفي رأى أن المحاولة الانفرادية من جانب المندوب السوفييتى بفرض سحب الموضوع من جدول أعمال المجلس ، هي محاولة تتنافى مع روح ميثاق الاطلنطى !

♦ مندوب بريطانيا : يبدو واضحا في نظرى - اذا جاز لى القول - ان المندوب السوفييتى قد ناقض نفسه . وفي ضوء هذه الحقيقة ذات المفزى ترى حكومتى ان المجلس يخون الامانة الموضوعة في عنقه اذا تخلى عن استكمال بحث المسألة . واني آمل أن تقل مدرجة في جدول الأعمال حتى فصل الصيف، حيث تفقد - كما قلت - اهميتها بحكم تحسن الطقس ..

♦ المندوب السوفييتى : يتبين لى من هذه المناقشات ما يشر في نفسى الشك فيما اذا كانت تصريحات بعض الاعضاء قد صدرت عن رغبة صادقة في إيجاد حل سلمى للمشكلة ؟؟ ففي الوقت الذى يتكشف فيه الموقف عن عدم

وجود تيار بارد ، يصر بعض الاعضاء على اثارة ضجة حول هذا الموضوع
 • مندوب بولندا : انى ما ازال احس بتيار الهواء .. واعتقد انه ات
 من ناحية الغرب !

• مندوب استراليا : هذه مسألة تستدعى تاليف لجنة من الخبراء تتولى
 بحثها ، فنحن ما زلنا محوطين بمعميات حول حقيقة الامر ، وفي حاجة الى
 معلومات وبيانات رسمية في هذا الشأن . اتنا ..
 (وعند هذا يدق جرس «المطاف») منبأ عن اشتعال حريق في البناء المجاور ،
 فينفض اجتماع مجلس الامن ويخرج المندوبون والنظارة في نظام !

دبلوماسية !

♦ على اثر انتصار اليابان في حربها ضد روسيا سنة ١٩٠٥ ، زار
 الاميرال «توجو» قائد الاسطول اليابانى الظافر - الولايات المتحدة
 الامريكية زيارة شبه رسمية ، استقبل فيها بحفاوة بالغة . وثناء
 تلك الزيارة اقامت له الحكومة الامريكية مادبة عشاء رسمية ، عهد
 فيها الى وزير الخارجية وقتئذ - وليم جنجز بريان - ان يدعو
 الحاضرين الى شرب نخب الضيف الكبير .
 وكانت مشكلة !

للك ان وزير الخارجية المذكور كان من غلاة خصوم الخمر
 ومحرميها ، فكيف اذن يشرب الشمبانيا ، بل ويدعو الجميع الى
 شربها ؟

وخشى الكثيرون ان يؤدى الامر الى «ازمة» دبلوماسية بين
 الدولتين بسبب تزمت وزير الخارجية !.. وانتظر الجميع ماسوف
 يحدث ، في لهفة مشوبة بالقلق !.. فلما حانت اللحظة المناسبة نهض
 الوزير فتناول قدح «الماء» الذى يخصه وقال وهو يرفعه امام الحاضرين:
 «لقد احرز الاميرال توجو نصره الحاسم في الماء (اشارة الى ان المعركة
 كانت بحرية !) ، لذلك فلنشرب نخبه ماء ..»
 وكان تغلصا غاية في البراعة !

عزيزى القارىء ...

قدمت لك فى هذا الباب ، فى الاعداد السابقة من « كتابى » ، المسرحيات العالمية الآتية .. على التوالى : «خطايا الحب» لاوسكار وايلد .. ثم «الحب الاثم» او (سلطان الظلام) لتولستوى .. و«نزاهة الحكم» او (المفتش العام) لجوجول .. و«سلاح المرأة» لاريستوفان .. و«فولبيون» او (الثعلب) لـ «بن جونسون» .. و«جيوكتندا» لدانونزيو .. و«كلام الناس» لجوزيه اشيجاراي و«مدرسة الفضائح» لشريدان ، ثم «سراى دى برجراك» لادمون رويستان واليوم اقدم لك فيما يلى هذه المسرحية العاطفية التاريخية .. المصرية والقديمة فى وقت معا ! فهى عصرية بالنسبة لمؤلفها ، قديمة بالنسبة لجوها وحوادثها ..

- وفى الاعداد القادمة تقرا معى باذن الله المسرحيات العالمية الآتية : اوسكار وايلد : (مروحة الليدى ونندرمير) جون درنكوتر (ابراهيم لنكون) - برنارد شو : (بيجماليون) - مكسيم جوركى : (الصعاليك) - تشيكوف : (الشقيقات الثلاث) - بايسن : (مهزلة الحب) - هوجو : (هرنانى) - مولير : (مدرسة الزوجات ، المريض الموهوم ، البخيل .. الخ) - شكسبير : (عطيل ، هملت ، ماكبث ، ترويض النمرة ، تاجر البندقية ، روميو وجوليت .. الخ) - سوفوكل : (اوديب الملك) .. الخ

عندما ترفع الستار ..



روائع المسرح العالمي (تمثيلى واقتضائى)



لعبة الحب والموت !

قصة تمثيلية كبرى

للكاتب الفرنسي المعاصر :

"رومان رولات"



شخصيات الرواية

Jérôme de Courvoisier	جيروم دى كورفوازييه
Sophie de Courvoisier	صوفى دى كورفوازييه
Claude Vallée	كلود فاليه
Lazare Carnot	لازار كارنو
Denis Bayot	دنى بايو
Horace Bouchet	هوراس بوشيه
Lodoïska Cerizier	لودويسكا سيريزيه
Crapart	كراپار



زمان الرواية : آخر مارس سنة ١٧٩٤

مكان الرواية : باريس

هذه الملحمة ..

.. عصر من الدم والذهب ، الدم فيه يضارع الذهب في حرارته وغليانه .. والذهب فيه أشبه بالدم في حيويته وسريانه !
ذلك هو عصر الثورة الفرنسية الكبرى على ضفاف السين ، وقد انت الثورة على أعدائها ، واقتسلت في دم ملوكها وسادتها ، ثم التفتت بعد ذلك ظمآنة إلى دماء بنيها ، فراحت تلتهم قادتها واحدا بعد واحد !

ولن نفهم هذا العصر الحافل بالنقائص والانفعالات ، إلا إذا كشفنا نقاب الأحداث والأشلاء عن «القلوب» أبطال هذه الملحمة الأسطورية الهائلة ، لنرى فيها بواعث ذلك البركان ، وقد اختلط فيه الحب والكراهية .. وبسط الموت جناحيه السوداوين على هذين التوأمين الجبارين ، وألقى ظله الرهيب على ذلك البحر العاصف من الدم واللهيب !

وإذا كانت هذه المأساة المروعة التي تعصر القلوب ، وتجلو ذلك الصراع الدموي العجيب ، قد اتخذت لها عنوانا أشبه باللهة : «العبة» الحب والموت ! فما هي في الحقيقة بالعبة ، ولا باللهة .. اللهم إلا إذا فهمنا اللعبة بالمعنى الذي تمتاز فيه المخاطرة بالجنون ! وتصطرخ فيه شهوات الجسد بنوازع النفس وصرخات الضمير .. ! أو قل أنه «رهان» عجيب مع القدر .. الراجح فيه والخاسر سيان : فالراجح فيه يعود بصفقة المغبون .. والخاسر فيه ظافر بأخترته ، وإن خسر دنياه !

ولنرفع الستار عن الرواية التي تكشف لنا كل هذه الأفاق :

— ١ —

◆ نحن في مفتتح هذه المأساة في بيت عالم فرنسا الفذ ، رجل الطبيعة والكيمياء الخالد على العصور « جيروم دي كورفوازييه » ، وقد بلغ في هذه السنة (سنة ١٧٩٤) الستين من عمره - بينما زوجته «صوفى» لم تتجاوز الخامسة والثلاثين - وهذه حجرة « الصالون » الكبير تفضى إلى الحديقة التي وافتها بشائر الربيع فكستها حلة جميلة فينانة من الخضرة المرصعة بالأزهار ..

وعلى جدران القاعة لوحتان ، تمثل احدهما ربة الدار فى سن العشرين ، وقد رسمها المصور فى زى آلهة اليونان . وتمثل الاخرى رب البيت وقد انصرف الى عمله بكل جوارحه . وفوق المدفأة تمثال نصفى لفولتير وعلى شفتيه ابتسامته المشهورة التى تقطر سخرية مسمومة ! . وتحت صورة صوفى كورفوازييه « بيانو » ضخم أسود اللون . وفى جانب من الحجرة مكتب زوجها « جيروم كورفوازييه » زاخرا بالاوراق والكتب والاضابير .

فلنغادر الحجرة الى الحديقة العتيقة ، حيث جنح قرص الشمس الارجوانى الى المغرب ، وقد اجتمع ضيوف ربة الدار فى حلقة كبيرة تحت أشجار الخوخ ، وراحوا يلهون ويرقصون كالاطفال ، احتفالا ببشائر الربيع . حتى نال التعب من شيخ كان دخيلا على تلك المجموعة من الشباب هو « دنى بايو » ، فلهت وتلاحقت أنفاسه ، بحيث اضطرت ربة الدار الى أن تقوده من يده الى مقعد مريح فى الصالون . والتف سائر الجماعة حولهما يتذكرون معا متاعب الحياة التى قفزت بهم جميعا فى الخمسة الاشهر الاخيرة سنوات ! . حتى جعلت من أنضرهم شبابا كهلا محطم النفس ، تداعبه مخالب الشيخوخة الباكرة ! .

تذكروا كيف كان خشب الوقود ينقصهم فى ذلك البرد القارس ، فيضطربهم الى البقاء بغير نار للتدفئة أسابيع متعاقبة . وكيف كان الخبز أشبه بقرص القمر المكتمل ، لا تكتحل به العين الا لماما ، فيما ندر ! . وكيف كان بعضهم ينفقون سواد الليل كله وقوفا على قنطرة فى خارج باريس ، انتظارا لتوزيع بعض حفئات من نشارة الخشب ، المخلوطة بشئ من الدقيق !

وهنا تساءلت ربة الدار « صوفى كورفوازييه » :

— بربكم أيهما أعتى وأشد وطأة : البرد أو الجوع ؟

فاذا الحاضرات من النساء يصرخن فى صوت واحد :

— البرد ! البرد ! البرد !

واذا فريق الرجال يصيح على العكس :

- الجوع ! الجوع ! قاتل الله الجوع ٠٠

فتصيح بهم النساء مداعبات :

- هكذا أنتم دائما : عبيد بطون !

لكن **صوفي** تحسم هذا الخلاف الطريف الذى أثارتة ، قائلة :

« على رسلكم ! لا تختصموا ! فقد بلونا الامرين معا ٠٠ وقد

انتهى ذلك الشتاء النكد الآن ، فلننسه اذا كان الى تناسيه

سبيل ، ولنستقبل شعاع الشمس فى هذا الربيع بنفس راضية

قريرة بما نحظى به من متاع الحياة ٠٠ »

فيقول الشيخ « **دنى بايو** » : « ما أكرمك أيتها الصديقة

الكريمة حين دعوتنا لاهياء أول أيام هذا الربيع المشرق فى

بستانك ، حين تفتحت فيه أكمام الزهر الباكر الجميل ٠ فانها

لبشرى أى بشرى بعد ذلك الشتاء القاسى الطويل ٠٠ »

صوفي : وهل كان فى وسعى أن أحتفظ بنشوة هذه الازهار

لنفسى ، أحصاها بها من دونكم ؟ انا لفى زمن ندرت فيه المباحج

فما أحرى رفقة الصفاء أن تتقاسم ما يسبح به الدهر من متاع

قليل ٠٠٠

وحينئذ تنفجر « **كلوديس** » ، وهى فتاة فى السابعة عشرة

فقدت خطيبها فى الحرب ذلك الشتاء : « رباه ! لقد افتقدنا

السرور والضحك منذ زمن طويل ٠٠ (**باكىة**) ولكن هل يجوز

لنا أن نضحك بعد الذى متينا به من فقد الاعزاء ؟ لقد فقدت

خطيبى ٠٠٠

فتجيبها **لودويسكا** ، الارملة الشابة التى فقدت زوجها منذ

خمسة أشهر : « وأنا فقدت زوجى ٠٠٠ »

ويقول الشيخ **بايو** : « وأنا فقدت ولدى ٠٠٠ لقد فقدنا جميعا

من نحب ، ولكن الحياة أقوى من كل هذا ٠٠ ! »

٠٠ أجل ، الحياة أقوى من كل هذا ، وأقوى من الموت

نفسه !.. فهذه هي المجموعة الشابة تستجيب لدعوة صوفي حين تدعوهم الى الاستمتاع بجمال الحديقة ، والى اغراق الاحزان فى كأس من خمر الطبيعة ذات السحر والعطر !..

♦ ولكن ، واما لساعات الصفاء ! ما أقصرها ! فان رقص المستبشرين بالربيع لا يستمر هتية حتى ترتفع فى الشارع ضجة وقرع طبول ! انها مظاهرة كبرى من مظاهرات الثورة التى تقوم عند كل نبا جديد من أنباء الخارج أو الداخل .. ولا يلبث أن يمر بائع الصحف مناديا على بضاعته : « ملحق ! آخر الأنباء ! موقعة خطيرة مع الاعداء .. » فيتوقف الرقص والغناء ، وتتطلع الاعين الى الصحيفة التى لا زال حبرها طريا : لقد عادت قوات ملوك أوروبا المتحالفين الى التجمع ، ولا بد للجمهورية الشابة من رد العدوان بالقوة ، والاستعداد لتلك المعركة بحشد الجهود وتجنيد الجنود !..

ها هو شبح الموت يرفرف من جديد ، ليتخطف أرواحا أخرى شابة ! وهذى هي الارملة « لودويسكا » - التى جعلت تبسط شباكها حول الضابط الشاب « هوراس » لتملأ به فراغ فراشها البارد الذى خلفه زوجها منذ خمسة شهور ! - هذه هي تتشبث بعنق ذلك الضابط ، فيقول لها :

- انه نداء الواجب ..

- بل قل نداء الدمار والهلاك !

- انه داعى الوطن ..

- بل قل داعى الجبايرة الطغاة أعضاء اللجنة الوطنية العليا ، أولئك الضواري ! لا تذهب ! لا تتركنى ...

- لا مناص !

- لا مناص ؟ كيف ؟ أترحل الآن ...

- كلا ! ولكنى أتوقع أن استدعى بعد شهر أو نحو ذلك ...

- شهر ؟ اذن وافرحته ! ان سعادة شهر ومئة أربعة أسابيع

تعدل عندي الخلد الابدي ! فلنستمتع بهذا الشهر ، ولئن خسرنا
الغد ، فحسبنا أن اليوم لنا ... الليلة اذن أيها الحبيب !

وكانت أذن الفتاة « كلوريس » التي فقدت حبيبها تنصت
لهذا الحوار ، فرمقت الارملة بنظرة حقد شديد ، وانفلتت من
انحجرة غاضبة ، فلحق بها الشيخ بايو والضابط هوراس
لاسترضائها، وخلت الحجره الا من صوفى والارملة، التي قالت :

— ماذا ساءها منى ؟

— أنت تعلمين ماذا ساءها منك ...

— انها تحسدنى ! ولكنى فخورة بسعادتى وأنايتى ، فخورة
بما أثير من حسد ، فالحسد يزيد من متعة اللذة . وهل لا يحق
لى أن أستمتع بعد الذى عانيت من شقاوة وترمل . آه يا زوجى
العزیز ، كم شق على نفسى فقدانك !

— ومتى مات ؟

— منذ ستة شهور ، لا بل خمسة .. وكم بكيت « هكتور »
يومئذ ، حتى لقد حسبتنى لن أحيا بعده ، وان كل شئ قد
انتهى .. ولكن هيهات ! فها هى الحياة تبدأ من جديد ، وها هى
شجرتى تورق مع بشائر الربيع .. ولكن عزائى اننى أشعر أن
هكتور يشاركنى فى قبره لذتى واستمتاعى بهواى الجديد
ومناعمه ! كلا ! أرجوك يا صوفى ! لا تبتسمى هكذا ! لا تهزئى
بى ، فانى أعلم علم اليقين ان الموتى لا يحسون ، ولكنى أعلم
نفسى بالالوهام وأخدعها بالباطيل ! انه لا يحس ان خيرا وان
شرا ، فهل على مثلى بأس . وهى تحس الخير والشر ، واللذة
والحرمان . أن تمتع نفسها وتدفع عنها الألم ؟ هل فى ذلك
غضاضة ؟ وما دام يحببنى ، فلماذا ينقص على لذتى فى هواى ؟
ألست شابة ؟ وهل ذنبى انه مات ؟ .. ولكنى حية ، فلماذا ألزم
نفسى آداب الموتى ؟ آه ! ما أطيب العيش ! ما أمتع الحياة !
— هناك يا أختاه حياة وحياة .. والحياة عندك هى الحب !

- ولا حياة بغير حب ! أراك تبسّمين مرة أخرى يا صوفي ،
أيّتها الحكيمة الرزينة التي لا تخضع لما نخضع له نحن الفانيات
من ضعف بشرى ! لقد عرفت كيف تعيشين بمنأى عن أعاصير
الهوى الجامح والعواطف الهوجاء ، لائذة بحب شبه « أبوى »
فى كنف رجل يضارعك حكمة ووزانة وسكينة نفس ، تعلقت
به منذ نعومة أظفارك تعلق اعجاب يقارب التقديس .. فحياتك
سما صافية الاديم لا غيم فيها !..

- ولكن لا اخالك تستبدلينها بغيوم سمائك المتلبدة الاديم؟
- اتعنين حبي لهوارس ؟ كلا ! انى راضية بما قسم لى من
عيش ! انى أعجب بك يا صوفي ، وأتمنى أن أحيا حياتك ،
ولكن ذلك مستحيل الا عليك ... فأنت نعم الصديق ، ونعم
الخدّين ، بل نعم الوحي الملهم والباعث المحرك لذلك الرجل
العظيم ، الذى كان صفى فولتير فيما مضى ، وهو اليوم صفى
« كارنو » ...

♦ وفى هذه اللحظة يدخل الشيخ بايو ، وكلوريس ،
وهوراس ، ومعهم « ملحق » جديد لصحيفة ، يمدونه الى صوفي ،
فتعرض عنه ضيقة الصدر بهذه الملاحق التي لا تحمل الا أنباء
الكوارث والفظائح ، فتتناوله الارملة الطروب لودويسكا
وتتصفحها :

- وى ! ما هذا ! انه فظيع ...

- ماذا ؟

- بيتيون ، بيزو ، وفاليه ...

- فاليه ! ...

وتنهض صوفي من مقعدها ، وقد خرجت من شفيتها حروف
ذلك الاسم أشبه ما تكون بالصرخة ! ولكن لا ينتبه لتغير حالها
أحد من الكاخرين ، لانهم مشغولون بالنظر فى الصحيفة من
حول لودويسكا ... وهذه كلوريس تقرأ : « بالقرب من بوردو ،

عر على جنث ثلاثتهم وقد التهمت الذئاب ١٠٠ !
ومرة أخرى لا يلتفت أحد الى صوفى التى ترتدى على مقعدها
دون كلام أو حراك، وتغطى وجهها بيديها ٠٠٠ فى حين يستأنف
هوراس قراءة بقية الخبر : « لقد كانوا طريدى القانون منذ
شهور ، بعد أن أهدرت اللجنة العليا دمهم ، وأخيرا عثروا عليهم
فى مغارة مهجورة ، وقد بقرت بطن « بتيون » وخرجت منها
أحشاؤه ٠٠١ »

- بتيون ؟ ملك باريس غير المتوج، وعمدتها، ورئيس الجمعية
الاهلية المدلل ؟!

- « أما الآخر فقد وجد وجهه منهوشا ، وقد التهمت الذئاب
أنفه، وشفتيه، فظنوه أول الامر بيزو، ولكن الاوراق التى يحملها
تقطع بأنه (فاليه) ٠٠ »
- يا للمسكين !

- لا تجزعوا ، فقد رحمتهم تلك الذئاب من حد المقصلة الذى
أودى فى الاسبوع الماضى بصسديقيهم الحميمين « باربارو »
و « جوديه » ! يا للثورة الرعناء ! لقد خدعت جميع الناس ،
وغررت بهم ٠٠٠ لقد ظنوا حين ثاروا انهم أقوياء ، ولكن ثودتهم
كشفت عن ضعفهم ، وتخبطهم ، واسفاهم الوضع !

كانت هذه كلمات الشيخ « دنى بايو » الذى فقد وحيدته فى
هذه الثورة . وقد تلقاها الجميع فى صمت عميق .
وأخيرا ٠٠٠ كشفت صوفى عن وجهها الذى كانت تغطيه
بداها ، وجلست جامدة الطرف تحديق أمامها ، منطوية على انفعال
كظيم ، وعلى شفيتها ابتسامة باردة كالتلج !

كلوريس : يا لفاليه المسكين ! انه لم يجاوز الثلاثين !
لودويسكا : لقد رقصت معه فى الربيع الفائت ٠٠ وكان من
أصدقائك يا صوفى ٠٠ والحق انه كان راقصا ممتازا ساحرا ٠٠
كلوريس : ومنشدا خلافا للشعر الرفيع ٠٠

أغوار بحر من الالم ليس له قرار !

لودويسكا : صوفى !

صوفى : (تلوذ بالصمت !)

لودويسكا : ماذا تقولين ؟

صوفى : (ممعنة فى الصمت والشرود !)

لودويسكا : ماذا قلت بربك ؟

صوفى : (لا تجيب ، ولا تتحرك ، فتميل لودويسكا فوقها ،

ولا تلبث أن تصيح) :

لودويسكا : عزيزتى ! أتبكين ؟

(فتضع صوفى يدها على قمها ، مشيرة الى لودويسكا

بالصمت ، ثم تبحث عن منديلها لتمسح دموعها ، فتمسح لها

لودويسكا دموعها بمنديلها)

لودويسكا : أحزان وأشجان ، وما يرى الناظر فيك الا صورة

السعادة والهناء ؟ لقد ملكت كل شيء : الحب ، والسمعة ،

والنفوذ ، والايامن بهذه الثورة التى شارك زوجك فى تأجيج

لظاها ...

صوفى : بل لا شيء من هذا لدى !

لودويسكا : كلا . كلا . لا أصدقك !

(تشير اليها صوفى أن تصمت ، لان دنى بايو قد اقترب منهما)

دنى بايو : ألم يقترب موعد اياب جيروم من الجمعية الوطنية ؟

صوفى (وقد استعادت صوتها المألوف) : لا يمكن التكهّن

بموعد انتهاء الجلسة . فكم من مرة لبثت أنتظره طول الليل ،

حتى مطلع الفجر . . (تسمع فى هذه اللحظة دقات موسيقى

عسكرية فى الشارع)

كلوريس : ما هذا ؟

صوفى : موكب المسوقين الى المفصله . فانه يمر الآن من هنا . .

♦ (يسرع الجميع الى الحديقة لرؤية ذلك الموكب ، وتبقى

صوفى ولودويسكا وحدهما (

لودويسكا : لا أصدق يا صوفى ما قلتَه منذ قليل ...

صوفى : دعى هذا الحديث ..

لودويسكا : لا توحدى قلبك دونى • صارحيني : عل غشيت
سماء حبكما غاشية ؟

صوفى : حبى ؟ ان احدا لم يحبني قط ! لقد وهبت شبابى ،
وأمالى ، ورغبتي فى بذل النفس ، لرجل احترمته - ولا زلت
احترمه وأعجب به - فماذا صنع بكل ذلك ؟ لقد ضحى بى فى
سبيل عقيدته ...

لودويسكا : أليست هى أيضا عقيدتك ؟

صوفى : وماذا يعنينى من عقيدته (مستغرمة) بل عقيدتهما ؟
لقد أحببتها واعتنقتها لانهما آمنا بها ، فأحبتهما فيها • فماذا
فعلت بهما وبى ؟

لودويسكا (غير فاهمة) : هما ؟ من هما ؟

صوفى : انى أكره هذه العقيدة التى تفسد علينا الحياة !
انها تفسد الناس فيقبلون عليها ويفرقون فيها كما تستغرقهم
الرذائل • أما الحياة فبسيطة ، هينة ، قريبة التناول ، لولا
هذه الاوهام التى نسميها المبادئ • • • • • التى تفسد علينا مذاق
كل شئ • • • • • لقد أفسدتهما هذه الاوهام فضحيا بى أنا أيضا • •

لودويسكا : ولكن من هما ؟ زوجك ؟ • • •

صوفى : كلا • • • • • لقد سمعت الآن قصة هؤلاء المهدرين • •

لودويسكا (وقد ومضت الحقيقة فى ذهنهما فصرخت) :
فاليه ! انه فاليه • • (تتناول يدى صوفى فى يديها ولا تطلقهما
بل تلح عليها بصوت خفيض) : انه فاليه ! خبريني يا صوفى • •
اليس هو فاليه ؟

صوفى (مشيحة بوجهها) : بالله لا تزيدى جراح قلبى بترديد
اسمه ! • • •

لودويسكا (تطلق يدى صوفى) : عفوك يا عزيزتى .. لقد عذبتك منذ قليل ونحن لا ندري !

صوفى : لقد أحببته وأحببنى . وكان كل حياتى . وكنت كل حياته .. أو هكذا ظننت ، فان ذلك لم يكن صحيحا ، لانه تركنى ومضى ليموت تلك الميتة الشنيعة فى سبيل هذه العقيدة المشنومة . ولكن لا جناح عليه ! فانتى أنا أيضا ضحيت به فى سبيل عقيدة أخرى .. (بحقد) فى سبيل ما يسمونه الشرف والعفة والوفاء الزوجى !

لودويسكا : صارحينى يا صوفى . ألم تكونا خليلين ؟
صوفى : كلا ! وهذا ما يحز اليوم فى نفسى ! ولكم توسل الى ، ولكم الح قلبى على كى أستجيب .. ولكنى أبيت ، اعتصمت بما يسمونه الفضيلة ، ذلك الصنم الاعمى الذى ضحيت على مذبحه بكل حياتى ، وكل ما له قيمة فيها .. والآن ، وقد فات الاوان ، ضاع كل شئ .. فندمت ولات ساعة مندم !

♦ **وعلى حين** غرة يفتح الباب المفضى الى السلم .. ويدخل منه شاب غريب ، هزيل ، فى ملابس اليعاقبة ، ملطخ الثياب بالالوحال ، أشعث الشعر ، مهلهل الثوب ، زرى الهياة ، وحشى النظرات ، وكأنه فريسة تتعقبها كلاب الصيد !

وما أن دخل حتى أغلق الباب ووقف وظهره اليه . ولم تره صوفى أو لودويسكا لان ظهرهما كان الى جهة الباب ، ولكن رآه الثلاثة الآخرون . بيد ان المباغثة سمرتهم فى مكانهم والجمت ألسنتهم ، فساد الصمت لحظة ، عميقسا كالموت ! ولفت ذلك الصمت المفاجئ نظر صوفى ولودويسكا ، فاتجهتا مستطلعتين الى بقية المجموعة . وهنا فقط طالعت صوفى فى مرآة المدفأة الكبرى صورة « الغريب » الواقف بالباب ! فنهضت وقد ندت عنها صرخة ، ضاعبت فى الضجة العامة التى صدرت عن :

دنى وهوراس وكلوديس (فى صوت واحد) : قاليه !!

فاتجه « فاليه » الى ثلاثتهم
وصسافحهم بحرارة ، وبصوت
أجش ، ثم تلفت يبحث عن ذلك
الوجه الذى لم يره بعد ...
فلما رآها ، تلاشى الجميع من
أمام ناظريه !

وكانت صوفى واقفة الى جوار
البيانو الكبير ، شاحبة الوجه ،
وقد اتسعت حدقتها دهشة ،
وخوفاً ، وفرحاً .. فاتجه نحوها
فاتحا ذراعيه ، قالت بنفسها
فى أحضانه !



فاليه : صوفى !

صوفى : أنت حى ؟!

فيلقى بنفسه عند قدميها ويحتضن ساقها ، ويقبل ركبتيها
من تحت ثوبها .. فقدميها .. ثم يركع ويقلب وجهه وعينييه
وجبهته متمسحاً بجسم حبيبته ، وهى لا تتمنع ، بل تداعب
شعره بأناملها وتتحنس وجه الحبيب العائد !!

صوفى : قم أيها العزيز .. انك خائر ، فاجلس فى هذا
المقعد .. هنا ...

ويجلسان متجاورين ، بينما يتسلل الاربعة الآخرون خارجين
.. حتى اذا تنبهت لذهابهم وأظهرت دهشتها ، قال لها فاليه :
— ألا تعلمين اننى شخص خطر على كل من يرانى ؟ ان دى
مهدر ، فمن رآنى ولم يقتلنى أو يبلغ السلطات عن أمرى كان
من الهالكين ..! لقد مضت على خمسة أشهر أطرق مع رفيقى كل
باب فلا يفتح لنا .. وكم من ليلة باردة — تفتحت فيها مياذيب
السماء وانهمر المطر كأفواه القرب ! — لجأنا فيها الى باب صديق

كريم . لى عليه أياد كثيرة بيضاء ، طالبين منه المأوى لساعة واحدة ، ولقمة خبز جافة ، وكوب ماء .. قلم يفتح لنا ، بل همدنا بالقتل اذا لم ننصرف .. أو يقتل نفسه ! .. ترى ، ألا تطرديننى أنت أيضا ؟

— يا للعزيز المسكين ! اشرب هذا القدح من القهوة ، فمسا أشد اعياءك

◆ **وتنقضى** لحظات ، يشرب فيها ويقضم الخبز ، وهى نرعاها كالام الجنون .. حتى اذا أكل وشرب تناول يدها فقبلها .. وهى مستسلمة باسمه فى حزن وحنان .. ثم تضع يدها على رأسه وتساله .

— ولكن كيف استطعت الوصول الى هنا ؟
— تعالى أولا واجلسى أمامى حتى أراك عن قرب .. رباه انها هى .. هى حقا .. وليست ذلك الخيال الذى طالما تراءى لى طيلة هذه الشهور ... هذه يدها حقا فى يدي .. !
صوفى : خبرنى الآن كيف نجوت ؟

فاليه : لقد قاومنا الجوع والبرد وخطر القتل ، وسبقنا طريقنا المحفوف بالاحطار حتى أشرفنا على الحدود المؤدية الى بر الامان ، وهناك تخففت من كل ما ينقلنى من الزاد واللباس ، وقلت لرفيقي : اذهبوا أنتم الى الحرية والسلام . أما أنا فعسائد الى باريس ! .. لقد اتهماني بالجنون ، ولكنى لم أكن أرى لى مناصا من ذلك ، لان غاييتى لم تكن هي الحياة ، بل أن أراك !
صوفى : أنا ؟

فاليه : أنت ! أنت حبي .. أنت كل حياتي ! وقد علمت ذلك علم اليقين ، فلا موضع للتمويه بيننا — ذلك التمويه الاجتماعى ! — فليس هنا الآن الا نحن : أنت وأنا .. لقد سرت الآن فى طرقات باريس لا أرى شيئا مما يحدث بى من الخطر ، لان خيالك كان يتراءى لى كعمود من النور يجذبني نحوه على الدوام ! لقد كنت

كوكب الصبح في ليل مسراى .. وكنت موقنا أن الموت ينتظري
في باريس ، وأن النجاة انما هي في عبوري الحدود . ولكني
لم أشعر مع ذلك بغير أمنية واحدة : أن أراك ثم أنتهى الى
الابد ! .. وقد حماني ايماني بك من الاخطار ، وأعمى عني
الابصار . كنت أحس أن أنفاس الموت تتبعني ، ورائحته الرطبة
تهب على من مواطئ قدمي ! .. وأحسست أن العاشق النبيل
يجدر به أن يجنب حبيبته ذلك البلاء ، لا أن يدنيه منها ..
ولكن حبي اياك كان أقوى من خوفى على حياتي ، ومن خوفى على
حياتك .. فاستوى عندي فقدي وفقدانك ، في سبيل أن أراك !
صوفي : وبعد ؟ ماذا ينتظرك من مصير بعد ذلك ؟

فاليه : لم أفكر في هذا من قبل ! (تنهض وتسند ظهرها الى
البيانو ، ويثما تسيطر على انفعالها الثائر ، ثم تقول) :

صوفي : يا صديقي العزيز .. كم أشكرك !

فاليه (غاضبا) : تشكرينني ؟ ما بي الى شكرك حاجة !

صوفي : انى أرعد خوفا عليك في هذا البلد ، في هذا البيت
المطروق ...

فاليه : لا يهمنى الآن ماذا يكون من أمرى ..

صوفي : ولكنه يهمنى أنا ! يجب أن تهرب وتجتاز الحدود ،
وتعيش لوطنك وايمانك

فاليه : ما بي حاجة الى هذين ، فحاجتي كلها اليك أنت ! ..
ولا قدرة لانسان على الهرب بغير ايمان يربطه بالحياة ... وقد
كنت أنت هذا الايمان وأنا قادم الى هنا . فماذا سيكون دافعي
وسندي وعتادي وأنا أبتعد عنك بكل خطوة أخطوها ؟

صوفي : يكون دافعك أنا ! حبي لك ! وشعورك بأنني لن
أقوى على الحياة اذا لم تكن أنت على قيد الحياة !

فاليه (متثشيا) : أنت تحبينني اذن ! أنت تحبينني !

صوفي (مستوكة) : أنت تعلم ... فلماذا حملتني على
البحر به !؟

فاليه : بل قوله - أعيدني على سمعي -

صوفي : أحبك !

(يتعانقان في حرارة وهيام)

فاليه : شفتيك ! هات شفتيك ! فمّا أظمانى الى وردهما

المستطاب ... كلا ! لا تبتعدى عني ... ولا تنفري من قذارة

نيابى وسوء حالى ...

صوفي : اننى أحبك ، وأحب سوء حالك ... بل أحب

رباب يديك وأرواح نعليك ! **(وتنحنى فتقبل ثيابه الموحلة**

ويديه القلترتين) !!

فاليه : آه ! ألا ما أجمل الحياة ! الآن طاب لى العيش واشتهته

نفسى ! اسمعى ! هيشى لى جواز سفر مزور ، وثيابا أتكر فيها ،

وعندئذ أستطيع أن أركب العربة العامة الى « دول » . ومن هناك

أسير على قدمى الى الحدود ... وأنتظر أسبوعا فى مخبأ أدبره

لنفسى ، ريشما تغادرين باريس بعد سبعة أيام للحاق بى هناك ...

ثم نجتاز الحدود معا الى الحرية ، والحياة ، والسعادة ... !

صوفي : أنا ؟

فاليه : ألسنت تجيبيننى ؟ ألسنت لى ؟

صوفي : لا أستطيع ...

فاليه : وماذا يمنعك ؟

صوفي : واجبى ...

فاليه : الواجب ! يا لها من كلمه ! انها سلاح النفاق ، وتعله

من ينكل بأعدائه ومنافسيه ، ومبرر الهمجية والقسوة والعذاب

... انها اكدوبة وهم ! انها قناع زائف للمبجح والشر ...

أما الحقيقة السافرة فهى أنا وأنت !

صوفي : وزوجى ؟ ذلك الشيخ الذى يحبني ويشق بى ... ؟

اننى أحرم اذا هجرته ... !

فاليه : بل أجرمت حين تزوجته ! لقد أعطيته فوق الكفاية ، ولقد أكرم حين قبل منك شبابك أيتها الغريرة . . . فلا تحملى همه ، لانه سيتعزى عنك بعلمه ، ومجده ، وكبريائه ، وصداقته للطغاة ! فلست فى حياته الا ثمرة من ثمرات ، ثمرة لم يعد يستطيع قطفها الآن !

صوفى : لو نكثت عهدى له لاحترقت نفسى . . .
فاليه : ليكن . فما قيمة الاحتقار فى موقف كهذا ؟ لقد تحطم من حولنا كل ما تمثله الحياة الاجتماعية من ضمانات وحماية ، ولم يبق لنا الا حيننا . انه ككوكب الصبح فى ليلنا الحالك السواد . . . فهل تقفلين دونه عينيك ؟

صوفى : ما أشوقنى الى النور !

فاليه : قولى ! هل تتبعينى ؟

♦ فتدير نحوه وجهها وقد أشرق بالحب والهيام ، وتفتح فمها لتجيبه بالايجاب . . لكنها تسمع صوتا ، فتدفعه الى داخل حجرة النوم وتغلق عليه الباب . . . !

ويدخل جيروم من الباب ، فلا يرى صوفى لاول وهلة لانها واقفة عند باب المخدع ، فيتجه الى مكتبه فى يسار القاعة ، عارى الرأس ، وقد تشعث شعره الاشيب ، واضطربت عقدة رباط عنقه . . . ودلت هياته العامة على الاضطراب والخيرة . . . ثم يرتقى فوق مقعد امام المكتب ، ويضع رأسه بين كفيه ، ويغضى عينيه بيديه . . .

صوفى : جيروم . . .

جيروم :

صوفى : ماذا بك ؟ (وتضع يدها على عاتقه فيرفع اليها وجهه . . ثم يطرق ثائبة !)

صوفى : ماذا أصابك حتى تزعزعت قواك على هذا النحو ؟ من أين أتيت ؟

جيروم : من الجمعية الوطنية ..

صوفى : هل انتهت الجلسة ؟

جيروم : كلا . ولكنى لم أطق الانتظار حتى نهايتها !

صوفى : وماذا حدث فيها حتى جزعت الى هذا الحد . انك

نعرف طبائع هؤلاء الناس ...

جيروم : انهم لم يعودوا بشرا .. انهم قطع من السائمة

الغلاظ الاكباد . قطع من الكلاب المسعورة المنعشة الى الدماء .

انهم ذئاب وضباع وبنات آوى وصول وتزأر وسط قاعة المجلس

الخواوية التى ذهب أكثر أعضائها ضحية هؤلاء الوحوش .. ومن

بقي منهم زحفوا على بطونهم فى مذلة ليلتمسوا من جزاريهم

هبة الحياة !

صوفى : خفف عنك ولا تنورن أعصابك . خبرنى ماذا حدث ..

جيروم : لقد سعد « سان جوست » المنبر ، واشرب أعنقه

ونفرت عروقه ، فتحاشت العيون نظراته ، وكل واحد يتساءل

واجفا على من تراه سينقض هذه المرة ... رباه !

صوفى : وبعد ؟ ماذا فعل ؟ ماذا قال ؟ هل أهدر دما جديدا ؟

.. من ؟

جيروم : من ؟ لقد أتوا على جميع أعدائهم من أهل اليسار

وأهل اليمين على السواء . فماذا بقى لهم ؟ بقى لهم أنفسهم .

فبدأوا يتعاونون ويتناهبون ... وفى الساعة السادسة من

صباح اليوم ألقوا القبض على ..

صوفى : على من ؟

جيروم : على دانتون !

صوفى : دانتون ؟!

جيروم : لم تكن صديقين فى يوم من الايام ، فلم أكن أحب

هذا الرجل العنيف الذى يرغى ويزبد كأنه طوفان من الوحل !

كنت أتقرز منه . ولكن من ذا الذى ينكر عليه مجده الثورى ،

وعظمته الخطابية ، التى جعلت منه بحق روح الثورة المتجسد ؟!

لقد بهت الجميع حين وصل الخبر الى الجمعية الوطنية ، لانه كان فى نظرهم من مقدسات الثورة والشعب • وكم له من أفضال على أعضاء الجمعية فى أوقات الضيق! •• ولكنهم اكتفوا بالهمس والسكوت ، فسكت كسكوتهم •• بيد أن أحد تابعيه تشجع ووقف خطيبا يطالب بإطلاق سراحه، واستجاب له بعض الاعضاء فتجاسروا على التصفيق ، وبدا ان الجمعية لن توافق على اعدام بطلها الكبير اذا استمر الخطيب فى كلامه بضع دقائق! •• وفجأة دخل القاعة « روبسبير » ، فسادها صمت كصمت القبور، وقعت وسطه كلمات الخطيب الجسور كوقوع الحجر فى هاوية لا قرار لها! •• فتلعثم ، واضطرب ، ثم غادر المنبر ، فصعده روبسبير من الجانب الآخر • ولم يعر خطبة ذلك النائب أدنى التفات ، بل اكتفى بقراءة قرار القاء القبض على دانتون بصوت رزين •• ثم تكلم كلاما غامضا عن « مؤامرة خطيرة » ضد الجمهورية وهنا المجلس بالخلاص من عضو فاسد خائن لقضية الوطن! •• وصفق المجلس بالاجماع مؤيدا القرار •• واذا بروبسبير لا يقنع الا بالاقتراع مناداة بالاسم •••

صوفى : وهل اقترعت ؟

جيروم : لقد اقترحوا جميعا ناشطين متسابقين • حتى ذلك الخطيب الذى حاول انقاذ أستاذه ، باعه بصوت عال متبرئا من ذنبه الذى أكد انه لم يكن يعرفه من قبل!

صوفى : وأنت ؟ ماذا فعلت ؟

جيروم : حين نودى اسمى نهضت من مكاني ، وغسدت القاعة! فلما صرت فى الشارع أصابني دوار، وترنحت، حتى كدت أقع ، لولا أن رآني عابر سبيل فصحبني الى مقهى شربت فيه كأسا ردت الى بعض قوتي ••• وهانذا قد عدت ••• وكم أود الآن لو رقدت على الأرض ، وغصت فى بطنها ، فلم أقم بعسد ذلك أبدا! •• فقد سلّمت نفسى الناس ، ومجهّم قلبى ••• لقد

تحطم حلمي وإيماني بالحرية ، فما خلق الانسان الا للعبودية والخسة والاسفاف الحيواني الذميم .. لقد أضعت في الاوهام عمري ...

صوفي : جيروم ! لا تبتئس يا زوجي العزيز واعلم أن ما تعانيه انما أعانيه معك . كلا . لست وحدك أيها العزيز ، فلا تحزن ، ولا تفقد إيمانك ، بل إيماننا معا ! وانما اصبر وثق أن العاقبة لنا ..

جيروم : ما أحلى ما تقولين ، وما أحسن وقعه على جراح نفسي الكليمة .. لقد رددت على إيماني بالحياة يا زوجتي . ما أسعدني بحبك !

(يظهر فاليه على عتبة الباب فلا يبصرانه ، وينظر الى تناجيهما الرقيق مغيظا غيرانا ، حتى اذا التفتا نحوه اختفى داخل الغرفة بسرعة قبل أن يرياه)

صوفي : انك عظيم وشجاع ، وستثمر جهودك يوما ما لتحرير هذا الشعب ، ان عاجلا أو آجلا ... فلا تقنط ، وثابر ، والتظر ...

جيروم : انني أشعر منذ شهرين انني مراقب . بل ان من بين أصدقائنا عيون تترصد حركاتي وأقوالى .. فكوني على حذر ، ولا سيما من الشيخ « دني بايو » ...

صوفي : يا الهى ! دني بايو ؟

جيروم : انه ينقل كل حرف وكل حركة !

صوفي : مستحيل . وما الدافع له على هذا ؟

جيروم : يشتري بذلك سلامته .. ثم ان الخسة تقدو في عهد الانحلال وباء يصيب الرجال بغير سبب ، وبلا ثمن ...

صوفي : لقد كان هنا اليوم .. (ييلو عليها الجزع الشديد)

جيروم : وماذا تخشين من ذلك ؟

صوفي : لقد رأه داخلا ...

جيروم : رأه ؟ رأى من ؟

صوفي : رأى الذى أهدروا دمه يدخل طالبا المأوى والملاذ...
رأى فاليه !

جيروم : فاليه هنا ؟ فاليه حى ؟ لا أظنك رددته خائبا
وأوصدت دونه بابنا ..
صوفي : بل هذا هو ...

♦ **يدخل فاليه ، وتنسحب صوفي لتترك للرجلين المجال**
.. **فيتقدم جيروم نحو ضيفه مفتوح الذراعين مرحبا فى**
حماسة ، بيد أن فاليه يظل جامدا فى مكانه لا يتحرك .. **وحين**
يهم جيروم بتقبيله ، يشيح بوجهه ويتعد عنه !!

جيروم : فاليه ! أيها الصديق . ماذا بك ؟ ألا تريد أن تضع
يدك فى يدي ؟ أتشك فى ؟ ان بيتى بيتك ، وانى لشاكر لك
انك تخيرته ليكون ملاذك فى هذا الوقت .. وأعتذر اليك عن
عجزى عن حمايتك من اهدار دمك . ولكنك تعرف الظروف
التي نعيش فيها ، ولا تنس انك وأصدقائك أول من استن هذه
السنة من التناحر والحروب الاهلية ...

فاليه : لقد أبينا أن نهادن الخيانة والجريمة . ولكنى أرى
غيرى يهادنهما محافظة على حياته !

جيروم (هستاء) : ذلك ان شيئا أغلى من حياتنا يرتبط بها .
هناك عملنا وقضيتنا وثورتنا الفتية . ولا بد من أن نضحى فى
سبيلها بعواطفنا ...

فاليه : ما أهون التضحية بالعواطف على من لا عواطف لهم !
فان هم الا كتلة من المنافع ...

جيروم : ما لنا ولهؤلاء ! انما نتحدث عنم يعيشون لمبادئهم
وأفكارهم ...

فاليه : هناك من يموتون فى سبيل المبادئ ، كما ان هناك
من يعيشون منها وعليها ...

جيروم : ماذا تريد أن تقول يا فاليه ؟ كانى بك تعرض بى
وتهاجمنى ...

فاليه : أجل !

جيروم : ألا تستطيع فى هذه الساعة التى بهم بك فيها كل انسان فى باريس ، أن تعرف مبلغ ما أكنه لك من حب و اخلاص حين أفتح لك ذراعى وبيتى ؟ ..

فاليه : انى أكره المهادين للشر ، والمحاذرين ، والجبناء ! ..

جيروم : أنا لا يوجه الى هذا الكلام ..

فاليه : بل اليك أوجهه ...

جيروم : ولكن اذا كنت تكرهنى الى هذا الحد ، فلماذا لجأت الى بيتى ؟

(لكن فاليه لا يجيبه ، بل ينقل نظراته الى الباب الذى يفتح وتدخل منه صوفى ، فترتسم على ملامحه رقة وهيام .. ويلاحظ جيروم ذلك ... ولكن صوفى تصيح فى لهفة وجزع) :

صوفى : لقد حضروا يا جيروم .. لقد هلك !

جيروم (شاردا مذهولا مما لاحظته) : من هم الذين حضروا ؟

صوفى : الشوارع محاصر ، والجنود يفتشون المنازل واحدا واحدا ... هيا انج بنفسك يا فاليه .

جيروم : الهرب مستحيل ، فالشارع محاصر .. ولكن فى وسعنا أن نخبئه ..

صوفى : أرجوك . يجب أن ينجو .. فلو وجدوه هنا لهلك ..

جيروم : وهلكت أنت أيضا ...

صوفى : حياتى لا تهمنى اذا نجت حياته .. يجب أن يعيش . لا أريده أن يموت بأى ثمن !

فاليه : الآن لا يهمنى الموت ... فسوف نعيش معا ، أو نموت معا !

صوفى : بل نعيش !

فاليه : اذن سنعيش !

◆ لقد نسيا الخطر ، ونسيا جيروم فى غمرة حماستهما

لعبة الحب والموت

وفرجهما بحبهما الفتى .. وقد تشابكت يداهما، ونظراتهما! .. وتمضي لحظة صمت ثم يتكلم جيروم بفتور :

جيروم : الوقت ثمين وضيق . هيا يا صوفي خبيثه فى الفجوة السرية وراء الفراش ، تلك الفجوة التى أحفظ فيها أوراقى السرية ، فانها تتسع لشخص يتمدد فيها .. هيا ... ولكن خذى له هذا القرص السام .. حتى اذا كشف الامر ، ولم يبق من الموت مفر ..؟! وخذى أنت أيضا يا صوفي هذا القرص ... خذيه ، فقد احتفظت لنفسى بنصيبى ... أسرعا ..!

جيروم (وحيدا) : انهما متحابان ! وهذا أعز الاصدقاء، لا يتردد فى قتلى لو استطاع ليختلس منى زوجته ! وهذه أكرم الزوجات وأوفاهن وقد تكشف نقاب الرياء عن تواطئها وإياه ! ولا شك أن قلبها ينطوى على تمنى الموت لى ، أنا الحائل دون سعادتهما فى هواهما الجامع .. وما بى من رغبة فى أن أحفظ قسرا بامرأة لا تحبني ولا تطلب قربى . بل ما بى من رغبة فى أن أحفظ بحياة هذا مبلغ حظى منها ، فهى حياة لا تستحق حتى الكراهية والحفيظة . بل لا تستحق الاحتقار ! لقد كان يمسكنى بالحياة خيط واحد ، وقد انقطع الآن هذا الخيط . فليكن الآن ما يكون .. فانى أترك هذه الحياة البشرية غير ناقم ، ولا أسف على فراقها ..! (يتناول أوراقا من مكتبه فينثرها فوقه بشكل ظاهر !) حسبهم أن يعثروا بهذه الاوراق عند التفتيش كي يحكموا باعدامى !

♦ **ويطرق الباب ، فيفتحه جيروم كورفوازيه لرئيس اللجنة الفرعية وجنوده . ويبسدا التفتيش فى كل مكان ، والرئيس العامى الامى السوفى يعتمد التحرش والنكاية بهذا العالم الفذ، لانه عالم ، ولانه فذ ! ويعتمد اتلاف اللوحات الفنية والزخارف الثمينة ، لان الفن شئ، ارستقراطى بغيض ! .. وأخيرا يعثر على الاوراق ، وقد لفت جيروم نظره متعمدا اليها بحركة حذر**

مفتعلة ، فيهلل فرحا بالنصر ، وبأنه قد ظفر برأس «كورفوازيه» الشهير بهذه الاوراق التى تهاجم لجنة الامن العام وتتهمها بالاستبداد! .. ويهم بأن يقبض على جيروم من فوره ، لولا ان «كارنو» عضو لجنة الامن العام العليا يصل فى تلك اللحظة فيمتهر القانمين بالتفتيش! ..

كارنو : ارفعوا ايديكم عن هذا الرجل ... واحترموا اهل الفضل والاحترام !

الرئيس : أهناك امتيازات لاعداء الجمهورية ؟

كارنو : ان الجمهورية يا هذا مدينة لرأس هذا الرجل بما لا تدين به لالف من أمثالك ! ان مكتشفاته العلمية هى التى مكنت جيوشها من النصر بعد اليأس القاتل ... انه أجنحة النسر !

الرئيس : وأنا أكره النسر ... لانها تعلو عن الارض . وعن المستوى العام ... ونحن نطلب أن يكون الكل سواسية . ليسقط العلية ! وسأحتفظ بهذه الوثائق اللطيفة ! (ثم يخرج مع جنوده متدبرا ، ويبقى كارنو وصديقه كورفوازيه وحدهما)
كارنو : ماذا فى هذه الاوراق ؟

جيروم : وثيقة اتهامى .. اتهامى للطغاة . ودليل اتهامهم لى بالتمرد على الطغيان ، أى بالخيانة والغدر ... فالطغيان الآن كنجوم السماء ، اذا رميناه بحجر ارتد علينا وحططنا !

كارنو : لقد سبقنى الاوغاد ، وكنت أحسب انى سأسبقهم . والوقت الآن ضيق . اسمع . لقد رتبتم أمر نجاتك الى الحدود بجوازين مزورين أنت وامراتك .. فروبسيبير لا يستطيع أن ينسى خدماتك للجمهورية ، وقد أغضى عن موقفك ووافق على تيسير هربك ، حتى لا يحتمل أمام التاريخ وزر دمك ، وأنت عالم الثورة الاكبر ... بل انه كان يود أن يحتفظ برأسك ذخيرة وطنية وكنزا لخدمة الجمهورية . ولكن تصرفاتك زادت الامر

حرجا ، حتى لم يبق مناص : أما من تهريبك ، أو اعدامك ! ..
الا اذا أعلنت صراحة موافقتك على القرارات الاخيرة للجمعية
بالقضاء على المترددين والمعارضين ...

جيروم : الموت أحب الى من هذه الموافقة ... فلن أوافق - أنا
نصير حقوق الإنسان وحرية الفرد الشخصية - على عبودية
الانسان للدولة !

كارنو : وهل نسيت انه لا حرية للفرد الا بسلطان الدولة
وقوتها ؟

جيروم : ولا حرية كذلك للفرد اذا ابتلعت الدولة تلك الحرية
والتهمتها ! ... ولا قيمة عندي لمجد الدولة اذا دفعنا في سبيله
أثمن ما في الحياة ، وهو فضائل الشرف والمحبة والاخاء ! ان
الدولة لا تقوم الا من أجل هذه الاشياء وحمايتها ، فكيف نجعلها
تفترسها وتتغذى بها وتقف فوق جثتها ؟ لا كانت الدولة اذن
اذا أهدرت روح العدالة وحرمتنا احترام أنفسنا وحرية ضماثنا !
وانى أسجل هذا الاحتجاج بدمى ، وأدفع ثمنه حياتي ...
ولا أراها حينئذ قد ضاعت سدى .. ولا أسف الا على ما تركته
دون تمام من أعمال وأبحاث علمية . فقد كان العلم وحده هو
الصديق الوفى الذى لم يخيب أملى وحسن ظنى فيه ! ..

كارنو : اذن خذ هذين الجوازين ، واعلم اننى حجزت مكانين
لكما فى العربة التى تسافر الى ديجون عند منتصف الليل ،
لانى كنت واثقا مقدما من رفضك .. ففى نفسى مثل ما فى
نفسك من مرارة وتقزز ، ولكنى لا زلت آمل فى صلاح الاحوال
يوما ما ! .. فلترحلا الليلة .. والافات الوقت ، فسيحضرون
الى هنا عند الفجر للقبض عليكما ... وداعا !

♦ ويخرج ، بينما يظل جيروم دى كورفوازيه جالسا الى
مكتبه يفكر ، حتى يفتح باب حجرة النوم وتطل منسه صوفى
فى حذر :

صوفى : هل انصرفوا ؟

جيروم : نعم . . .

صوفى : ولماذا أتى كارنو ؟

جيروم : لا وقت لدينا لتجاذب أطراف الحديث ، فالدقائق معدودة ، ويجب أن نقول ما لدينا قبل أن نخرج هذا الرجل الآخر من مكنه . . أنت تحبين هذا الرجل . لا تتكلمي . أنا أعرف كل شيء . ولست ألومك . فأنا أعرف عفتك وولاءك . وما دمت لم تستطيعي المقاومة ، فلا بد أن أحدا غيرك ما كان ليستطيعها . . وأنا لا أطلب ما لا يستطيع . . .

صوفى : أنا أحبه حقا . فاغفر لى . . .

جيروم : اذهبي ، فأنت حرة ! . . ولست حائقا على أحد ، فليس الذنب ذنبى ، ولا ذنبك ، ولا ذنب أى انسان . . . الذنب ذنب الحياة !

صوفى : ولكنك ستتعذب . .

جيروم : فى مثل سننى ، لا وقت لى كى أتعذب . فلا تفكرى الا فى نفسك وسعادتك . . . اذا كان الى السعادة الحققة من سبيل . .



◆ تتكىء الزوجة على المدفأة وهى واقفة ، وتتنجب ووجهها بين يديها . . فينجنى الزوج التمس عليها فى حنان أبوى ويربت على رأسها حتى تهدأ . . وهو يرمقها باشفاق :

صوفى : لوددت أن أقيم على حبك وعهدك حتى الموت ، وأن

اشترى سعادتك بكتمان ما فى نفسى من عاطفة هوجاء ، بيد
انها كانت أقوى منى فغلبتنى على أمرى ! لماذا تتغير القلوب
ويختلف اتجاه الهوى ما بين عام وعام ؟ لماذا أحبك بكل ما هو
سام نبيل ، وأحبه بكل ما هو عنيف قاهر فى تكوينى ؟ لماذا ؟
لماذا ؟ ..

جيروم : لا عليك ! فاني رجل العلم والحياة . وقد عهدت
الطبيعة لا تكثرث للعواطف ومبادئ الاخلاق .. فالذنب يا بنيتى
ذنب الحياة . اسمعي . سترحلان هذه الليلة معسا ، بهذين
الجوازين الرسميين باسمين مستعارين ، حتى تبلفا الحدود ..
هيا معه ، انقذى حياتك ، وهناك .. هيا ولا تترددى ..
صوفى : كلا .. أنت نبيل وكريم .. ولكنى لا أستطيع
فراقك فى هذا الظرف ..

جيروم : لقد فارقتنى بقلبك يا صوفى ، فلا عليك فى الحقيقة
من بأس .. !

صوفى : وا حر قلباه ! وا عذاياه ! لقد منحتك الحب والوفاء
حتى أمس ، فمالى اليوم أتركك بلا حب ولا وفاء ؟ وهل بقيت
عندى قدرة على اقامة حياة جديدة ؟ وهل تواتبنى الثقة فى الحياة
بعد هذا الذى عانيت من تقلبها فى قلبى ؟

جيروم : على رسلك ! وهونى عليك ! فالحياة التى تموت فى
كل ليلة ، وتولد وتتجدد فى كل صباح ، قيمة أن تسكب فى
قلبك النسيان ، وتجدد فى عودك أوراقا خضراء ، لا يقلقها انها
نبئت مكان أوراق أخرى جفت وسقطت وذرتها رياح الخريف !
.. هيا ولا تترددى ، فالوقت ثمين .. والدقائق معدودات !

صوفى : ولكن كيف حصلت على هذين الجوازين ؟ ..

جيروم : أعطانيهما كارنو ...

صوفى : آه ! لقد أعدهما لنا ، لك ولى .. أنت اذن فى خطر ؟

جيروم : لا خطر على الاطلاق . هيا ولا تضيعى الوقت ، كى

نفدى من تحببى ...

صوفى : كلا ! لن افارقك ، أو نذهب معا ! .. أنت فى خطر ، وأنت زوجى ، وصديقى ، وأبى ، وصفى أيامى ، ونجى أحلامى .. أحمل اسمك ، وأشاركك حلوك ومرك ..

♦ **يظهر فاليه عند عتبة الباب مضطرب الثياب شاخص الوجه :**
فاليه : هل ذهبوا ؟

جيروم : أجل ، ولكنهم سيعودون عند منتصف الليل .. اجلس قليلا فانى أريد أن أتحدث اليك . لقد أقنعت زوجتى بمغادرة باريس بعض الوقت لأسباب صحية ، ولن أستطيع مرافقتها لكثرة أعمالى هنا ، فهناك جواز سفرى وأرجل معها الى بلدها بجوار الحدود ، ومن هناك تستطيع أن تجتاز الحدود الى الحرية والسلام ..

(يتناول فاليه الجواز ويتأمله مبهوتا معقود اللسان من فرط فرحته ! .. أما صوفى فتتناول جواز سفرها ، وبعد أن تنقل بصرها لحظة بين الرجلين .. تمزقه وتلقيه فى نار المدفأة !! .. ثم تتجه نحو فاليه فتقول له بكل هدوء وسكينة نفس :

صوفى : لقد برح الخفاء أيها الصديق . ان زوجى يعرف سرنا ، وقد اعترفت له بالحقيقة ، فكان من الكرم بحيث رد على حريتى كى أذهب معك . ولكنى وقد استرددت حريتى منه ، قررت البقاء الى جواره بمحض اختيارى .. (وتوجه الى زوجها فتهد إليه !)

فاليه : انك لم تحببى حبا حقا فى يوم من الايام !
صوفى : بل أحبك ، وسأحبك على الدوام .. ولكنى لن أكون العوبة هواى مهما طغى !

فاليه : الحب والكبرياء لا يتلازمان .. أنت عبدة الكبرياء ، لا عابدة الحب !

صوفى : وهل كنت تحببى لو كنت مبتذلة منحتك نفسى

رخصه ؟ هيا أيها الصديق ، أنج بنفسك ولا تفلت فرصة العمر .. أما أنا فقد أحرقت جوازي !
فاليه : اذن سأبقى !
جيروم : انه القبض الليلة ، والمحكمة غدا ، والاعدام عند الغروب !

فاليه : رباه ! لا أريد أن أموت . كلا . انقذاني ...
جيروم : هذا هو الطريق ..
فاليه (يقف ولكنه يتردد) : يملؤنى الخزي من نفسى ..
صوفى (تضع على كتفيه معطفا ، فى حنان الام) : لا عليك .
 فانى أريد لك أن تعيش ، ويسرنى أن أراك تتعلق بالحياة !
فاليه : أكرهها وأتعلق بها فى وقت معا ! ولكن ماذا حدث لى ؟
 لقد تحدثت الموت كى آتى اليك . وهأنذا أفارقك اشفاقا من الموت ؟ ما أحقرنى ! ..
جيروم (بحنان وعطف) : هون عليك . هذه هى الحياة .
 والذنب ذنبها ، ولا ذنب لك ! ..
(يتحنى فاليه فوق أنامل صوفى فيقبلها ، ثم يصافح يد كورفوآزيه الممدودة اليه ، ويخرج بعد أن يقول لمنقذيه :
 « وداعا ! »)

◆ ويبقى الزوجان وحدهما ، هادئين فى وجه الموت ، وفى انتظاره ..

جيروم : ألسنت نادمة ؟
صوفى : هل قضى علينا حقا ؟
جيروم : لا مناص ...
صوفى : اذن فلا بأس ، فقد انتهت دوامة الحياة : فلا رغبة ، ولا أمل ، ولا حرج ، ولا صراع ، ولا اختيار ، وانما الراحة الكبرى ! ..
(تضع رأسها على كتف زوجها الذى يحلق فى النار ساكن الاسارير) .. يا زوجى النبيل العزيز .. يا من ضحيت بنفسك فى سبيلى ..

جيروم : ليس فى اسعاد من نحب تضحية يا صوفى ... ألا تذكرين أمسية كهذه ملئت فيها على أذنك وهمست فيها « اغفرى لى اننى أحببتك ؟ »

صوفى : نعم أذكر .. والآن ، هل غفرت لى اننى نسيت ذلك يوما فى حياتى ؟

(فيقبل جبينها فى رقة وصفاء ويربت على كتفها الهشة)
جيروم : أو لم أنس أنا أيضا واجبى فى الصراحة وشجاعة الرأى ؟ لقد هادنت الطغاة وسكت عنهم . والساكت عن الحق سيطان أخرس ... وها قد انتهى كل شيء ...
صوفى : أجل ، والحمد لله انه انتهى ... فقد بلغ منى الكلال غايته ، واشتاقنت نفسى أن تستريح ... بلا ندم ، ولا حقد . ولا أسى ..

(الباب يذق ، ثم يفتح بعنف ، ويدخل منه الجنود !)

(ستار)

من هو بطل القصة ؟

♦ اما وقد فرغت من قراءة ملحمة «رولان» الجبارة هذه فاعلمك لاحظت انها تلقى فى روعك ان بطلها «جيروم كورفوازييه» شخصية حقيقية ، كان لها دورها فى الثورة الفرنسية الكبرى .. لكننا بالرجوع الى التاريخ لا نجد أثرا لشخص بهذا الاسم !

اذن فما هو مفتاح هذا اللغز ؟

أغلب ظنى ان المؤلف قصد باسم «كورفوازييه» أن يتستر على كرامة البطل الحقيقي الذى عناه بقصته ، والذى أرجح أنه «لافوازييه» ، العالم الكيميائى المشهور :

فاولا ، هناك تشابه لا شك فيه بين الاسمين !

وثانيا ، ان لافوازييه كان بالفعل عالما كيميائيا ذائع الصيت ، بل انه يعتبر مؤسس علم الكيمياء الحديث ، ومكتشف تركيب الهواء ووظيفة

الاوكسجين في التنفس ، وله ابحاث هامة في الحرارة وغيرها من ابواب علم الطبيعة .. الخ

وثالثا ، انه اعدم بالقتله في الثورة الفرنسية بالفعل ، وفي عام ١٧٩٤ بالذات الذي تخبره المؤلف تاريخيا لاعدام بطل قصته !
ورابعا ، انه مات دون أن ينجب من زوجته تسلا - مثل «كورفوازييه» بطل القصة !

وخامسا ، انه أدى بدوره خدمات هائلة لوطنه ولدولاب الثورة ، بل بوصل الى اكتشاف يزيد من قوة انفجار البارود بنسبة الثلث ، الامر الذي كان له فضل كبير في تغيير دفة القتال بين الانجليز وجيش الثورة يومئذ بحيث نقلب الاخرون فجأة ، بعد ان كانوا مغلوبين على امرهم ...

وحين انقلبت الثورة على نفسها - كالقطة تاكل بنيها - قدم لافوازييه للمحاكمة مع ٢٧ من زملائه الاحرار ، يوم ٢ مايو سنة ١٧٨٤ ، فحكم عليهم جميعا بالموت .. ولم يلبث أن نفذ فيهم الحكم بعد يومين من ذلك التاريخ ! وقد علق احدهم على اعدام لافوازييه بقوله : «ان الامر لم يحوج الدولة الا الى ثوان معدودات كي تفصل رأسه عن جسده .. لكنها قد تحتاج الى قرن كامل من الزمان كي تجد رأسا آخر يعوضها عنه !»

المؤلف

(١٨٦٦ - ١٩٤٤)

♦ والان ، أحسبك ايها القارئ تريد ان تعرف تسيينا عن مؤلف هذه المسرحية الدامية ، الدامعة ؟! .. والحق اننى منذ بعيد اتمنى ان اقدم لك هذا الاديب الفرنسى الفحل ، الذى تضارع مكانته في الادب الفرنسى الحديث مكانة «ستيفان زفايج» في الادب النمساوى و«تولستوى» في الادب الروسى ... واذا كانت هذه العجالة المختصرة لا تغنى (رومان رولان) حقه او يعضى حقه ، فعسى - في انتظار فرصة اخرى افسح وارحب - ان اقدم اليك اليوم حياته ومؤلفاته في سطور ..

ولد (رولان) في ٢٩ يناير سنة ١٨٦٦ ببلدة «كليمسي» باقليم (تيفر) ، ونلقى علومه الاولى في مسقط رأسه ، ثم اكملها في باريس ، حيث سطع نجمه كطالب ممتاز . وفي المدة بين ١٨٨٩ و ١٨٩١ التحق بالمدرسة الفرنسية بروما وفي سنة ١٨٩٥ عين مدرسا لتاريخ الفن في مدرسة «النورمال» العليا ، فمدرسا في «السوربون» ، حيث ادخل لأول مرة دراسة «تاريخ الموسيقى» .. وفي تلك الفترة كتب مؤلفاته الاولى في النقد والتاريخ ، ومنها : اصول المسرح الغنائي

الحديث ، «تاريخ الاوبرا في أوروبا قبل لولى وسكارلاتي» (١٨٩٥) ، اسباب انحلال فن الرسم الايطالى ، مسرح الشعب (١٩٠١) ، دراسات في «ميليه» (١٩٠٢) ، بيتهوفن (١٩٠٣) ، ميكيل انجلو (١٩٠٦) ، ماسى الايمان ، سان لوى ، آير ، انتصار العقل (١٩١٢) . . على أن أعظم مؤلفاته قاطبة قصته المشهورة «جين كريستوف» التى أصدرها فى عشرة مجلدات فى المدة بين سنة ١٩٠٤ - ١٩١٢ ، وهى تصور حياة موسيقى المانى ، وتنقسم الى ثلاث مراحل : «جين كريستوف» ، و«جين كريستوف فى باريس» ، و«نهاية رحلة»

♦ وعندما اندلعت الحرب العالمية الاولى كان رومان رولان فى سويسرا ، فنشر خطابا مفتوحا الى الرئيس هاوبتمان يعرب عن ذعره واستبشاعه لجريمة حرق «لوفان» ، فكسب بذلك عداوة الالمان . . كما كسب عداوة الفرنسيين انفسهم بسلسلة مقالاته السياسية التى نشرها فى (جريدة جنيف) خلال سبتمبر واکتوبر سنة ١٩١٤ . ولكن برغم أن سمعته فى وطنه قد تأثرت بسبب آرائه السياسية ، فانها ارتفعت وسمت فى خارج فرنسا ، ولا سيما حين مثلت مجموعة مسرحياته التى تصور الثورة الفرنسية ، ومنها : دانتون ، ١٤ يوليو ، اللثاب ، ثم لعبة الحب والموت (التي قدمتها لك اليوم) وقد أحدثت جميعها ضجة وحماسة هائلتين فى برلين - ثم أعقبها بسيل آخر من المؤلفات الممتازة ، منها : كولا برونيون (١٩١٨) ، البشرون (١٩١٩) ، كليرامبو ، بيرر ولوى (١٩١٩) ، رحلة موسيقية فى بلاد الماضى ، ليولى . وفى سنة ١٩٢٢ أصدر الجزء الاول من سلسلة «الروح المسلوقة لللب» التى منها : انيت وسيلفى (١٩٢٢) ، الصيف (١٩٢٤) ، الام والابن (١٩٢٧) ، بيتهوفن الخالق (١٩٢٩) . .

♦ وقد فاز «رومان رولان» بجائزة نوبل فى الادب سنة ١٩١٥ ، وفى سنة ١٩٢٤ أصدر كتابه العظيم «المهاتما غاندى» الذى دافع فيه عن الزعيم الهندى دفاعا حماسيا حارا !

وبعد عشرين عاما من ذلك التاريخ مات رومان رولان فى «فيلپلاي» بفرنسا يوم ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٤٤ . . بعد أن شهد ، بنشوب الحرب العالمية الثانية ، مصرع آماله النبيلة فى سلام عالمى دائم ! وفى فرصة اخرى أرجو أن اقدم لك المزيد عن حياة رولان ، وادبه ، وقصصه الانسانية الزاخرة بالانفعالات . . والاحاسيس - العنيفة ، والمغبلة - ثم بالمثل العليا السامية . . والقيم الانسانية الرفيعة . .

قصة قصيرة .

الزئبق!

للروائي الإيطالي "جيوفاني فثرخيا"



— ١ —

◆ كانت طويلة ، ونحيلة ، لكنها كانت ذات صدر ثابت مليء ، شأن السمرات دائما - رغم أنها لم تعد شابة !.. وكان وجهها شاحبا - كما لو كانت مريضة «باللاريا» على الدوام ! - نزل منه عيتان واسعتان فاحمتا السواد .. أما شفاتها فكانتا حمراوين ، طازجتين دائما ، تبدوان في أى وقت وكأنهما تشتتهيان أن تاكلاك .. !

وكان أهل القرية يسمونها «الزئبق» ، لأنها ما كانت تشبع قط من شيء .. أما النساء فكان ينظرن كلما رأيتها مارة بهن ، وحيدة ، ككلبة ضارية تبحث عن صيد دسم ، وفي حركاتها الفاضية المريبة ما يذكر بالذئاب الجائعة .. فقد الفت أن تمتص ماء الحياة من أبناءهن وازواجهن في طرفة عين ، بشفتيها القرمزيتين ! كان يكفي أن ترمقهم بنظرة من عينيها الكحيلتين الشريرتين كي ينطلقوا وراءها كالسمورين ، ولو كانوا عاندين لتوهم من صلاة حارة امام مذبح القديسة «اجريينا» !.. وكان من حسن الحظ ان الزئبق لا تدخل الكنيسة قط ، لا في عيد القيامة ، ولا في عيد الميلاد .. لا لتسمع القداس ، ولا لتعترف !.. وفي المرة الوحيدة التي دخلتها فيها أضلت خادما تقيا من خدام الله ، ففقد سلامه الروحي وغوى بسببها !

◆ وكانت «ماريكا» المسكينة فتاة طيبة وظريفة ، لكنها كانت دائمة البكاء ، لأنها ابنة «الزئبق» ، وما من أحد يمكن ان يقدم على الزواج منها .. ورغم قطعة الارض الخصبة المشمسة التي تملكها في القرية !

وذات يوم وقعت «الزئبق» في هوى فتى وسيم كان قد عاد لتوه من الخدمة العسكرية فاشتغل بالحصاد معها جنبا الى جنب في الحقل الذي

يملكه محامي القرية . كانا يقضيان النهار متجاورين يقتلعان المحصول ، فتدلت
الذئبة في حبه .. أحبته ذلك الحب الذي يشعر بان جسده يحترق تحت
تيابك ! الحب الذي تقاسى منه ، كلما التقت عيناك بعيني محبوبتك ، ذلك
الظما الموجه الذي تقاسيه في ساعات يونيو القاتلة وانت تعمل تحت الشمس
المحرقة .. !



❖ لكن الفتى لم يابه لها ، بل ظل يتابع عمله الى جوارها وهو محتفظ
بهويته المألوف، فيما عدا بعض عبارات التجاهل القاسي التي كان يصدها بها بين
وقت وآخر حين يقول لها : « ماذا .. ماذا بك يا «مدام بينا» ؟ هل انت
مريضة اليوم ؟ »

أما هي فلم تياس ! ظلت تأتي الى الحقل كل يوم ، فتتكب على جمع
المحصول حزمة بعد حزمة ، تحت لهيب الشمس المتلظية ، دون أن تشكو من
التمب .. بل دون أن ترفع ظهرها لحظة أو ترطب شفيتها بجرعة من زجاجة
الماء ، كي لا تبعد وجهها قيد أنملة عن أنفاس معشوقها «ناني» ، الذي لا ينفك
يحصد ويحصد .. ويسألها من وقت لآخر : «ماذا ؟ ماذا تبفين يا مدام بينا ؟ »
.. حتى كان مساء خلا لها فيه «الجو» ، حينما ابتعد الحصادون الى
ظلة نائية استلقوا تحتها وراحوا في اغفائة من تأثير غناء النهار الطويل . وكانت
الكلاب تنبح من بعيد في الحقول المعتمة الترامية .. فالتفتت الذئبة الى
«ناني» وأجابته : «انت !.. اريدك انت !.. انك لجميل كضياء النهار ،
حلو كالشهد .. اريدك انت يا فتى !»

فاجابها ناني ضاحكا : «لكني افضل أن أحصل على فتاتك ذات الشباب
الصباح !» .. فرفعت الذئبة يديها الى راسها ومزقت رباط شعرها ، دون
أن تنطق بحرف .. ثم ذهبت !
ولم تعد الى الحقل منذ ذلك اليوم !

❖ ومضت اسابيع لم يقع فيها بصر الذئبة على «ناني» .. حتى بدا موسم
عصر الزيتون في أكتوبر ، وكانت طاحونة العصر التي اشتغل الفتى فيها في ذلك
الخريف قريبة من بيتها ، وصوتها الزعزع يحرمها من النوم طيلة الليل ..

فالتفت اللبنة الى ابنتها ذات صباح وقالت لها «احضري آنية زيت الزيتون وتمالي مما نملؤها»

كان ناني حين دخلت عليه يقلد بالزيتون نحت حجر الرحي في الفرفة المظلمة كالقبو ، ويصيح بالبفل الذي يدير الحجر صياحه التقليدي، يستعته به على مواصلة الدوران .. فسألته مدام بينا : «هل تريد ابنتي ماريكيا؟» .. فأجابها متسائلا : «وماذا نعطينها في هذه الحال؟»

— انها تملك ما خلعه لها والدها ، فوق انى ساهبها بيتى . ويكفينى ان تتركنا لى ركننا فى المطبخ انام فيه على فراش من القش .. !
— حسنا ، اذا كان الامر كذلك ففى وسعنا ان نتحدث بشأنه قرب عيد الميلاد ..

لكن ناني كان ساعتئذ اشعث الشعر متسرخ الجسم والشباب بالزيت ، فلم يعجب الفتاة .. فلما عادت مع امها الى البيت اعربت لها عن رفضها الزواج منه .. فلما كان من اللبنة الا ان أمسكت بابنتها من شعرها امام المدفأة وقالت لها وهى تصر على أسنانها فى لهجة التوعد : «اذا لم تتزوجيه فسوف ألقى بك فى النار»

— ٢ —

◆ وبعد الزواج ، كلفت (اللبنة) عن التجوال فى اوقات فراغها فى انحاء القرية ، كالكلبة الجائعة .. ولم تعد تجلس فى نافذة بيتها ترمىق المارة بنظرات المرأة التى تسكن جسدها الارواح الشريرة ..! فأخذ أهل القرية يعلقون على هذا التبعيل بقولهم ان الشيطان يصير راهبا حين يتقدم فى العمر! .. بينما رجح آخرون انها لا بد «مريضة» ..! لكنها مع ذلك لم ترحم زوج ابنتها من نظراتها الجائعة ، التى كان الفتى يقاومها بضحكة ساخرة وهو يخرج صورة المدراء المعلقة حول رفبته ، كى يحتفى بها من الفتنة الصارية الاخذه بتلابيبه !

وكانت ضحكته هذه تثيرها ، فتهرب الى الحقول كى تدفن همها فى اعمال الرجال : تزرع ، وتحصد ، وترعى الماشية ، وتجتنى الكروم .. غير عابئة ببرد يناير القارس او سموم المسطس الافريقية اللافة .. وفى الوقت ما بين الغروب والليل ، حين لا تفرج امرأة فاضلة الى الطرقات ، كانت مدام بينا

هي المخلوقة الوحيدة التي ترى جائلة في صواحي القرية ، في الحقول الوعرة
أو في الطرقات الملتهبة الاحجار من حرارة ما بعد الظهر .. فقد استألفت
اللبة سيرتها الاولى من التجوال في الشوارع كالكلبة الجائعة !
وذات مساء .. خرجت تسمى نحو حظيرة الغنم التي كان الفتى يجرسها
في تلك الآونة .. فوجدته مضطجعا تحت ظلة من القش ولراءه تحت راسه ،
فهمست له في صوت مبجوح بانفعال الرغبة : «استيقظ . لقد احضرت لك
نبيذا يربط حلقك ..»

فتح ناني عينيه عن آخرها كطفل أزعج في نومه .. و بوعي ما بين
النماس واليقظة رآها منحنية فوقه بصدرها الزجاج المتمجرف ، ووجهها
الشاحب ، وعينيها السوداوين كاللحم .. فمد ذراعيه في لعر يفرأ جسدها
عنه ! وتهد وهو يدفن وجهه في العشائش الجافة مشيعا عنها ، ممزقا شعره
بيديه .. ثم صاح بها : «ماذا خرجت تفعلن بعد الفسق ؟ ايك مني .. اهي
بعيدا .. واياك أن تحضري الى الحظيرة مرة أخرى !!»
ولذبت بالقل ، تمر الاحراش الملتهبة وهي تتميز غيظا ، محملة
ببصرها الى الامام في نظرات زائلة ، وقد أخذت تميد تصفيف الخصلات التي
تناثرت من شعرها الاسود الفاحم ..

« لكنها عادت الى الحظيرة .. مرة أخرى .. ولم يعد ناني يقول شيئا !
بل صار يقلق اذا تأخرت ، ويمضي الى قمة الطريق الابيض القفر ليهبث
منها ، والفرق يتصعب من جبهته !.. ولكن ليمود فينهرها في نهاية اللقاء
في كل مرة ، صائحا بها وهو يمزق شعره بيديه : «الاهبي .. الاهبي ، وحذار
ان تحضري الى الحظيرة مرة أخرى !!»

اما «ماريكيا» السكينة فلم يعد في وسمها غير أن تبكي ، ليل نهار ،
وتعديق في امها بعينين فطحهما الدموع ، ونظرات الهبتها القفرة - حتى لتبدو
بدورها كللبة صغيرة ! - وكلما رأت امها مقبلة من جهة الحظيرة ، شاحبة ،
صامتة دائما ، صاحت بها : «منحطة .. منحطة .. ام منحطة !!»

- أصمتي .. أصمتي !

- لصة .. لصة إلا لصة !

- اصمتي !

- ساذهب الى الشرطة .. ساذهب !

- انن فاذهبى ..

❖ ذهبت بالفعل، اخيرا ، وطفلا على ذراعها .. ذهبت بلا نهيب ولا وجل، ولا دموع في العين ، مندفعة كالمجنونة !.. فقد صارت بدورها عاشقة ! احبت الزوج الذى يخصها ، والذى ارغموها في البداية على قبوله وهو ملطخ بالزيت !! وخف الشرطى الى الزوج الاثم يهدده بالسجن وبالمشقة ، ان لم يرجع عن غيه ! فلم ينكر الفتى شيئا ، او يحاول تبرير فعلته ، بل ارتمى تحت قدمى الشرطى وهو يمزق شعره ويصرخ متوسلا : «انها غواية رهيبة .. بحق السماء انتشلنى من هذا الجحيم . واجعلهم يشقوننى .. او ارسلنى للسجن .. ولكن لا تدعنى اراها بعد الان قط .. قط !!»

فلما طلب الشرطى الى الذئبة ان تترك البيت اجابته في لهجة حازمة : «كلا ! ان البيت بيتى ، ولئن كنت قد اعطيته لابنتى كمهر عند زواجها وقنعت بركن صغير فى المطبخ انام فيه ، فانى ارفض ان اطرد اليوم منه !!»

❖ وبعد ساعات ، فيما كان نانى عائدا الى الحقل ، ركله بغل في صدره ركلة تركته بين الحياة والموت ! فاستدعوا له قسيس القرية كي يصلى من اجله .. لكن هذا رفض الصلاة مالم تطرد الذئبة من البيت ، فطردها .. واعترف الفتى بخطيئته ودلائل الندم والتوبة على محياه ، حتى لقد بكى الجيران الملتفون حول فراشه وهو يحتضر .. لكنه لم يموت . وليته مات هذه المرة .. قبل ان يعود الشيطان فيتملكه ، بمجرد شفائه !

- ٣ -

- « اتركينى لحالى بحق السماء ، دعينى فى امان ! لقد واجهت الموت ، وماريكيا المسكينة تكاد تجن ، وكل الناس يعلمون .. فخير لك ولى ان لا اراك ! »

- وكم كان يوده لو استطاع تمزيق عيشيه في محجريهما ، كي لا يرى تينك العينين ، عيني الذئبة ، وهما تتسلطان على جسده وروحه ، وتفقدانه ارادته !.. ولم يدرك ماذا يفعل ليتخلص من اسار سلطانها الذى ضربته من حوله : صار يتصدق على الفقراء ، ويسزور الرضى . واستنجد بمعونة القسيس ، والشرطى !.. وفي عيد الفصح مضى ليترف ، واعلن للجماهير

المؤلف

١٨٤٠ - ١٩٢٢

يعتبره أكثر النقاد أعظم كتاب القصة الإيطالية في أواخر القرن الماضي .. ويقارنون قصته هذه على الخصوص بأدب زولا وموباسان وتولستوى !.. ولد من أسرة كانت تقطن ميناء (قطانيا) بشبه جزيرة صقلية .. فلما بلغ العشرين عبر البحر إلى إيطاليا ، يحفزه ظمأ أهل الجنوب إلى الظهور والمباهاة والمجد الاجتماعي .. لكن طبيعته الأدبية المنطوية ، المتحفظة المترفة ، عاقته عن أن يصادف نجاحا في المجتمع الذي طالما استبد به الحنين إليه .. فعاش يحلم بحب النساء الأرستقراطيات الفاتنات ، ويحقق على الورق في قصصه الأولى أحلامه الخيالية العريضة بين أحضانهن !..

واشتغل بالصحافة ، فنجح فيها ، وعاش منها .. ففقد العشرين عاما التالية ينتقل بين ميلانو ، وفلورنسا ، ونابولي . وخلال هذه المدة كتب قصصه الطويلة الثلاث : «إيفا» ، «تيجر ريال» ، «أبروس» .. فلما بلغ الأربعين صدف عن الكتابة في حياة المدن ومجتمعات المترفين وشغف بتصوير أحوال أهل الريف السذج البسطاء ، فصدر مجموعته القصصية التي منها هذه القصة ، والتي صدرها بقصته الأخرى المشهورة (كافاليريا رستيكانا) ، التي اقتبست فيما بعد للأوبرا فخلدت اسمه بين الكتاب الكلاسيكيين العالميين !

الفقرة المجتمعة في الكنيسة انه خاطيء ، ويستحق أن يزحف على بطنه ويلعق أحجار عتبها المقدسة مسافة ستة أقدام !
ولكن دون جدوى !

❖ وفي المرة التالية ، حين جاءته الذئبة لتفويه كعادتها ، قال لها وهو يصر على أسنانه : «اسمعي يا هدى .. إذا جئت إلى هنا مرة أخرى فأني - كوتوقي من وجود الله فوقنا في السماء - موقن من أنني سأقتلك ! » .. فاجابته في غير مبالاة : «أقتلني إذن وعجل ، فلن أستطيع العيش بدونك !» وجاءته مرة أخرى !.. فلما لمحها من بعيد مقبلة بين حقول الحنطة الخضراء ، تراء عمله في الكرم ومضى ليتناول فأسه من تحت الشجرة . ثم راته الذئبة يتقدم نحوها شاحبا ، جاحظ العينين ، والفأس تلمع في يده .. لكنها لم تبطئ من خطاها ، أو تخفض من ناظرها ، بل مضت ميممة نحوه .. وعيناها السوداوان في عينيه !
- «آه .. لعنة الله عليك !»
وأهوى عليها .. !

عزيزى القارى . . .

قرات معى فى الاعداد السابقة من كتابى - فى هذا الباب - الكتب النفسية التالية : «كيف تصارح اولادك وبنتك بالحقائق الجنسية» للعالم النفسانى ماكيدونالد لاديل . . ثم «طريق السعادة الزوجية» لفردريك برينك . . و«مركب النفس - اسبابه وعلاجه وامثلته عند المظلماء» تاليف و.ج. ماكبرايد . . و«حواء الجديدة - مرشد المرأة العصرية المستترة الى سعادتها ، قبل الزواج وبعده» للدكتور كورتني بيسل . . و«كيف تقهر العجول» تاليف س.ه. ليار . . ثم «كيف تقهر القلق وتستمتع بالحياة» تاليف جون كينيدى .

وفى الاعداد الخمسة الماضية قدمت لك من فنون الحياة التى شرحها الاديب العالى اندريه موروا : فن الحب ، ثم فن الزواج ، وفن الحياة العائلية ، وفن الصداقة ، واخيرا فن العمل . . واليوم اقدم لك فنا سادسا هو فن الزعامة وقيادة الشعوب والجماعات . . يليه فى الاعداد القادمة بالذن الله : فن السعادة . . فن الشيطوخة . . فن التفكر الخ

خوافز الحياة



النفس
والجنس . .
والجمع . .



استدريجه موروا

فن القيادة

«قيادة الشعوب، والجماعات، والأفراد»



الزعامة أنواع ..

الزعامة التى يقصدها « أندريه مورو » فى كتابه هذا هى الزعامة بمعناها الاعم الشامل : زعامة السياسى على اتباعه .. وزعامة قائد الجيش على ضباطه .. وزعامة صاحب العمل على مرؤسيه .. وزعامة مدير المؤسسة او الادارة الحكومية على موظفيه .. وزعامة ناظر المدرسة على مدرسيه ، والمدرس على تلاميذه .. الخ

فكل من هؤلاء « زعيم » فى قومه ، يلزمه ان يتقن فن زعامته ، او فن قيادة وتوجيه مرؤسيه واتباعه على الصورة التى تحقق الصالح العام ، للشعب ، او الجيش ، او المؤسسة ، او المدرسة .. الخ وانه ليس « كتابى » ، وقد تخلصت البلاد من احزابها السياسية العتيقة التى نخرها سوس الفساد والتعفن ، ان يساهم فى البناء الجديد بهذه اللبنة المتواضعة التى تعرض للضوء فى هذه المناسبة آراء فيلسوف عالمى مرموق المكانة : هو أندريه مورو

كل عمل محتاج الى زعامة ..

◆ لا يحسن الناس الاضطلاع بعمل وانجازه على خير وجه ، ما لم يقيم من بينهم من يتولى توجيه جهودهم جميعا نحو الغاية التى ينشدونها .. وتتجلى هذه الظاهرة اوضح ما تكون فى الاعمال التى تتطلب تكاتفا منسقا .. فلن يقدر لشزيمة من العمال أن تمتد خطأ حديديا - مثلا - ما لم يرأسها شخص يشرف على حركاتها .. اذ أن كل عمل جماعى يعوزه التوجيه ، كفىل بأن ينتقل سريعا الى فوضى يفتقد فيها النظام .. ولعل من أتيح له القتال يوما فى الميدان ، قد أدرك ضرورة وجود قائد يتولى الامر .. وهذا الذى يصدق على الجيش ، يصدق على العمل فى أحواض السفن ، وفى المصانع ، وفى ادارات الصحف ، وفى الدولة بأسرها .. فلا بد من رئيس حينما كان على الرجال أن يعملوا معا .

وما أن يظهر الرئيس ، وتسيطر الزعامة وتنظم ، حتى يحل النظام محل الفوضى . . وان انقياد الامة للنظام ، أو تمردا عليه ، لرهن بما يكون لحكومتها من قدرة على الحكم أو عجز عن اقراره . .

تمهيد تاريخي

♦ ولم تستطع الانسانية خلال تاريخها الطويل أن تبتكر من أساليب اختيار الزعماء سوى عدد ضئيل . . وأقدم هذه الأساليب طرا ، هو نظام الوراثة . . وقد كانت القبائل الرحالة في قديم الازمان تختار الابن الاكبر لزعيمها المتوفي كى يخلفه ، ولولا نظام « الابن الاكبر » لتعرضت الجماعة لحروب بين الاخوة ، تعقبها الفرقة والضعف والانحلال . . أما بالنسبة للدول فان انتقال السلطة - بالوراثة - يتم بسلام فى الملكيات العريقة ذات الجلال والاحترام ، اذ يحظى وارث الزعامة بتقدير رعاياه ، مما يهيئ له - الى جانب السلطان - امتيازا طبيعيا تجعل أهميته عن كل تقدير . . والى مثل هذا الامتياز يعزى سمو مكانة صاحب العرش فى انجلترا . .

وقد أدرك « نابليون » هذه الحقيقة فرغب فى أن ينشئ من سلالته أسرة مالكة، اذ أدرك أن الملك يظل ملكا ولو منى بالهزيمة، فى حين ان الامبراطور الذى ينشئ عرشه بنفسه يظل بحاجة الى انتصارات مستمرة لتعزيز سلطانه . . !

وما يصح فى الدول ، يصح أيضا فى مؤسسات الاعمال التى ظلت أجيالا عديدة تحت اشراف أسرة واحدة . . **والخطر الاوحد لتوارث السلطة ، هو أن الابن الاكبر للأسرة - سواء فى ميدان الحكم أو ميدان الاعمال - قد يكون امعة أو ناقص العقل ، فهل حتم أن تسلم مقاليد الامة أو العمل الى زعامة عاجزة ؟** . . الواقع أن ليس ثمة ما يحتم ذلك ، وقد عمدت بعض البلاد - التى يمارس الحكم فيها بالوراثة - الى التجاوز عن الوراثة عند ما كان وارث الزعامة يبدو غير أهل لها . . من ذلك أن البرلمان الانجليزى

عدل نظام وراثته العرش مرارا ٠٠ كما أن من كبار رجال الاعمال في الولايات المتحدة من أقدموا في حياتهم على اجراءات للحد من السلطة التي قد تؤول الى غير الاكفاء من أبنائهم ٠٠!

الزعيم بالوراثة ، أو بالانتخاب ، أو الامتحان !

♦ **واهم** ما يجب أن يتوفر في الزعيم عند اختياره أن تكون زعامته موضوع اعتراف من الجميع ٠٠ فإن جميع الزعماء الذين تكون زعامتهم موضع تشكك ، يفتقدون القوة والنفوذ ٠٠ ومن ثم وجب أن يكون للزعيم الذي ينتخب ، نفوذ لا مرأ فيه على أولئك الذين آثروه بالاختيار ٠٠ على أنه كثيرا ما يحدث أن ينتخب شخص لصفات غير تلك التي تتطلب في الزعيم - كأن يكون لبقا أو طيب النفس - فلا يلبث أن يكشف عن ضعف وقلة شأن ٠٠ كذلك قد يحدث في الامة التي تفرقها الاحزاب ، أن لا يمثل الزعيم المنتخب سوى قسم يزيد قليلا عن نصف الناخبين ، فاذا ما أبغضه القسم الآخر ، نشأ عن ذلك موقف يهدد الدولة بالخطر ٠٠ وكم من دولة كبرى رأيناها حائرة ، متخاذلة ، لان الاغلبية فيها انتخبت زعيما لا يحوز ثقة الشعب بأكمله ٠٠

وتزداد خطورة انتخاب الزعيم حين يقتصر الامر على جماعة صغيرة - لا دولة - فهنا يمارس الزعيم سلطته مباشرة ٠٠ وكذلك الحال حين يتحتم إعادة انتخابه في فترات معينة ، اذ كيف يستطيع في هذه الحال أن يحظى بطاعة أولئك الذين سيتملقهم بعد قليل ليظفر بأصواتهم ؟

ولقد كانت الصين فيما مضى تختار حكامها عن طريق امتحانات ، اذا اجتازوها بنجاح فازوا باجازات ومناصب ٠٠ وتتبع هذه الطريقة في فرنسا اليوم ، الى حد ما ، اذ يتعين على الفرنسي أن يجتاز امتحانات معينة كي يفوز بمناصب الجيش ، والسلك الدبلوماسي ، ومعظم الادارات الحكومية الاخرى ٠٠ وهذه طريقة عادلة في ظاهرها ، اذ يخضع المتنافسون فيها

لظروف واحدة .. ولكنها - فى واقعها - تنطوى على عيوب جسيمة ، اذ ان تحديد السن فى الامتحان قد يضيع الفرصة على رجل منى ببطء النضوج العقلى .. فلا يشفع له أن يثبت حين يبلغ الاربعين من عمره انه زعيم حاذق .. ذلك لان صفات الزعيم الصالح قد تبقى كامنة ، لا تظهرها حتى الامتحانات فى الغالب ! ولذا نجد « بول فاليرى » لا يتردد فى القول بأن الانتخابات والشهادات هى أكبر عيوب عصرنا ..

ولا يكتمل نظام الاحتكام الى الامتحان للملء المناصب ، الا اذا تكرر عند كل ترقية جديدة تكون موضع تنافس - وهذا هو المتبع فى مهنة الطب فى فرنسا ..

هل يكون كبر السن فيصل التفرقة ؟

♦ **ولا يحتاج نظام الاعتماد على كبر السن فى اختيار القادة ورجال الحكم** ، الى كثير شرح .. فمن المسلم به ان الناس يكتسبون خبرة وتجربة كلما تقدمت بهم السن - ما لم يكونوا أغبياء أو بلهاء أو أغلقت عقولهم دون المعرفة والعلم ! - على أن أحدا لم يزعم يوما أن شهادات الميلاد تكفى لاختيار أفضل المسنين على كثرتهم .. ومن ثم لا يمكن اعتبار كبر السن شرطا مطلقا فى التعيين للمناصب ..

ويبدو أن خير طريقة معقولة هى أن يتولى الرؤساء أنفسهم اختيار مساعديهم التالين لهم مباشرة، اذ أنهم سيكونون مضطرين الى الاعتماد عليهم ، والى تحمل مسئولياتهم .. فالحاكم الذى ورث السلطان ، أو الرئيس المنتخب ، يختار رئيس وزرائه بموافقة جمعية تشرف على تصرفاته أو برلمان .. ورئيس الوزراء يختار بدوره وزراءه .. وهؤلاء يختارون موظفى اداراتهم .. وهكذا يتألف جهاز الحكم بشكل هرمى معكوس ، يبدأ عند الرأس وينحدر الى القاعدة !

والواقع ان هذا النظام صالح ما صلح البشر .. وهو يقوم

على مبدأ حكيم ، ولكن تطبيقه غير ميسور من الوجهة العملية ،
 إذ أننا إذا استثنينا مناصب رئيس الدولة وعدد من الوزراء
 السياسيين ، نجد أن التعيين في جميع الوظائف - بما فيها تلك
 التي تتطلب دراية علمية - يجب أن يقوم على أسس من القيم
 الفنية والأمانة الخلقية . فمن مصلحة البلاد - وبالتالي من
 يحكمونها - أن يكون قائد الجيش أو مدير السكك الحديدية
 ممن لا ترقى اليهم الشبهات ، مهما كانت آراؤه السياسية مثلا
 . . ومهما كان أصدقاؤه أو علاقاته . .

ولكننا لانستطيع أن نجرد البشر من العواطف القوية . . ومن
 ثم نجد الصداقة والقرابة والزمالة السياسية تلعب دورا في
 ملء المناصب ، وهي ظاهرة يؤسف لها أحيانا . . ومن ثم وجب
 أن نحاول أن نسيطر على أنفسنا وغيرنا ، حتى لا تضيع المواهب
 في غمرة العواطف !

وهناك حالات يبلغ فيها الارتباك بالامة درجة تبعث على اليأس
 والقنوط . . وفي هذه الحالات ، لا يختار الزعيم أحد ، وإنما
 يختاره الظروف . . من ذلك أن « كرومويل » لم نعيه سلطة
 عليا حين فُهِزَ الى زعامة انجلترا ، ولم يكن سوى شخص مغمور
 على رأس شردمة من الفرسان ! . . ولقد جعلت الثورة الفرنسية
 من « بوناپرت » قائدا ، فجعل هو من نفسه زعيما للامة . .
 الى غير ذلك من الامثلة التي تنكرر في جميع الشعوب وجميع
 العصور . . ومن الواضح أن الزعيم الذي يفوز بمكانته عنوة ،
 لا بد وأن يكون حائزا للصفات اللازمة لتوفرها للزعامة ، والا
 ما استطاع أن يحصل على السلطة . . وإذا كانت ثمة صعوبة ،
 فإنما تتمثل في تعرف ما اذا كانت مواهبه تؤهله لان يكون
 زعيما قوميا ، أو مجرد زعيم حزبي . .

وعندما يظفر زعيم لنفسه بالسلطة تنبت مشكلة من يخلفه
 في زعامته . . ولقد خلف « كرومويل » ابنه ولكنه لم يبق في

الحكم طويلا .. ومات ابن « بونايرت » فى متعاه بعيدا عن الوطن .. وأبغض خليفة « لينين » أعمال سلفه فقضى عليها .. نخلص من كل هذا الى أن اختيار الزعيم مشكلة لم تلق حنى اليوم حلا حاسما ، اذ يعتمد كل شىء على الظروف الماضية وأهداف الامه فى مستقبلها .. على أن الزعيم لا يستطيع أن يبقى فى زعامته - سواء كان قد نالها بالانتخاب أو بالتعيين ، وسواء فرض على أمنه بحكم مولده أو بقوته - ما لم يكن حائزا لملك الصفات التى تتطلبها الزعامة .. والتى نشرحها فيما يلى:

الحزم والصرامة من لوازم الزعيم

◆ تتمثل رسالة الزعيم فى توجيه أعمال سواء ، ومن ثم كان لزاما محتوما عليه أن يعرف الى أى هدف ينتوى أن يقودهم .. واذن فأهم صفة يجب أن تتوفر له هى قوة الإرادة ، اذ يجب أن يدرك كيف يتخذ القرارات وكيف يتحمل تبعاتها .. ومن الطبيعى أن عليه قبل أن يتخذ قرارا ، أن يلم بكافة المعلومات المتعلقة به ، وأن يتدبر جميع الظروف .. فاذا ما انتهى الى القرار وأصدر أمره به ، وجب أن يصبر عليه ويتمسك به ، ما لم تعترضه عقبة كآداء لم تكن فى الحساب .. فليس ادعى لتشبيط همم الاعوان من رئيس متردد .. وقد قال نابليون فى هذا الصدد : « ان الحزم يغلب كل شىء .. »

ولا بد للزعيم من شجاعة أدبية عارمة كى يتخذ القرارات ، فانها كثيرا ما تكون مؤلة له .. كما حدث للقائد الفرنسى « جوفر » فى بداية حرب سنة ١٩١٤ ، حين اضطر الى أن يقصى عن الجيش عددا كبيرا من القادة الذين كانوا أصدقاء له ! .. ذلك لأن سلامة الكثيرين ، تتطلب أحيانا التضحية بنفر قليل من الرجال .. وللزعيم أن يكون صارما ، بل أن الصرامة واجبة فى بعض الاحيان ، غير انه لا ينبغى له أن يكون شريرا ، أو قاسيا ، أو متعطشا للانتقام .. وعليه أن يزدري لفظ القول ، وأن يحرمه ان استطاع ..

النزاهة الزم للزعيم من الذكاء ..

♦ ويجب أن يحيط الزعيم نفسه بهيئة من الاعوان المخلصين الذين يتولون عنه القرارات غير ذات الاهمية الخطيرة ، على أن لا يدعمهم يطفون عليه ، أو يدع تصرفانهم تحجب تصرفاته .. وليختر لتنفيذ أوامره طائفة من العنبيين يصطفاهم ويودعهم ثقته ، ويبيع لهم حرية التصرف ، مكنفيا بأن يراجع ما يوافونه به من معلومات بين آن وآخر ليستنونق من صحتها ودقتها ..

والزعيم المحرب الخبير يدرك أن ليس في طوقه أن يقتضى كل صغيرة وكبيرة من أعمال كل واحد من أعوانه .. وانما ينبغى أن يقتصر - لا سيما في المسائل الاقتصادية - على أن يبين بعض الاتجاهات العامة ، وأن يصر على احترام المصالح الخاصة صونا للمصالح العامة ، فلا يسعى الى أن يضع خطة تعارض النتائج التى لا بد أن تتجه اليها رغبات الملايين .. مثله فى ذلك مثل جندى المرور ، ينظم انسياب حركة المرور ، دون أن يأخذ على عاتقه أن يعين طريقا معينة لكل مركبة !

وعلى الزعيم أن يوقر احترامه فى نفوس مستشاريه وأعوانه ، والا أفسح المجال للهواجس والدسائس . ولا سبيل للظفر بالاحترام الا بأن يكون جديرا به .. والزعيم العظيم هو ذو الشخصية العظيمة ، الذى ينزه نفسه عن المحاباة والمصلحة الشخصية .. ولقد كان « بلدوين » و « بوانكاريه » يفتقران الى الذكاء المتألق ، ولكنهما كانا فوق مستوى الشبهات فى امانتهما واسرافهما فى التدقيق فى المسائل المالية .. ولقد وقف « بلدوين » قسما من ثروته على أمته ، ولم يفكر « بوانكاريه » يوما فى أن يستخدم موظفى الحكومة فى مآربه الشخصية .. كان كل منهما يتصف بتلك الصفات « المستقيمة » التى ينشدها صاحب المصنع فى مدير مصنعه ، أو فى الزوج الذى يرجوه لابنته .. وقد مكنتهما هذه الفضائل الاساسية من أن يكونا

فوبين ٠٠ ولا عجب ، فان الديكتاتور يستطيع ان يفوز بالسلطان اذا ما كان مستقيما وفوق متناول الفساد ٠٠

فليحذر الزعيم من ٠٠ النساء !

❖ ولا ينبغي للزعيم أن ينساق لغير عاطفة واحدة : عاطفته نحو عمله ومهنته ٠٠ وعليه أن يكون متحفظا ، وأن يذهب في ذلك الى درجة أن يحيط نفسه بالغموض ٠٠ ولست ألومه اذا هو حرص على أن يبدو كشخصيات الخيال أو الخرافات ٠٠ وانا لنرى في قصة كبلينج «الرجل الذي قدر له أن يكون ملكا» ، مغامرا استطاع بقوة شخصيته وحدها أن يسيطر على عدة قبائل من أهالي الجبال وأن يغدو زعيمها الأكبر ٠٠ ولكنه ما لبث أن فقد هيئته وعرشه ، حين ساقه ضعفه الى الوقوع في هوى امرأة من رعاياه ، فسمح لها أن تستبين انه ليس سوى ٠٠ رجل من البشر ! وقد قال نابليون : «كم من رجال وقعوا في صعاب لمجرد ضعفهم بازاء النساء » ٠٠!

ويسوقنا هذا الى الحديث عن زوجة الزعيم ٠٠ فهي تضطلع بدور شاق ، اذ عليها أن تذود عنه الدنيا بأسرها ، وأن تجنبه أن يتعب نفسه فيما لا طائل من ورائه ، وأن تكبح نفسها عن أن تقترح أي عمل ينطوي على تهور أو اندفاع، وأن تجعل له من بيته ملاذا آمنا ، لا دولة أخرى يرضيه حكمها ٠٠ فان البيت أصعب الدول حكما !

دار الجدل يوما حول أهم الصفات اللازمة للسياسي ، في حضرة « وليم بيت » - أصغر سياسي تولى رئاسته الوزارة البريطانية - فذكر أحدهم الجد ، وذكر آخر النشاط . وذكر ثالث اللياقة ٠٠ أما « بيت » فلم يذهب مذهبه . بل قال ان الزم صفة لرئيس الوزراء هي « الصبر » ٠٠ وكان مصيبا ، ولكن الصبر ليس لازما لرئيس الوزراء وحده . بل هو لازم لكل من يقنضيه واجبه أن يزعم جماعة من الناس ٠٠ ذلك لان

الغباء عامل يخالط شئون البشر ، والزعيم الحق هو الذي يتوقع دائما أن يصادفه ، فيروض نفسه على احتمال طالما كان غبا عاديا ٠٠ وهو الذي يدرك أن آراءه ستعرض للنسوية ، وأن أوامره ستنفذ في اهمال ، وأن الغيرة لا بد أن تدب بين أعوانه ، فيحسب لكل هذه الظواهر التي لا مناص منها حسابا ، وبدلا من أن يسعى للبحث عن رجال منزهين عن الخطأ - وهو نوع لا وجود له بين الناس - ينجه الى الافادة من خير من تحت امرته من الناس ، كما هم في واقع الامر ، لا كما ينبغي أن يكونوا ٠٠

النظام ٠٠ والكتمان

♦ ومن أنواع الصبر مواصلة الجهد ٠٠ فالزعيم الحق لا يخال اذا ما بلغ هدفا أن كل سُئُون دولته قد سويت الى الابد ٠٠ فليس في الدنيا استقرار دائم لشيء ٠٠ وقد أُنر عن « نابليون » قوله : « أن أكثر اللحظات خطورة هي تلك التي نصحب النصر ! » ٠٠ وما من دولة ، ولو كانت غنية قوبة ، تستطيع أن تبقي سنين عديدة دون أن تساس على النظام ، والا وقعت أزمته في أيدي أسوأ مواطنيها ، وهزمتها جاراتها ٠٠ وانما يخلق بزعيما أن يدرك أن جهوده لا تثمر نتائج « خالدة » ، بل يجب أن يبدأ الجهاد من جديد في كل صباح ٠٠!

والحكمة أو التعقل فضيلة لا تقل عن الصبر لزوما ٠٠ وقد قال ريشليو ان « الكتمان هو روح الشؤون القومية » ٠٠ وفقد تشارلس الاول - ملك انجلترا - عرشه ورأسه نتيجة عدم حكمته ، اذ بلغت به الغفلة أن أفضى الى زوجته الفاتنة بخطة وضعها للتخلص من نفر من أعضاء البرلمان ، فأفضت بها بدورها الى وصيفة كانت موضع ثقته ٠٠ وكان لهذه أصدقا بين غرما الملك ، فبادرت الى انذارهم ٠٠ وهكذا وجد الملك - حين حانت ساعة العمل - أن صيده قد فر ، وان الشعب قد هب مشهرا سلاحه ٠٠ ومن هذا نستخلص العبرة التالية : « لا تقل الا القول الضروري ٠٠ ولا تفص الا لمن ينبغي الافضاء له ، وحين



يولدون الطبيعة أولئك الذين يولدون ليحملوا التبعات الجسم ٠٠

الشجاعة ٠٠ والصحة !

يضاف الى هذه الصفات جميعا : الشجاعة الجسدية - الفضيلة الوحيدة التي تحول دون النفاق - والصحة ٠٠ فان الصحة الجيدة تزيد الزعيم نفوذا وقوة ، وتيسر له الاسباب لكي يكون صبورا ، دائب العمل ، قوى العزيمة ٠٠ ولقد كان من أعظم صفات المارشال « جوفر » شهوته للطعام ، وقدرته على النوم حينما يطلبه ٠٠ فان التوازن البدني يهيء للعقل اليقظة والمبادرة ٠٠

و « الهدوء البارد » أهم صفة لمن يقدر له الحكم ٠٠ ويؤثر عن القائد الفرنسي « جاليني » انه بعد أن أصدر أوامره في الميدان ، في إحدى المعارك ، تحول يقرأ كتابا ٠٠ فلما عجب « بييرلوتي » من هذا التصرف ، وكان بعد شابا ، قال له جاليني :

— لقد فعلت كل ما فى طوقى ، وأن لى أن أنتظر وأرتقب ما يجرى .. وخير لى أن أفكر — خلال الانتظار — فى شىء آخر .. وكانت هذه طريقة نافعة لتصفية الذهن وحفظ اتزانة ..

الذكاء .. والثقافة .. وسرعة البت

♦ **وإذا كان للخلق الاهمية الاولى ، فان الذكاء لا يقل عنه لزوما .. ومن الامور المرغوبة للزعيم أن يكون واسع العلم ..** فالتاريخ والشعرينيان معرفته بأحاسيس البشر .. والثقافة نتيح للرجل العامل الفرص كى يسترد هدوءه بين وقت وآخر ، اذ تضع تحت امرته نماذج للصفاء الذهنى ، فضلا عن أثرها فى توسيع أفق التفكير ..

وينبغى أن يحتفظ ذكاء الزعيم بالبساطة والصفاء .. فمن المتعذر الاقدام على اتخاذ قرار أو عمل اذا كان الذهن مليئا بالنظريات والمشروعات المعقدة .. والمصنع الذى ينكب بتنظيم « معقد » لا يقل تبديدا للمال عن المصنع غير المنظم اطلاقا .. وكذا نجد أن المشروع الذى يديره رجل واحد ، يفوق المشروع الكبير ، لان نفقاته تقل عن نفقات هذا ، فى حين أن منتجاته تفوق منتجات الاخير جودة .. ومن ثم وجب على الزعيم أن لا يعتنق سواء مبادئ قليلة بسيطة ، يستخلصها من التجربة ، ويمرزاها التطبيق ..

ويجب على الزعيم أن يعرف كيف يستخدم عقول سواء .. وقد قال ويشليو: « على المرء أن ينصت طويلا ، وأن يتكلم قليلا ، اذا شاء أن يحكم أمة كما ينبغى للحكم أن يكون ! » .. على أن الانصات لا ينبغى أن يكون الا لاولئك الرجال الذين يؤتون الدراية الدقيقة .. والصمت خليف أن يفرض على الثرثارين الذين لا ينطقون الا لغوا ! ..

وينبغى أن يكون الزعيم سريع البت فى الامور ، فالوقت عامل هام فى كل عمل .. وان مشروعا غير كامل يشرع فى تنفيذه فى

الوقت المناسب ، لافضل من مشروع كامل يأتي تحقيقه متأخرا
 .. وأحيانا يكون الوقت من الاهمية بدرجته تجعله موضوع
 الاعتبار الاول ..

♦ ويتصل الزعيم بأعوانه بثلاث طرق : بالاوامر التى
 يصدرها ، وبالتقارير التى يتلقاها ، وبجولات التفتيش والتفقد
 التى يقوم بها ..

ويجب أن يكون الامر الذى يصدره الى مرؤوسيه واضحا ،
 قبل كل شيء .. فقد يجوز أن يكون التفكير مبهما ، وأن يكون
 فى المشروع شيء من الخيال ، ولكن « الامر » يجب أن يكون
 دقيقا .. فكل الاوامر عرضة لان يساء فهمها ، ومن باب أولى ،
 فان الامر المبهم عرضة لان لا يفهم اطلاقا .. والزعيم الحكيم هو
 الذى يقر بأن الذين يفهمون بين الناس قلة ، وأن كل امرئ
 - فى الغالب - مهيا للنسيان .. ومن ثم وجب على الزعيم أن
 لا يقتصر على اصدار الاوامر ، بل ويراقب تنفيذها ، وأن يتدبر
 عند اصدارها كل احتمال قد يقضى على مفعولها .. فليس لغباء
 المخلوقات ولا لسوء الحظ حدود .. والشئ غير المرتقب هو
 الذى يحدث دائما .. ومن ثم فان الزعيم الذى يعمل على احباط
 عوامل سوء الحظ ، والذى يحصن نقاط الضعف فى مشروعاته
 ضد الغباء ، يكون أكثر قدرة على فرض ارادته ، ممن لا يعبا
 بهذه الاجراءات ..

على أن هذه الاحتياطات تغدو أقل لزوما ، حين يوفق الزعيم
 فى أن يجمع حوله أعوانا دلته تجاربه على أنهم أهل لثقتة ..
 ومن ثم نرى لكل زعيم قومى وزراءه ، ولكل قائد أركان حربه ..
 وهؤلاء الاعوان يمتازون بأنهم يالفون الغريب من صفاته ، فهم
 يعرفون كيف يخدمونه ، وهم يفهمون على الفور أوامره ، ويعنون
 بتنفيذها بحرفيتها .. على أن العالم لم يؤت من الرجال الذين
 يمكن الركون اليهم سوى قلة ضئيلة . وقد قيل عن الرئيس

« ويلسن » انه كان يؤمن بالانسانية عامة ، لكنه كان يضمن بنقته على الافراد ٠٠ أما الزعيم الصادق، فهو الذى لا ينق بالانسانية، ولكنه يثق بنفر قليل من الناس ٠٠ فكيف يختار هؤلاء الناس ٠٠؟

♦ ان من واجبات الزعيم أن يأتلف بالجماعات التى يستطيع أن يجند منها لنفسه أعوانا ٠٠ ولقد كان « جامبيتا » يجوس خلال كل بقعة فى فرنسا حتى يتعرف على رؤساء الاقلام الحكومية ٠٠! ومن واجب الشخص الذى يحظى بشرف حكم أى بلد ، أن يسعى لاكتشاف خير رجال هذا البلد ليوثهم المناصب الحكومية الهامة ٠٠ وهو يجب أن لا يقتصر على الافادة من الموجودين منهم، بل ان عليه أن يكتشف عناصر جديدة ٠٠ وتتولى الاحزاب السياسية ، فى بعض البلاد الاجنبية ، هذه المهمة - كما يفعل حزب المحافظين فى انجلترا، الذى يكلف بعض أعضائه بأن يظلوا على اتصال بالجامعات الكبرى ، أملا فى العثور على شبان يمكن أن يتحولوا يوما الى ساسة ٠٠ ولديهم مدرسة لتدريب هؤلاء تدريبا خاصا ، فاذا أظهروا ذكاء وتألقا ، سعى الحزب حتى يحصل لهم على مقاعد فى البرلمان ، وأقدم رئيس الحكومة على أن يتيح لفضلهم شيئا من التجربة بأن يتخذ منهم سكرتيرين برلمانيين ثم لا يلبث أن يجعلهم وكلاء وزارات ٠٠ ومعنى ذلك أن من واجب رئيس الحزب أن يعنى بتكوين « طبقة » حاكمة ، وكذلك الحال بالنسبة لرؤساء الشركات أو المؤسسات الكبرى . وكثيرا ما يكون من الصعب خلق تفاهم تام بين الاعوان ٠٠ على أنه يجب أن لا تقوم للخلاء ولا للعصبية المحلية - أى اعتزاز كل ادارة بنفسها - قائمة فى أية ادارة ، بحيث تعادى بقية الادارات ٠٠ ولك أن تتصور حال السكك الحديدية اذا قامت خلافات بين الادارة وأقسام الحركة ٠٠ أو حال الجيش اذا دب نزاع بين القيادة والضباط فى ميدان القتال ٠٠ ومن ثم كان

من المهم أن يفهم كل امرئ أن الجيش أو المصنع أو الدولة
نسبه في مجموعها جسدا حيا ، منفصلا ، اذا تنازعت أجهزته
بعضها مع البعض كان في ذلك « انتحار » أدبي له ٠٠ !

وكثيرا ما يحدث أن تدب الغيرة والحسد بين الاعوان
الذين يكونون لرئيسهم اعجابا فائقا يحفزهم على أن يجدوا في
العمل من أجله ٠٠ اذ يشتد طمع كل منهم في أن يحظى بالاثرة
لديه ! ومن ثم كان على الزعيم أن ينوق هذه المواقف الشائكة ،
وأن يعالجها ، اذ أنها تتهدد كفاية « فريقه » بأبلغ الاخطار ٠٠
وكما يستطيع سائق السيارة الخبير أن يحبس أى خلل في
محرك سيارته بالانصات الى صوته ، كذلك يشعر الزعيم - الذى
فطر على الزعامة - بتحول أتباعه عن الاخلاص له ، فيبحث عن
السبب ويصل اليه ٠٠ وغالبا ما يكون السبب تافها . وقد
بهز أحدهم كنفه بدافع من حركة عصبية ، فيسئ آخر فهم
حركته ويظنها مقصودة لاهانتة ٠٠

أثر الاتصالات الشخصية !

ويتلقى الزعيم عادة تقارير عن الروح المعنوية والنفسية
لأعوانه ، وعن نتائج الاوامر التى يصدرها ، ولكنه دائما لا ينق
في هذه التقارير ٠٠ اذ أنها قد تشتمل على معلومات مغالى فيها ،
أو مشوهة ، أو ناقصة ٠٠ والطريقة الوحيدة لتفادى الوقائع
الغاطئة ، هي التفتيش الشخصى من آن الى آخر ، فان هذه
الزيارات تكون ذات آثار عجيبة ، اذ تعقبها في الحال تقارير
لحمتها الصلوق وسداها الدقة ٠٠ وقد درى المارشال بيتان انه
تولى في سنة ١٩١٥ قيادة قطاع كانت القيادة تصر من أسابيع
عديدة على المضى في مهاجمته ، وكانت النشرات تنبئ عن مغام
ضئيلة وخسائر جسيمة من وراء هذا الهجوم ٠٠ وهدت الحكمة
« بيتان » الى أن يرتاب فى الامر ، فذهب بنفسه الى الخطوط
الامامية مستصحبا أجهزة المساحة والكشف ، واذا به يرى أن

النشرات كانت تزيف لارضاء القيادة ، وأن المغانم كانت من وحى الخيال .. ذلك لان التقارير التى ترفع لذوى الامر غالبا ما تصاغ لتلائم ما يهون ، أو توضع فى قالب يعزز نظريات الموظف الذى بعدها ..

اظهار الثقة والصراحة فى النقد .. لازمان !

♦ **والزعيم المدقق** أقدر على بث روح الحماس للعمل من الزعيم الذى لا يكثرث .. وخير سبيل الى فرض الشدة هى أن يحيط الزعيم نفسه بأولئك الذين يعرف قيمة مواهبهم دون سواهم .. فان أى رجل قد يسهل عليه احتمال النقد اذا ما تبين بجلاء أن خلقه وذكاءه بعيدان عن أى ارتياب .. وأحكم مسلك يصدد هذا النقد هو أن يذكر الانسان فى سرعة وقوة ما يشند بنفسه الشعور به ، فان اللوم القاسى اذا وجه بسرعة ، يكون أقل ايلاما من اظهار الاستياء بالمناجزة والتجهم .. وجدير بالاعوان أن يتبينوا أن الامر الذى لا ينفذ كفىل بأن يجبر عليهم المتاعب .. وانهم براء من الامر الذى يؤدى تنفيذه الى ضرر ، لان الزعيم الحق ، يتحمل دائما كل مسئوليات أعماله ..

والزعيم هو المدافع الطبيعى عن شعبه ضد جشع القوى ، ومن ثم فعليه أن يستوثق من أن أعوانه يعاملون عماله وجنوده بالعدل والاحترام .. وهذا أصعب قسم فى واجباته ، اذ عليه - فى الوقت ذاته - أن لا يوهن من نفوذ معاونيه ، أو يحتمل أية اساءة الى سلطتهم .. وليست ثمة قاعدة لتبيان هذا الامر ، وانما عليه أن يعمل بنفسه على حفظ التوازن بين الحالين ..

ومن واجب الزعيم أن يتبين قدر الامكان أى استياء يسرى فى صفوف المحكومين ، وأن يعالج الظلم قبل أن تتراعى اليه الشكايات .. ولكى يتسنى له ذلك ، يجب أن يظل على اتصال وثيق بالرجال الذين تحت امرته .. وليذهب الى الخنادق ان كان قائدا ، أو ليذهب الى المصنع مع عماله من آن الى آخر ان كان

مديرا .. وليكن واسع الخيال الى حد ما ، اذ لا بد له من أن يفهم حياة غيره من الناس حتى يستطيع أن يقى أولئك الذين تحت زعامته ، متاعب لا داعي لها .. ولا سبيل الى كسب ودهم الا بمنحهم الود . والا بأن يكون قادرا على أن يؤدي مهامهم بنفس الاجادة التي يؤديونها بها .. وقد فطر الناس على احتمال تلقى الاوامر ، بل واستساغتها ، اذا اتبعت الحصافة في اصداها ..

توطين النفس على احتمال النقد !

♦ **والحكم والقيادة** فنان يتباينان في وقت السلم .. فالقيادة هي تسيير جماعة من البشر تحت حكم النظام الى هدف معين .. ومن ثم يدرك ضابط الجيش أن رجاله في طاعته دائما ، اللهم الا في حالات نادرة يشتد فيها العصيان .. كذلك هو يدرك هدفه تمام الادراك .. كما يدرك رئيس أى مشروع تجارى أن عليه أن ينتج سلعة معينة بثمن معلوم وبكميات محددة ، وانه اذا أخفق قضى على نفسه بالخراب وعلى مستخدميه بالبطالة .. ومن ثم فهو سيد نفسه - طالما التزم حدود القانون - اللهم الا حين ترتبك الظروف الاجتماعية ..



والديكتاتور كالقائد : يقود بقوة النظام أكثر مما يحكم .. وعلى رئيس حكومة أية أمة حرة أن يوجه أعمال أية جماعة - لا تجد ما يضطرها الى طاعته الا خوفها من الفوضى - نحو أهداف مبهمه ، متغيرة .. وعليه أن يتوقع أنه لا سبيل له الى عمل ما دون انتقاد من معارضيه .. وكلما قويت رغبتهم في أن

يضعوا غيره محله ، اشتدت قسوتهم عليه .. كما ان عليه أن يروض نفسه على أن أعوانه ليسوا مجرد أتباع يجب أن يدينوا له بالطاعة العمياء ، وانما هم سواسية معه ، وهم خلفاؤه المرتقبون ..

♦ **والآن ..** ما الفضائل التي يجب أن تتطلبها في الرجل الذي نأتمنه على تولى أمورنا ؟ ..

تفادى الاصطدام بالعقبات !

ان الفضيلة الاولى ، هي أن يكون واسع الافق ، قادرا على أن يدرك ما يحتمل وما لا يحتمل .. ما يمكن وما لا يمكن .. فليس يجدى في السياسة أن تصاغ المشروعات العظيمة السامية اذا لم يكن في الوسع تنفيذها بسبب الحالة القائمة في الدولة .. والسياسي العظيم هو ذلك الذي يتعرف على البواعث والدوافع التي تحرك الشعب ، ثم يقدر الى أى مدى يستطيع أن يمضى في طريقه دون أن يصطدم بها .. ولا يجب أن يسمح لنفسه بأن يحاكي طبقة ما ، متغافلا عن رد الفعل الذي لا مفر من أن يتور في نفوس الجماعات التي يهملها .. وانما عليه أن ينظر الى الشعب كجسد حي كبير ، يعتمد كل عضو فيه على بقية الاعضاء .. وكما يفعل الطبيب ، يجب على الزعيم أن يتعرف درجة حرارة الراى العام كل يوم ، فاذا اشتدت « الحمى » عمل على أن يتيح للبلاد أسباب « الراحة » فترة من الوقت ..

وكما يقدر السياسي الماهر قوة الراى العام تقديرا تاما ، فانه يدري أيضا أن من الميسور له أن يؤثر عليها .. فهو اذا يحسب مدى قدرة الناس على أن يظلوا غير مباليين بأعماله ، يجب أن لا يفعل ان لهم لحظات عنف ، وأن احتجاجاتهم الغاضبة تكون مشروعة اذا كانت تصرفات الحكومة تجر عليهم الفقر ، وتذهب بحريتهم التقليدية ، أو تتدخل في حياتهم الخاصة بدرجة كبيرة .. على أنهم لا يتوانون عن أن يسلموا قيادهم

لرجل يدرك الى أين يسير ، ويريههم بوضوح انه يضع مصلحة الامة نصب عينيه ، وان لهم أن يشقوا به ويركنوا اليه ..

وليس تقدير طاقة الشعب وامكانياته هو مجرد القدرة على الاعتراف بأن ثمة أشياء مستحيلة .. فهذه فضيلة سلبية .. وانما الفضيلة الايجابية أن يقدر الرجل الشجاع أن هناك أموراً ممكنة وان بدت شديدة الصعوبة .. والسياسي العظيم لا يكتفى بأن يقول : « ان هذه الامة ضعيفة .. نائمة .. ولسوف أوقظها .. ان القوانين والمبادئ والافكار من صنع الناس ، ومن ثم وسوف أغيرها اذا دعت الضرورة » .. وانما يجب قبل كل شيء ، أن لا يكتفى بالكلمات ، بل يتبع العزم بالعمل .. وأن يقدم على تحقيق الاهداف التي يحددها ويعينها بدقة ، بالطرق التي تبدو له .. فاذا اعترضته عقبات وجب أن يلف حولها .. فان الغرور ، والاعتزاز بالعقل ، والتحمس للاستلوه ، من أخطر العقبات التي تعترض طريق السياسي ، حتى لنجد بين زعماء الاحزاب من لا يتودع عن تضحية بلاده في سبيل نظرية أو مجموعة من المبادئ .. في حين أن الزعيم الصادق هو الذي يقول : « لندع المبادئ كي ننقذ الامة » ..

◆ وينبغي أن يكون الزعيم واقعياً .. فليس في وسع « نبي » من الانبياء أن يحول جماعة من الناس الى رجال ونساء كاملي الاستقامة ! .. وانما حسب السياسي العظيم أن يكون مثل صاحب المتجر الحكيم ، الذي يدرك أن عليه أن ينظف متجره كل صباح .. واذا ما وقعت مشاجرة ، تحملها في صبر وهو يوطن نفسه على أن أخرى لن تلبث أن تنشب بعد أن تغمد هذه ! .. وهو يوافق على أية تسوية أو صلح ولو لم يكن مرضياً ، أو كان مجرد حل مؤقت ، لانه يدرك أن لا شيء يدعو الى الرضى التام ، أو يستمتع بالدوام ، في شئون البشر .. وأن السلام (الدولي أو الاجتماعي) لن يلبث أن يقترب مهما

مكرر ناخره ٠٠ ولن نمضي عشر سنوات أو عشرون ، ثم ته
مهمة جيله ٠٠ ولا يلبث الجيل التالي أن يتسلم العلم ليوصل
حمل الرسالة ٠٠!

من حق الزعيم أن يعطى فرصة كافية ٠٠

♦ ومن حق الزعيم - الجدير بلقبه - أن يطاع ٠٠ والشعب
الذى لا يستطيع احترام زعماءه يقضى على نفسه بالدمار ، اذ
يفقد عاجزا عن اتيان أى عمل ٠٠ وقد يؤثر المجتمع نظاما للحكم
على نظام آخر ، كأن يستبدل بالحكومة المدنية أخرى عسكرية ،
وعندئذ يصبح الولاء للزعيم المختار فرضا واجبا ٠٠ اذ أن نقص
النظام كفيلا بأن يقضى بالهزيمة على أى جيش ، وبالخراب على
أى صاحب مصنع ٠٠

كذلك من حق الزعيم أن يطمئن الى احتفاظه بزعامته ، اذ
لا سبيل له الى تحقيق نتائج طيبة ما لم يتح له الوقت الكافى ٠٠
فينبغي أن يمنح وقتا يمكنه من أن يكتسب خبرة وتجربة ، وأن
يظل فى زعامته ما لم يتضح أن الشعب قد اخطأ الاختيار ، وأن
المختار غير اهل للزعامة ٠٠!

ولكن ٠٠ كيف يتسنى التوفيق بين النظام ، وطول أمد تولى
الزعيم لمنصبه ٠٠ وبين حرية ممارسة حق الانتقاد ٠٠؟ أو لا
يحتمل أن ينقلب الزعيم الذى أوتى سلطانا غير محدود ، الى
طاغية أو مجنون ٠٠؟

الواقع ان الطاعة يجب أن تكون مطلقة ، سواء فى الجيش
أو فى كل الحالات المدنية ، التى تتطلب عملا عاجلا ، على
العموم ٠٠ وليس لاحد - سوى القادة - أن ينتقد ٠٠ أما فى
الحياة العادية للدولة الحرة ، فلكل انسان حق الانتقاد ، فى
حدود تعينها التجربة ٠٠ واذا اقتضت ارادة الامة بوضوح أن
تغير زعمائها من وقت الى آخر ، وجب أن يتم هذا التغيير ٠٠
ولا يجب أن يكون التغيير متكررا فى اوقات قصيرة ، أو أن
ياتى نتيجة املاء رجل الشارع ٠٠!

♦ **والتربية الخلقية** الزم لاولئك الذين يعدون للزعامة ،
 منها لسواهم .. اذ ينبغي على الزعيم أن يحرز - الى جانب
 مدربه على الاشراف على زملائه - شعورا قويا بالواجب .. اذ
 لا سبيل له الى الاحتفاظ بمركزه ما لم يجعل نفسه - فى كل يوم -
 أهلا لهذا المركز .. وليس بالزعيم الصالح ذلك الذى يقتصر
 - اذا وضع على رأس جماعة أو مشروع تجارى - على السعى
 لتحسين شئونه الخاصة فحسب .. لا ولا هو بالقائد الصالح
 ذلك الذى يقبل عبء الزعامة ثم يضع ملذاته فوق مسئولياته ..
 لا ولا ذلك الذى اذا وضع على رأس غيره من الناس ، أطلق
 لغضبه وعناده العنان ، أو أسرف - من ناحية أخرى - فى
 المحابة والمحسوبية .. لا ولا ذلك الذى اذا صار اليه نصيب
 من ادارة السياسة الخارجية لبلاده ، ضحى بالخير الدائم
 للبلاد ، من أجل الحزازات والدسائس الداخلية ..
 ان الدور الذى يجب على الطبقات الزعيمة أن تؤديه ، هو أن
 توجه .. أن ترشد الى سبيل الكرامة والعمل .. فالزعامة
 ليست امتيازًا وتفضيلا ، وانما هى شرف وثقة ..



وينبغي أن يكون
 شعار الزعيم
 وأعدائه جميعا أن
 يعملوا « يدا
 واحدة » متكاتفين ،
 متساندين ، متكاملين
 المهام والمسؤوليات ،
 كالجوقة الموسيقية
 التى يسود عازفيها
 جميعا التوافق
 والانسجام ! ..

آراء لابن المقفع : الزعيم وصاحب السلطان

٠٠ اما وقد عرفت آراء فيلسوف من الغرب ، فى الزعامة وفنونها ٠٠
فيحسن ان تعرف آراء فيلسوف من الشرق ، فى نفس الموضوع ، كى تقارن
بين العقليتين ، والاسلوين ٠٠ وسترى ان الشبه بين افكار الاثنين كبير !!

♦ ولاية الناس بلاء عظيم • وعلى الوالى أربع خصال ، هى
أعمدة السلطان وأركانه التى بها يقوم وعليها يثبت : الاجتهاد
فى التخير ، والمبالغة فى التقدم ، والتعهد (أى الرقابة والتفقد)
السديد ، والجزاء العتيد (العظيم) ٠٠

فأما بخير الوالى للعمال (الاعوان) والوزراء ، فانه عسى
أن يكون بتخيره رجلا واحدا قد اخنار ألفا ٠٠ لانه من كان من
العمال خبارا (أى طيبا) فسيخنار كما اختير ٠٠

وأما التقديم والتوكيد ، فانه ليس كل ذى لب أو ذى أمانة
يعرف وجوه الامور والاعمال •

وأما التعهد (أى الرقابة والتفقد) ، فان الوالى اذا فعل
ذلك كان سميعا بصيرا ، وان العامل اذا فعل ذلك به (أى
شعر بالرقابة والتدقيق فى فحص أعماله) كان متحصنا حريزا ٠٠
وأما الجزاء ، فانه تنبئت المحسن والراحة من المسىء ٠٠

وأعمال السلطان كثيرة ، وقليل ماتستجمع الخصال
المحمودة عند أحسد ، وانما الوجه فى ذلك والسبيل الذى به
يستقيم العمل ان يكون صاحب السلطان عالما بأمور من يريد
الاستعانة به ، وبما عند كل رجل من الراى والفناء ، ومافيه من
العيوب ، كى يوجه لكل عمل من يصلح له ٠٠

ثم على الولاة ، بعد ذلك ، تعاهد عمالهم وتفقد أمورهم ،
حتى لا يخفى عليهم احسان محسن ولا اساءة مسىء ٠٠ ثم عليهم
أن لا يتركوا محسنا بغير جزاء ، ولا يقرؤا مسيئا ولا عاجزا على
الاساءة والعجز ، فانهم ان تركوا ذلك ، تهاون المحسن ، واجترأ
المسىء ، وفسد الامر ، وضاع العمل ٠٠

رائرة سارفت الزواج:

تلبس.. بالحياة الزوجية!

من تجارب ودراسات مخبر يوليبي خاص



♦ «دوجلاس بنتليف» - كاتب هذا المقال - يكسب عيشه من العمل كمخبر خاص ومستخدم مدنى بمكتب «حكمدار» منطقة «الوس انجيلس» بأمريكا ، لعلاج قضايا الزواج .. ومع ذلك فهو أزهد الناس في التدخل بين أى زوجين على غير ونام ، لانه يؤمن - على ضوء الخبرة التى اكتسبها - أن أشد الخلافات الزوجية استعصاء، يسهل حلها لو أن الزوجين بحثا معا اسبابها في صراحة تامة منذ البداية .. فان تفاهم الزوجين كفىل بأن يصون زواجهما من الانهيار!

استغاثة زوجة !

♦ خيل الى ان صوتها يشق «سماعة» التليفون شقا ليخرق اذنى وهى عسول :

- لقد غادرا الحانة منذ قليل ، واففيت اثرهما حتى انتهاء الى فندق خاص .. فاسرع .. فى وسعنا الان أن نفاجئهما متلبسين !..

- حسنا .. هدنى من روعك ، وانتظرى ..

وارشدتها الى مقهى قريب من الفندق الذى ذكرت لى عنوانه ، لتستظرنى ريثما الحق بها .. اذ كنت قد اعتدت مثل هذا الموقف ، فكلهن ينسفن اليه بنفس اللفه حين يلجأن الى مشورنى !.. وكانت صاحبة هذا النداء المنفل قد حدثتى من قبل عن عدم وفاء زوجها ، وعن رغبتها فى فضح خيانه .. ووقعت عقدا أقرت فيه بأنها استأجرتنى لهذه الغاية .. وكانت موزعة بين الاسى والرغبة فى الانتقام ، ولا تفتأ تردد العبارة الخالدة : «صبرا .. الى ان افاجئه متلبسا !» ..

وها قد حانت لها الفرصة !..

تجبه .. رغم خيانتة لها !

◆ وعندما لحفت بها في المقهى ، اشارت الى سيارته التي كانت مستقره امام الفندق .. واستطعنا ان نفاجئته مع خيلته في موقف لا يحتاج الى تعليق ! .. وعندئذ التفت انا الى الزوجة الثائرة .. كى ارى تأثير الموقف على اعصابها ، وكم كانت دهشتى حين رايتها لم تنظر الى زوجها ، وانما اشربت بمنقها تتامل المرأة التي كانت في الفراش ! .. وبعد ان اشبعت فضولها النسوى الى رؤية شكل غريمته ، تحولت معى مولية ظهرها الى مسرح الماساة ، متجهة في صمت نحو سيارتى ، وهى تنتحب وتردد : « لا اريد ان اراه ثانية بعد اليوم ! »

.. ولكن بكاءها كان ينطوى على معان اخرى .. لم تخف على !
 ◆ وصحبته الى مقهى هادى .. وكانت قد كفت عن البكاء تقريبا ، وراح تعدد اخطاء زوجها منذ عرفته ، حتى اذا استذكرت شهر العسل ، لم تتمالك نفسها ، فعادت الى البكاء فائلة : « لا اريد ان انفصل عنه ، فانا احبه .. احبه من كل قلبى .. ولعل حماقتى واغلاطى هي التى ساقته الى هذا المسلك .. لا .. لا اريد ان اتركه ، ولكننى اريد ان اعرف مدى العلاقة التى تورط فيها .. ! »

وكان هذا عين ما اعادت ان تفعله مثيلاتها ممن تملأ قضاياهن الملفات المكدسة في مكاتب !!

اذا ذهببت الحيرة .. عاد الحب !

◆ والانسان يحار لاول وهلة ازاء هذا التناقض العجيب .. اذ كيف تنشيد زوجة العودة الى زوجها ، بعد ان تبينت بعينها خيانتة ؟ .. لقد ظلمت بظلة هذه القصة اربعة اشهر وهى مفعمة القلب بالآلم من مسلك زوجها والحقد عليه ، فكيف تطلب بعد ذلك ان تعود اليه ؟

ولكنهن جميعا يفعلن ما فعلت .. ولعل السر في ذلك يرجع الى ان نفس المرأة منهن تهدا بعد كشف الخيانة ، فلا تعود تحيا في غمرة الريب والهواجس، وتتخبط بين الشكوك ، وانما هي تصل الى لحظة التأكد ، فتتخلص من الحيرة ، ويصبح في وسعها ان تقطع برأى حاسم : اما ان تنفصل عن الزوج الخائن ، واما ان تصفح عنه ! .. ويبدو ان التأكد من الخيانة ، اخف على نفس الزوجة من قسوة الشك .. او - على الاقل - هذا ما خبرته بنفسي خلال السنوات الطوال التى قضيتها اعمل كمخبر خاص .

الزوج يغون وهو كاره !

♦ ولا يقل موقف الزوج عن موقف الزوجة غريبة .. وانك لتخطيء اذا ظننته يترفع عن أن ينشد الففران ، بعد أن يفاجأ متلبسا بالخيانة .. فالواقع انه يسمى الى التماس صفح زوجته ، اذ أن ضميره لا يلبي أن سنيقظ .. بل انه ربما استيقظ قبل اقتضاح الامر ، فان معظم حوادث الخيانة الزوجية تنشأ عن رغبة الزوج في الفرار من عدم الوفاق في البيت .. وعن الرغبة في تجنب الشقاق مع الزوجة ، والخلص من سكاياها ولومها .. «مناكفتها» !

ولا يكون للرغبة الجنسية في أكثر الحالات دور يذكر في هذا الشأن .. فكم من زوج صارحنى أن كل لقاء بينه وبين خليلته كان لا يزيد عواطفه الا حينئذ الى زوجته !.. ولكن الواحد منهم لا يكاد يتورط في علاقة أئمة ، حتى تتعلم عليه اسباب الخلاص .. ولا يجسد سبيلا الى العودة الى زوجته بطريقة تحفظ عليه كرامته .. ومن ثم يظل سادرا في غيه ، عن غير رغبة !.. ومن الغريب حقاً ان الزوج الاثم كثيراً ما يتمنى ان ينكشف اثمه، فنهدهم الفضيحة امامه طريق النهاية : اما الى صلح ، واما الى طلاق .. وفي معظم القضايا التي من هذا النوع ، كنت أتحرى رغبة الزوج الخائن ، ثم أجمع بينه وبين زوجته ، وانركهما يصفيان موقفهما أمامي ، دون أن اقترح حلاً..

أهم مايجب معرفته قبل الزواج

♦ وترجع القصة في العادة الى ان الشابين يلتقيان .. رجل وفتاة .. فلا يلبثان ان يقعا في الهوى ، ويتزوجان ، وقد وقر في نفس كل منهما انه عرف صاحبه تمام المعرفة .. والواقع انهما يكونان قد غفلا عن معرفة أهم الأمور ، فلم يتدبرا الوسيلة لتسوية ما قد يتجم بينهما من خلاف .. ولم يتفقا على حكم يحكمانه بينهما اذا اشتد الشقاق ..

فالذا تطورت الامور الى اسوأ حدودها ، واستدعيت للتدخل بينهما ، يكونان قد بلغا نهاية التردد والتذبذب بين العلول ، فيجلسان أمامي ، ويدان في استعراض اسباب الشقاق من البداية ، ليتعرفا سر ما أصابهما !..

دور الناحية الجنسية فى الخلافات الزوجية ..

♦ ومن أكثر الأسباب شيوعاً ، الخطأ فى التمهيد للعلاقة الجنسية بين الزوجين ، والعجز عن تنظيمها .. فان هذه الناحية من العلاقات الزوجية كثيراً ما تكون غائبة عن ذهن الفتاة عند الزواج ! .. وكما من فتاة زفت الى زوجها وهى أجهل ما يكون بواجباتها .. اذ أن الحواجز التقليدية تحول بين أمها أو قريباتها وبين مصارحتها وتزويدها بما يكفل لها أن تكون على استعداد لأن يوفق بين أحلام العذارى ، وما فيها من نرفع عن الجسد ، وبين الفريضة الطبيعية التى لابد من إشباعها بين الزوجين .. ويكون النتيجة أن تصطدم مشاعر العذراء .. أو أن تروض نفسها على جهل .. أو أن يخفق الزوجان فى تنظيم هذه العلاقة بينهما ..

♦ وأذكر أن رجلاً جاءنى يوماً يسكو من أن زوجته لم تعد الى دارهما منذ خمسة أيام !

وكان هو شاباً فى حوالى الثلاثين من عمره ، مقبول المظهر ، متوسط الغامه ، عادياً فى كل شيء .. وقد أخبرنى بأنه تزوج قبل عامين ، ولم نسا زوجة أن يبيع فى البيت ، بل أصرت أن تتخذ لنفسها عملاً شغل معظم وقتها .. وكانت اذا انصرفت من العمل ، رافقت زملاءها وزميلاتها فى سهراتهم ، حتى ادمنت على الخمر .. الخ

ومع ذلك فقد كان الزوج توافاً الى أن يستعيدها ..! ودللتى تحريانى على أن مسلك الزوجة كفى بأن يحيطها بالشبهات .. فسميت الى لقائها .. وتحملت كل ما صبته على رأسى من سخط حين اطلعتها على مهمتى وتحريانى التى تكفى لأن تبيح لزوجها أن يطلقها !.. ثم أنبأتها بأن الزوج المهجور ما يزال باقياً على حبها ، رغباً فى أن تعود اليه .. وأن مهمتى هى أن أوفق بينهما !

الصراحة بين الزوجين أساس التعاون

♦ وإذا سألتها عن أهم أسباب هجرها اياه ، تبنت عليها الحرية والارتباك - وهما ظاهران نتمان فى الغالب عن التردد والاستحياء من الكشف عن المتاعب الجنسية ! - فسميت الى استدراجها برفق ، حتى استطعت أن أحملها على الحديث بصراحة .. وإذ ذاك انفجرت باكية ، وراحت تتحدث

وبقيض ، وقد وجدت في الحديث تخفيفا وتسرية عما كان يثقل على نفسها .. وهذه ناحية أخرى من غرائب النفس البشرية ، خبرتها في مهنتي .. فان الشابة تستحي أن تتحدث عن متاعبها في الناحية الجنسية ، حتى الى زوجها .. ولكنها ما تكاد تظمن الى - وانا الغريب عنها - وما تكاد تواجه صراحتي ، حتى تتطلق في الحديث .. في صدق وصراحة .. فهي بهذا الحديث تستعرض المشكلات وقد جردتها لأول مرة من الافطية الكثيفة التي خلعتها عليها التقاليد ، وتنقب بينها عن سر فشل حياتها الزوجية ! وكأنما هذا الحديث يزيل غشاوة عن عينيها ، فلا تلبث أن تفتنع بأن من أهم دعائم الحياة الزوجية ، ومن الزم واجبات الزوجة ، أن تصارح زوجها دائما بمتاعبها في هذه الناحية .. وان تقترح عليه - اذا استدعى الامر - أن يستشير طبيباً اخصائياً .. الخ

الصلح في ٦٥٪ من الحالات !

♦ وكان هذا ما اقتنعت به بطله فصتي هذه .. فعادت الى زوجها ، وهما الان من أسعد الأزواج .. وان كنت أشعر انني لم اقم بنصيب يذكر في تحقيق هذه النهاية الموفقة ، فلولا أن كلا منهما كان صادق الرغبة في تعرف سر مشكلتهما والسعى الى حلها ، لكان الطلاق قد فرق بينهما منذ سنوات .. والواقع انني كلما عدت الى ملفات القضايا التي تناولتها ، أجدني ازاء ظاهرة ذات معنى هام ، فان ٦٥ في المائة من القضايا الخاصة بالخيانة الزوجية، قد انتهت الى صلح بين الزوجين، مهد لتفاهم عميق، واستقرار في الزوجية..! ذلك لانه ليس ثمة عملية من الدقة والخطورة كالزواج .. انه شركة قد تنتهي الى افلاس سريع ، لانفه خطأ في ادارتها .. ومع ذلك ، فهو في افلاسه او ازدهاره ، يتألف من عواطف وصلات انسانية مرهفة .. ويبدو أن أهم اسس الخلاف فيه ، يتمثل في حاجة الشركة الى أن يبحث طرفاها أمورها معا ، ويناقشا مسائلهما في صراحة وتفاهم ، ويستشيرا أهل الخبرة أن استدعت الحاجة .. ولا يجب أن تستمر الشركة على زغل وعدم رضى وتفاهم بين الشريكين .. ومن ثم فان الزواج المزعزع ، الذي لا يقدم فيه الزوجان على بحث مشكلتهما معا وحلها سويا في تفاهم ، لا يمكن أن يكون زواجا ناجحا ، ولا يمكن أن يغنى على الزوجين سعادة ما ..

عزيزى القارىء ..

فى الاعداد السابقة قدمت لك فى هذا الباب على التوالى قصص حياة :
 « ديفاليرا » .. و « هاربالدى » ..
 و « لويس باستير » .. و « اميل زولا » ..
 و « اماركونى » .. و « تشايكوفسكى » ..
 « فمستفى كمال » .. وهم من هم من
 المظلماء فى السياسة ، والطب ، والادب ،
 والاختراع .. والموسيقى .. الخ
 وفى العدد الماضى قدمت لك القسم
 الاول من قصة حياة الموسيقى العالمى
 الخالد « شوبان » ، واليوم اقدم لك
 الشطر الثانى والاخر من حياته وفراجه
 الفاجع مع عشيقه رجال الفن « جورج
 صاند » ..

وفى الاعداد التالية اعرفك بالذن الله
 بهؤلاء الذين تشناق الى معرفتهم منذ
 بعيد : لورد بيرون ، شيللى ، براوننج ،
 دانتي .. بيتهوفن ، شوبرت .. فولتر ،
 شوبنهاور ، نيتشه ، ارسطو .. بوذا ،
 كونفوشيوس .. داروين ، اينشتين ..
 شكسبير ، جوتة ، اديسون ،
 فورد .. بلزاك ، ديكنز ، والتر سكوت ،
 ديماس ، دستوفسكى ، موبسان ..
 كولبوس ، الاسكندر المقدونى ، بطرس
 الاكبر ، فردريك ، بسمارك .. مايكل
 انجلو ، رفايل ، ليوناردو دى فنشى ،
 وفسرهم

الخالدون



عظماء فى غير السياسة



فنه ..
وغرامه ..
ومأساته



شبابه الباكر ..

♦ في القسم الذي نشرناه في العدد الماضي - من سيرة الموسيقى العالمي فردريك شوبان - رأينا كيف هاجر الفنان الشاب ، وهو في سن العشرين ، من وطنه بولندا وحط رحاله في باريس - عاصمة الفن ووطن الفنانين - مدفوعا بنصح اساتذته له بالابتعاد عن مركز الصراع الطاحن بين مواطنيه وبين جيش الاحتلال الروسي ، والسعى الى جو من الهدوء والاستقرار يكفل له التفرغ للإنتاج الفني ..

فلما استقر به المقام في باريس اقام عدة حفلات موسيقية لم تحقق له الكسب المادى المرجو ، لكنها لفتت اليه انظار اعلام الموسيقى ذوى النفوذ ، الذين قدموه الى المحافل والدوائر الفنية في المجتمع الباريسى الراقى .. فلم يلبث ان تهافت عليه النشء من هواة الموسيقى كي يتعلموا اصولها على يديه . وفتحت له ابواب القصور ليعزف في حفلاتها الحانه الرقيقة ذات الطابع الحزين ، الذى هو انعكاس لنفسيته المكتسبة ، ونتيجة طبيعية لعوامل ثلاثة : اولها اصابته بمرض ذات الرئة منذ شبابه الباكر .. وثانيها حثثه العنيف الى وطنه الجريح وقلقه على مصيره .. وثالثها فشله في غرامياته السابقة ، وكانت بدورها ثلاثة ، هي على التتابع : عشقه الجنى «الشاك» لشاب عملاق من اصدقائه .. ففرامه بفتاة من تلميذات معهد الموسيقى تدعى «كونستانسيا جلاذكوفسكا» .. ثم حبه لابنة نبيل بولندى هي «امارى وودزنسكا» التى عارضت اسرتها في زواجها منه ! .. لكن كل هذه الغراميات لم تكن الا بمثابة المقدمة لمحبه العظيم للادبية العاشقة «جورج صاندا» .. الذى نروى قصته اليوم :

صداقة العمر

♦ لم تمض على شوبان فى باريس بضعة أشهر ، حتى بدأ قلقه الفكرى وهواجسه النفسية يخليان مكانهما من رأسه للامل العريض، فى أن تحقق شمس باريس المشرقة ومجتمعاتها اللامعة للغريب الوافد عليها هدفه : تقوية بدنه الهش ، وشفاء نفسيته المكتسبة !

وكانت فرنسا فى ذلك الحين - بعد ما استنزفت حروب نابليون من دماؤها الغزيرة - أشبه بامرأة جريحة من معاربات « الامازون » الباسلات عادت الى أسرتها، وبدأت تستمتع بالجيل الجديد القوى من أبنائها الذين يعبدونها وينسجون حولها هالة من الاساطير ، بل ويمدونها بدمهم وقواهم المتجددة . وكان على رأس ذلك الجيل من المتغنين بمجد بلادهم : الشاعران الفريد دى موسيه ، وبودلير ، والموسيقى برليوز ، والاديبان هيجو وبلزاك . ثم وفد الى هؤلاء من وراء « الرين » اخوتهم فى الرضاع : هاينريك هاينى ، وفرانز ليست ، ومندلسون . الخ

فى هذا المجتمع من الفنانين الحالمين الذين واتتهم الجراءة على أن يتخيلوا فيصوروا عالما أفضل ، عاش الفتى البولندى الساهم المريض ! . كان يجلس الى البيانو فيسحرهم جميعا بفنه ، بموسيقاه الشبيهة بأبيات الشعر! . وفى احدى الحفلات التى أقامها الوافد الغريب كان بين الحاضرين « فرانز ليست » أعظم عازفى البيانو فى عصره، والى جواره جلس ساحر الموسيقى فيلكس مندلسون . فلما بدأ الشاب البولندى فى عزف ألحانه أحس الاثنان كأنهما يسمعان ألحانا من السماء . فلما انتهى من العزف افتتحا عاصفة حماسية من التصفيق له وقد انتابت « ليست » على الاثر طائفة من الشكوك والهواجس خشى معها أن يكشف هذا المنافس الخطر ذو الوجه النحيل ضوء عبقريته هو . . لكن هذه الافكار الانانية لم تلبث أن تبخرت على وهج تحمسه لاكتشاف النجم الجديد . . وهكذا عاش ليست وشوبان الى النهاية أخلص صديقين . ولم يتوان الاول - يعاونه مندلسون - عن تشجيع الفنان المبتدىء وتقديمه للوساط الفنية والمجتمعات الرفيعة فى كل مناسبة ، فكانا أول من أخذ بيده فى الطريق الشاق الذى اختطه لنفسه . .

لكن شويان كان - على العكس من صديقه ليست - ناسكاً منزماً ، مترفعاً بطبيعته ، يكره المجتمعات ، ويخشى زحاً الجماهير ٠٠ ولو انه لم يكن يتردد في غشيان صالونات الارستقراطيين ٠٠ وحيثما كان يعزف لهم « كان الهواء يموح بحوريات من الجنة ! » ، على حد تعبير أحد معاصريه ٠٠ وبدأ الحظ يبسم له ، والمال ينهال عليه من الحفلات ، ومن دروس البيانو الخاصة ٠٠ فاتخذ له مسكناً أنيقاً ، وعقد صلات مع عدد من النساء اللواتي قدرن نبوغه فغمرنه بمزيج من شعور الشفقة والحب ، الشبيه بحب الام لطفلها ٠٠ لكن حبه اياهن كان مجرداً من غريزة الجنس ، فان ضعف بدنه الهش اضطره الى أن يلتزم حياة العفة المطلقة ، وان تكن عفته الجثمانية الاجبارية قد أضفت على موسيقاه - كتعويض عن حرمانه - ثملاً روحياً ، وروعة منقطعة النظير ٠٠!



الفالس ٠٠ والمأزوركا ٠٠ والبولونيز !

♦ ولعل مما يدهش كل من يحصى ألحان شويان أن يجد عددها ضئيلاً نسبياً ، بالقياس الى من سبقه من الموسيقيين المكثرين أمثال : باخ ، وهاندل ، وموتسارت ، وبيتهوفن ، وشوبيرت ٠٠ الذين كانوا ينتجون ألحانهم بالعشرات ، والذين يعتبر شويان الى جانبهم متكاسلاً عقيماً ٠٠ لكن الواقع انه كان من فئة الفنانين الذين ينشدون الكمال في انتاجهم ، فتراهم يدقون ويمحصون ٠٠ وهكذا لم يكن يضع « نوتة » واحدة بغير

عناية ، و لا يمل المراجعة والتغيير والتبديل . . بل كان يعذب نفسه بالشك والتردد في ادق دقائق ألحانه وأصاأل جزئياتها !

. . وكما كان انتاجه قليلا فى عدده كان أيضا محدودا فى سوعه وألوانه . فان جميع أسلافه من الموسيقيين المعروفين كانوا يدلون بدلوههم فى شتى أبواب التأليف الموسيقى ، فيضعون السمفونيات ، والاوربات ، والالحن الكنسية ، وألحن الآلات الموسيقية المنفردة . . الخ - أما شوبان فلم يبعثر جهوده بل احتص بها آلة واحدة هي البيانو . . وحتى فى هذا المجال الصيق لم ينتج من الالحن الجدية التقليدية - وهي ألحن « السوناتا » و « الكونشرتو » - غير ثلاثة من الأولى واثنين من الثانية . . أما أكثرية ألحانه فكانت من أنواع جديدة وغريبة على الفن الجدى حتى ذلك التاريخ ، وأهمها ثلاثة أنواع : الفالس والمازوركا والبولونيز . . التى وان كانت كلها معروفة من قبل الا انه انفرد فيها بلون خاص فريد ، ميزه عن جميع من طرخوا هذه الابواب الثلاثة . . حتى لقد أجمع النقاد على أن شوبان هو أول موسيقى سيطر على البيانو سيطرة أحاطت بكل طاقته وأخرجت مكنون كنوزه . . بل وانطقته بالحن لم يكن العالم يحسب انه - كآلة موسيقية - قدير على اخراجها . . الامر الذى أخرج الموسيقى الكبير روبرت شومان عن طوره حين سمع احدى مقطوعات زميله البولندى الناشئ فهتف ماخوذا « أيها السادة ، ارفعوا قبعاتكم . . فنحن أمام عبقرى ! »

على هذا المنوال سارت حياة شوبان فى باريس حتى بلغ الثامنة والعشرين ، عام ١٨٣٨ . كان يؤلف الالحن للبيانو ، ويصق دما من رئتيه الهالكيتين . ويحظى باعجاب الناس بموسيقاه . وسخرتهم من تخننه ! . . حتى لقد بات فى أشد الحاجة الى دافع نفسانى جديد قوى ، والا عجز عن المضى فى طريقه . . فمن ذا الذى يستطيع أن يضع موسيقى قوية ، وقلبه خائرا . . وكانت

كأبته ما نزال تلازمه : « رغم انى أرى الخطرة حتى فى الشتاء ،
فانى أراها براسى فقط » أما قلبى فهو دائما غارق فى الوحشة
والصقيع ! »

وبالاختصار .. فقد كان فى حاجة الى حب قوى عارم يوقظ
النار الكامنة فى أعماقه .. أو الى لمسة سحرية تجرى
تيار الحياة فى أصابعه المريضة !!
عندئذ ، وفى اللحظة المناسبة ، اقتحمت عليه حياته الخاوية
جورج صاند !

الفرام الذى أوقد الشعلة !

♦ وغرام شوبان وجورج صاند يعتبر من أعقد الالغاز فى
تاريخ الموسيقى العالمية - بل وفى تاريخ القلب البشرى قاطبة .
هذا المركز المظلم للعواطف الانسانية !
فقد كان الفنان مختل الأعصاب ، لكن مدام صاند كانت تفوقه
شدوذا ! كانت كتلة من المتناقضات النفسية . وقد زادت الحقيقة
غموضا والقصة اضطرابا محاولات المؤرخين تحديد المسئول
منهما عن النهاية التمهية التى انتهى اليها حبهما الطويل ..
كما أسرف رواية حياة شوبان فى القسوة والمهاجمة لجورج صاند ،
وصبغ شخصيتها باللون الاسود الفاحم ، مما يتنافى مع الحقائق
فى كثير من المواضع .. وان يكن الامر المؤكد انها واحدة من
أغرب الشخصيات النسائية التى عاشت على وجه الارض !

كان اسمها الاصلى « اورورا دوبان » .. انحدرت من سلالة
الماريشال ساكس ، الذى كان ابنا غير شرعى لاوغسسطس الثانى
ملك سكسونيا ، وجرت فى دمها أسلافها كثير من اللوات
الآخرى المشنومة .. لكن ذلك كله لم يردع أسرتها عن القائها ،
وهى فى الثامنة عشرة ، بين ذراعى زوج داعر فقط لا تحبه ،
يلقى « كازيمير دوديفان » ، وكان من سراة الريف فاحتلمته
ثمانى سنوات ثم لم تطق صبرا فهجرته ورحلت الى باريس

.. وهناك ألفت قصة طويلة تافهة بالاشتراك مع شاب اسمه حول صاندو - ومنه اشتقت لقبها جورج صاند - أعقبتها بقصة أخرى ألفتها بمفردها وسمتها «انديانا».. فظفرت القصة برواج عائل رفعها الى مصاف «أوسع الكتب انتشارا» فى تلك السنة، ورفع مؤلفتها الى مرتبة الشهرة بين يوم وليلة ..! ومنذ ذلك التاريخ حتى آخر حياتها الطويلة - فى سنة ١٨٧٦ - ظلت مدام صاند تؤلف القصص بنشاط خارق ، حتى جاوزت مؤلفاتها المائة كتاب !..

لكن الشهرة التى واثتها صحبت معها السمعة السيئة ، فان مدام صاند لم تستطع أن تعيش على وفاق مع المجتمع أو تحترم تقاليده ، حتى فى أبسط الامور ، وهو الزى النسائى ..! فحين بينت أنها تستطيع أن تذرع شوارع باريس فى زى طلبة الحى اللاتينى ، منحت نفسها حرية ارتداء ملابس الرجال أينما ووقتها سمعت ..! حتى ليكن أن يقال انها كانت الزعيمة الروحية أو الجدة الاولى لانصار الحركة النسوية الذين أقروا حرية المرأة فى عصرنا الحديث !..

لكنها لم تكتف بارتداء ثياب الرجال ، بل اقتبست عنهم هواياتهم ، فصارت تدخن السيجار ، ثم الجوزة ..! وحين رفعت ضد زوجها دعوى الطلاق أثار الامر ضجة وفضيحة شائنة، لكنها واجهت العاصفة بعدم مبالاة، مفضلة حريتها على سمعتها!.. **على أن الشيء الذى لم يستطع أن يغفره لها مؤرخو حياتها -** أكثر من مغامراتها العديدة الفاضحة وشذوذها - التحالها لنفسها ذلك الحق الذى كان دائما من حقوق الرجال الخاصة ، وهو حق إنهاء الصلة الغرامية وهجر الحبيب ..! فقد كانت دائمة التنقل بين أحضان الرجال وفق هواها ، وكانت هى التى تهجرهم فى كل مرة دون سبب معقول ، الا العشور على عشيق آخر !..

لكن مغامراتها جميعا لم تحقق لها السعادة المنشودة ، فكانت دائما نهبا للألم النفسى الناشئ من خيبة الامل والفشل فى الحب ...!

وقد قضى « بلزاك » اياما فى ضيافتها ، ببيتها الريفى الكاثر فى ضاحية « نوان » - فى يناير سنة ١٨٣٨ - فكتب يصف مساعره التى خلفتها فى نفسه اقامته عندها ، قال : لقد وجدت « الرفيقة » جورج صائد حالسة أمام المدفأة فى غرفة واسعة ندخن سيجارا . وكانت مرتدية بنطلونا احمر وجوريا جميلا وخفين أصفرين مزر كسبين بالحواشى والاهسذاب . . . أما عن جسمها فقد لاحظت ان أسفل ذقنها قد امتلأ شحما ولحما ، لكن شعرها ما يزال فاحم السواد لا تتخلله شعرة واحدة بيضاء ، برعم الكوارث التى تنابها فى غرامياتها ! وبالمثل لم تتغير بشرتها السمراء ، ولا عيناها اللامعتان ، ولا طابع الغباء الذى يبدو عليها حين تستغرق فى التفكير ، فان جمالها كله - كما قلت لها بعد دراسة شخصيتها - يكمن فى عينيها ، حين تكون منبهة ! »

كيف بدأت العلاقة ..

وقد التقت صائد بشويان سنة ١٨٣٨ ، (وكانت قد نفقت يدها لتوها من علاقتها بالشاعر الفريد دى موسيه وختمت الفصل الاخير من قصة حبهما الحار العنيف !) . . . وكانت وقتئذ فى الرابعة والثلاثين - تكبر شويان بنماني سننات - والدة طفلين شرعيين ورعاية ألف ذكرى غير شرعية ! . . . لا تنى تبحث وتنقب عن تلك العاطفة الاسرة التى طالما حلمت بها . . . لكن أحدا من عشاقها لم يكن فى مثل قوة شخصيتها ، أوقوى منها بحيث يسيطر عليها ويخضعها ، ومن ثم فانها كانت لهم بمثابة الام والعشيقة فى آن واحد ! لكنها لم تخضع لواحد منهم خضوع العبيد ، وفى أثناء بحثها عن

عزوات جديدة كانت أسند النساء شوقا الى من يغزوها ! .. وفد
عبرت عن هذا فى مجال الحديث عن الاديب الفرنسى بروسبر
ميريميه - مؤلف قصة «كارمن» - بقولها : « لو ان ميريميه
فهمنى لربما أحبنى .. ولو أحبنى لربما قهرنى .. ولو استطعت
ان أخضع لرجل لكان فى ذلك خلاصى ، فان حريتى تخنقنى
وتقتلنى ! »

.. وعلى ضوء هذه الطبيعة الطاغية نستطيع ان نفهم سر
رفوع شوبان - رغم ذوقه المرفه وشغفه بالجمال - فى شباك
هوى هذه المرأة المحرومة من الجمال ، بقامتها القصيرة البدينة
وبشرتها السمراء كالهنود ، وانفها الكبير وفمها الواسع ! ..
ففيما عدا عينيها الجذابين ، النسيهتين ببخيرتين واسعتين من
السواد السائل - لم يكن فيها ما يعجب شوبان ، بل كان فى
طباعها الكثير مما ينفره ، ولا يلائم تحفظه وارسطراطيته !
والواقع انها أحبته قبل أن يحبها ، فعلى أثر لقائهما الاول
- الذى سبقته فترة انتظار ولهفة كان كلاهما خلالها يسمع عن
سهرة الآخر ويتوق الى معرفته - كتب هو يصف شعوره فقال :
« يا لها من امرأة منفرة .. ولكن أهى امرأة حقيقة ؟ اننى على
استعداد لان أشك فى ذلك ! » .. فلما أقبل صيف ذلك العام ،
وكانت صحة الفنان على غير ما يروم ، دعتة صاند كى يفضى
فترة استجمام فى بيتها الريفى فى « نوان » .. فلم تمض أسابيع
حتى كانت اشهر قصة غرام فى الجيل تختمر فى قلوبهما ! ..
صارت هى تدعوه « ملاكى » وتعنى به كما تعنى باطفالها ، بل
وعدته بأن تكرس حياتها كلها فى سبيل شفائه من مرضه ..
وسرعان ما بادلتها هو حبها بل فاقها فيه .. لم يعد يستطيع
العيش بعيدا عنها ، وان أحس فى البداية بالخجل من غرامه الى
حد الحرص على كتمان أمره عن أسرته وأصدقائه ، والاحجام عن
توجيه عبارات اهداء أى لحن من ألحانه اليها .. رغم كونها
الموحية له بأروعها !

وفي الشتاء التالي (١٨٣٨ - ١٨٣٩) قررت صائد أن تقضى اشهرها في جزيرة « مايورقا » ، وأقنعت شويان بأن يصحبها هي وطفليها الى هناك . فذهب وهو يتوقع أن يجد في الجزيرة جنة استوائية يسترد في شمسها الدافئة صحته المضمحلة . . . لكن أقدامهم لم تطأ أرض الجزيرة حتى بدأت الامطار تنهمر بشدة ، والعواصف تعصف براحة الليل ، بل انه أصيب فوق اصابته بنزلة شعبية حادة . . . وسرعان ما تواترت الاشاعات في الجزيرة بأنه مريض بالسل - في وقت لم يكن يعرف فيه للداء الويل علاج ! - فحاول الاهالي الاعتداء على حياته أكثر من مرة . وتقاطر أطباء الجزيرة عليه ، يفحصون بصاقه ويسمعون رثتيه ويهزون رؤوسهم يائسين . . . أو على حد تعبيره في أحد خطباته : « انهم يعاملونني كحيوان . . . قال أحدهم انني سوف أموت . . . وقال ثان ان بيني وبين الموت خطوة . . . أما الثالث فقال انني ميت بالفعل ! »

ايام تعسة . .

ولم يكد يستقر بالوافدين المقام في الفيلا التي استأجروها حتى أصدرت السلطات الطبية أوامرها الى شسويان بمقادرة المدينة فوراً ، وأعادت طلاء جدران البيت كله على نفقته . . . فاضطر العاشقان الى الانسحاب الى أطلال دير عتيق مهجور فوق التلال القريبة من البلدة ، لقضاء بقية « أشهر العسل » المشؤومة تحت سقفه . . . وكان الدير من ابنية القرن الخامس عشر المشيدة على الطراز القوطي ، سمك جدرانه ثلاثة أقدام ، وأسقفه شاهقة الارتفاع ، ونوافذه ضيقة صغيرة - مثل كوى السجون ! - وحجراته (أو بالأحرى زناناته) خاوية مخيفة ، وممراته رطبة مظلمة ومتعرجة مثل « بيت جحا » . . . وكان يطل على المقابر المحيطة التي يحدها سور من أشجار السرو . . . فاضطر القادمون الى أن يشغلوا منه ثلاث زنانات - أو « نعوش » على حد تعبير

شوبان ! - عاشوا فيها في حال يرثى لها ، وبؤس لا يوصف ! ..
وزاد الطين بلة ان الاهالي قاطعوهم ، فتعذر عليهم الحصول على
غير الاطعمة القذرة الفاسدة !

وبعد أن قضوا في هذا الجحيم ثلاثة أشهر ، قرروا العودة
الى فرنسا ، قبل فوات الاوان ! .. وأثناء الرحلة لم ينقطع نزيف
الدم من رثتي شوبان .. وحين بلغا «برشلونة» فقد قدرا كبيرا
من دمه قبل أن يتمكن الطبيب من وقف النزيف ! .. وعند
وصولهما الى مارسيليا كان أشبه بشبح يسير على قدمين ..
وهناك استراح الراكب أياما حتى عاودت المريض بعض عافيته
فاستأنفا السفر الى بيت صائد الريفى فى «نوان» .. لكن سوء
تأثير اقامته فى جزيرة «مايورقا» لم يزايله قط ، فلم يسترد
صحته بعد ذلك يوما كما كان قبل الرحلة المشؤومة .. أما تعلقه
بجورج صائد - التى صارت فى هذه الاثناء خليلته ، تحت تأثير
الشفقة من جانبها أكثر من الحب ! - فقد تضاعف بعد البطولة
التي أبدتها فى خدمته بالجزيرة ، والتفانى فى رعايته ! ..
وفى فرنسا سارت حياتهما فى السنوات التالية على وتيرة
واحدة . كانا يقضيان الصيف فى بيتها بضاحية «نوان» ، وبقيّة
العام فى باريس فى بيتين متقاربين .. وكل مساء يلتقيان فى
صالونها العامر بعلىة القوم ، فقد غدت وقتئذ أشهر امرأة فى
أوروبا !

ومرت سبع سنوات ..

الحلقة المفقودة ٩٠٠

♦ أما الفصل الاخير من القصة فهو أكثرها غموضا واضطرابا ،
ففى سنة ١٨٤٧ انقطعت الصلة بين العاشقين ، فى ظروف
اختلف فى تحليلها المؤرخون ، وان كانت تتلخص فى أن نزاعا
عائليا نشب بين المرأة وبين ابنتها وابنها أثناء اقامتهم فى
«نوان» ، فانحاز شوبان وهو فى باريس الى صف الابنة ضد
أمها .. الامر الذى ساء صائد فكتبت الى عشيقها خطابا اعتبره

بمناوبة فرار بطرده من حياتها وقلبها ! ٠٠ أما محتويات الخطاب بالضبط فما تزال مجهولة ، اذ مزقه شوبان بعد أن اطلع عليه صديقه الرسام ديلاكروا دون غيره ٠٠ وقد كتب الرسام في مذكراته يصف الخطاب بأنه « شرير وقطيع للغاية » ولم يزد! ٠٠ على أن المرجح أن المرأة كانت قد ملت الحياة مع حطام مقضى عليه بالموت البطيء ، وضافت ذرعا بسعاله المزعج ، فظلت تترقب الفرصة المناسبة للخلاص من أسرهِ ٠٠ حتى وجدتْها أخيرا ، فسارعت بانتهازها في غير رحمة ، آملة أن تقتنص من شبابها الباقي فرصة الظفر بغرام أخير مع رجل قوى صحيح الجسم يعيد إليها إيمانها بالحياة ، بعد أن لم يعد لدى شوبان ما يقدمه إليها ، وخاصة منذ أشبعت منه فضولها وشهواتها وهجرت جسمه العانى مكتفية بالاستمرار في صداقتها «الروحية» له ٠٠! على أن المنصف لا يستطيع أن يغمط مدام صائد فضلها على شوبان ، من أكثر من زاوية ٠٠ فقد طالما استحثته على الانتاج فاشبعت غروره كفنان وأرضت كبريائه وظموحه الى الشهرة ٠٠ ثم غمرته بفضلها الاكبر حين سهرت على العناية بصحته فأطالت عمره سنوات، هي أحفل فترات حياته بالانتاج الفني ٠٠ ولا شك أنه لولا تمريضها اياه بنفس التفانى الذى كانت تعامل به فلذات كبدها لما عاش أكثر من أسابيع معدودة بعد عودته من جزيرة « مابورقا » المشؤومة ! ٠٠

اللقاء الاخير

♦ أما هو ، فلم يبق - بعد أن هجرته - ثمة شئ يحول بينه وبين ذراعى عشيقته التالية : الموت ! ٠٠ وفي انتظار عناقها الابدى لم يلقى الفنان بعشيقتَه السابقة مدام صائد غير مرة واحدة بعد انفصالهما ، وكان ذلك فى مارس سنة ١٨٤٨ ، حين تقابلا على سلم منزل صديق مشترك لكليهما ٠٠ وقد كتبت هي تصف ما حدث : « ضغطت على يده المرتجفة الباردة كالثلج ٠٠



كنت أريد أن اكلمه .. لكنه
سحب يده وابتعد مسرعا ! ..
وفي تلك اللحظة العابرة أنبأها
بأنها قد صارت جسدة ، فإن
ابنتها التي خاصمتها قد وضعت
طفلا ! .. وحين عاد الى البيت
كتب في مذكراته : « لم أعد
أومن باللموع .. فقد رأيتها
تبكي ! »

والواقع ان القدر لو كان
رحيما بالفنان المعذب لختتم صحيفة
حياته عقب قطيعته مع مدام صاند
مباشرة .. فانه في العامين

اللذين عاشهما بعد القطيعة كان أشبه بالجنة التي تنحامل على
نفسها وهي بثياب الكفن ! تفوح منه رائحة القبر ، ولا يخال
من يراه أن تحت ثيابه بقية من لحم ودم .. بل صار أشبه
بشخصية خرافية من شخصيات الاساطير ، أو شبح يسير على
أنغام لحنه الجنائزي ، مشيعا نفسه الى مثواه الاخير ! ..

.. ولم ينتج فنا خلال ذينك العامين ، فان جناحه المكشوف
كبرياءه - كان قد جرح في الصميم جرحا غائرا لا سبيل الى
التئامه .. فضلا عن انه من العسير أن تطالب بالانتاج الفني
شخصا سئم الحياة ولم يعد يريد أن يعيش ! ..

وحين نشبت في فرنسا ثورة ١٨٤٨ اضطرت للانتقال من
باريس الى انجلترا ، حيث قضى ثمانية أشهر كان خلالها موضع
حفاوة وتكريم مجتمعان لندن ومحافلها .. لكن ظهره قد احدث
من فرط نحوله ، وسعاله لم يكن يتقطع .. ورغم بؤسه فانه لم
يحجم عن احياء عدة حفلات لاغاة اللاجئين البولنديين ..
وأخيرا نجا بنفسه من ضباب لندن البارد عائدا الى باريس ،

حيث أوشك ماله على النفاد ، لولا أن أسعفنه اسكتلندية ثرية من تلميذاته بمبلغ ٢٥ ألف فرنك أرسلته إليه سرا ٠٠! وظلت ذؤابة الشمعة المترنحة تتأرجح في مدينة النور أسابيع آخر ، كان فيها جسمه الفاني يتنقل بين قاعات الموسيقى في العاصمة كالظل ، وموسيقاه الرقيقة تردد أغاني الريح والنجوم وغوامض الليل ، فيفهمها الشعراء والعشاق والاطفال ٠٠ لم يبق حيا منه غير ذهنه وأصابعه فقط ٠٠ ونشرت الصحف نبأ وفاته أكثر من مرة ، قبل وقوعها ٠٠ وفي ١٧ أكتوبر سنة ١٨٤٩ وقد يلفظ أنفاسه الأخيرة ، وسمعه يهمس : « لقد وعدتني بأنى لن أموت الا بين ذراعيها ! » ثم أوصى الذين يحفون بفراشه : « عند ما انتهى اعزفوا لى شيئا من الموسيقى ، فسوف أسمعها من العالم الآخر ! »

عبقرية « موزار »

◆ سال شاب ذات مرة الموسيقى الشهير « موزار » عن كيفية وضع « السيمفونى » ٠٠ فأجابه موزار : « انك شاب ، حديث السن ٠ فلم لا تبدأ بوضع المقطوعات السهلة قبل التفكير فى وضع السيمفونيات ؟ » فقال الشاب : « لكنك ألقت سيمفونيات وأنت فى سن العاشرة ، اليس كذلك ؟ » فأجاب موزار : « نعم ، ولكنى لم أسأل أحدا عن كيفية تأليفها ! »



غراميات الشاعر من أقوى عوامل وحيه . وشاعرنا اليوم هو
 «الغريد دي فيني» الذي اتحف الادب الفرنسى بمقطوعات من اخلد
 آياته ، وخاصة في الفترة التي الهب فيها وجدانه حبه وصلته بالمثلة
 الفرنسية «مارى دورفال» ، التي اشتهرت في عصرها بانوثتها القوية
 وجالبيتها الفالقة .. وفيما يلي مقتطفات من اروع ما «نثر» الشاعر
 في رسائله الى محبوبته ، وهي رسائل تفيض بالالم الدافق والاسى
 العميق :

- ١ -

باريس : ٣ يوليو ١٨٣٣

يا حبيبتي ..

♦ ان ما قاسيته بسببك منذ ان اقمعتلى مسكنك الجديد، بجل من الوصفه
 ولا يكفى ما بقى من عمرى كى يجعلنى انساه .. ولكن ، اخيرا ، رايتك
 بالامس .. وبعد الساعات الاربع التي قضيتها في الهوى والقبل ، شعرت
 بانك قد فتحت لى روحك على مصراعها ، كما اعتدت ان تفتحى لى ذراعيك ..
 فشكرا لك الف مرة يا ملاكى ، يا جميلتى الفالية .. فلقد استرددتك ! ان
 تويتك الرقيقة يا طفلتى قد صحت كل شيء .. وما انا اعود فامنعك نقتى ،
 واهمد اليك بحراسة حبك ، وشرفك ، فلا تنسى هذا .. ولا تفرطى فيهما
 اما ما بقى راسيا في اعمالي روحى من سيئات الماضى ، فهو اقصى من
 الحزن .. هو التماسه ، والغبية القاتلة .. واني لاحس في نفسى ، لاو

مرة في حياتي ، بعار فظيع .. فان الكلمات التي جاهدت نفسي بالامس كي
انطلقها قد اسخطتني على نفسي ، الى حد لا استطيع التعبير عنه .. أحسست
اني اقتطع قطعا من لحمي وعظمي ، وفي سبيل انتقامي طعنت قلبي ! .. انه
لفظيع ما فعلت ، ولكن نقي انه اشد ابلاما لي .. منه لك !

- ٢ -

الخميس ٤ يوليو سنة ١٨٣٣

(على اثر عودته من لقائها في الساعة الاولى صباحا !)

يا حبيبتي ..

اعود من لقائك بقلب كسير يعانى هما يعوق الف مرة ما فاسيته منك
في الماضي .. فلکم تسبيين لي قللنا وحزنا يا ملاكي الفالي ، ولشد ماترعين
في نفسي اسي ممضا يا جميلتي المسكينة المحبوبة ! والا ، او حقا تفكرين في
ان تنيبي عنك «لوزا» في الكتابة الى بين الحين والحين ؟ انك لو اردت ان
تقتليني شجنا وحزنا لما كان عليك ان تفعلني غير ذلك ! .. فان خط يدك هو
الذي يلزمني ، وما انشده هو ظل ذراعك على الورق ، اليوم وغدا وعلى الدوام
.. الى اخر نسمة من حياتي !

اواه ، اية قسوة ان تتهميني انا - انا الذي تعرفين ادق دقائق شعوري -
بانني لم ابدل من اهلك ما فيه الكفاية .. كائنني استطيع ان احسن عليك
بشيء ! .. ورغم ذلك فاني اصفح عنك ، ولئن كان في طوفي بقية من جهد
يبدل فسوف ترينه مرافقا من اهلك ، يوم تمنحينني ثقتك كاملة ..
فاتوسل اليك يا جميلتي «ماري» ان تكلمي عن اثاره الرعب في قلبي
بتهديط اياي على هذه الصورة في كل مناسبة .. وان تؤمنيني على المستقبل
كيما استطيع ان افكر فيك واكتب اليك وانا مطمئن الخاطر !

صباح الجمعة

لقد نال مني الاعياء الليلة فتمت نوما عميقا .. وحين صحت ادهشني
ان اجد وجهي سابحا في دمي ، وعيني ما زالتا تفيضان ! اي حلم ياك ذلك الذي
ترامد لي فجملتي انشج في منامي ؟ .. لقد اسأت الي والكنني مساء امس
بملاكي الجميل ، فمتي تكفين عن فركك ؟ اما تعلمين كم احبك .. واي انفعال
دائم يلهب قلبي من نحوك ؟

- ٣ -

الخميس ٢٩ أغسطس

ما تزال الام راسي تعلبني ، وشعوري بالوحشة يضنني .. فلكم
احس اني وحيد ، لانك لست معي !.. ولكم احبك يا حبيبتي الغالية ماري!
انك لا تكفين عن الشكوى من الحياة ، فلماذا تركت لي انا اذن ؟ انك
بميتين في اعياد متصلة ، اما انا فاعيش في شبه مستشلى !.. وليخيل الي
انك تتعمدين التظاهر نحوى بالفرقة والغضب كي توهميني انك مهتمة بامري
اكثر من الواقع !.. اواه ، لن أستطيع المضي في الكتابة اليك الان فانتى
مكتئب ..

وهكذا يمضي الشاعر في خطاباتنه الى محبوبته على هذا
النمط فيسكب على الورق آثاته واساه ، وضحكه وبكاه ..
دون أن يرق له قلبها .. او ترق له دنياه !
وهكذا الحياة !

احلام .. مشهورة !

♦ كان المؤلف الانجليزى المعروف « روبرت لويس
ستيفنسون » يلهم الكثير من موضوعات قصصه اثناء
احلامه ، فاذا ما استيقظ من نومه بدأ يكتبها !.. وقد
روت زوجته فى هذا الصدد فى مذكراتها ما يلى : « صحت
من نومي ذات ليلة على صوت صرخات مزعجة كان يطلقها
زوجي وهو نائم ، فظننت انه يعانى كابوسا وايقظته ..
وكم كانت دهشتي حين عنفني غاضبا بقوله : « لماذا
ايقظتني ؟ كنت ارى فى الحلم قصة رائعة ! »
وكانت تلك بداية قصته المشهورة (دكتور جيكل
ومستر هايد) !

عزيزى القارىء ..

قدمت لك من القصص البوليسية فى
الاعداد السابقة : (لغز المرأة المختلفة)
لاجانا كريستى .. و(جريمة شارع
مورج) لادجار الان بو .. ثم (قارىء
الافكار) لادجار والاس ..

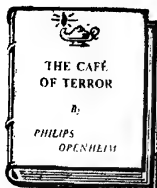
واليوم اقدم اليك فيما يلى هذه
القصة البوليسية (حانة الرعب) لغيليس
اوبنهايم .. وقد ارتحلنا فى هذه
القصص على التوالي الى : لندن ، ثم
باريس ، ومونت كارلو .. فشهدنا فى
كل عاصمة مغامرة فاضحة ..

ولى الاعداد التالية نظوف معا بمشيئة
الله ببقية المواسم ، فى ركاب هؤلاء
السادة من الكتّاب العالميين : البارونة
اوركرى ، تشارلس ديكنز ، سير آرثر
كونان دويل ، ادجار الان بو ، موريس
لويلان ، اجاتا كريستى ، سير والتر
سكوت ، اونوريه دى بلزاك .. نيوفيل
جوتيه .. واشنجتون ارفنج ..
اوستن فريمان .. وغيرهم من كتّاب
القصص البوليسية وقصص الرعب
والمغامرات ..

رياضة الذهن



غوامض القصص البوليسى !



المؤلف

يعتبر « فيليبس اوبنهايم » من اقطاب كتساب قصص الجريمة والفصص البوليسية في اوروبا في اواخر القرن التاسع عشر وخلال الثالث الاول من القرن العشرين .. وقد جاء يوم كانت قصصه تنشر بعدة لغات في مختلف البلاد ، في وقت واحد .. وكان بارعا في حبك المواقف التي تنطوي على المفاجآت والانفعالات العاطفية .. وقد اعتاد ان يستمد موضوعاته من القضايا الدولية الواقعية .. قضايا الجرائم ، والاغتيالات ، والجاسوسية ، والاختفاء في ظروف غامضة ، والفرار من يد العدالة ، او من يد الجريمة ، على السواء ..

كتب اول قصة له في العشرين من عمره ، فكانها كانت السعادة التي ازيلت من طريق مادة فوارة ، اذ اندفع بعد هذه القصة في انتاج فياض من القصص القصيرة والمقالات ، فضلا عن الروايات الطويلة التي كان ينشر اثنتين منها في العام .. في المتوسط !

ومن اطراف ما يروى عنه ، انه اقبل على كشف المخطر التيتونوي والمطامع الالمانية في عدد من قصصه ومقالاته قبيل وخلال الحرب العالمية الاولى ، مما اثار حقن السلطات الالمانية عليه ، فاصدرت خلال الحرب حكما باعدامه .. « على ان ينقل هذا الحكم حين تحتل القوات الالمانية انجلترا » .. !

نزهة تكشف عن جريمة !

◆ كان «المركيز» غاضبا في ذلك الصباح .. فما كان ليستمري المضي في ذلك الممر الجبلي الضيق المشرف على « مونت كارلو » ، المحفوف بالوهاد والصخور المقلقلة ، والمكسو بالاعشاب والطحالب والاحجار الصغيرة .. وكان يفيظه منظر مرافقته «ماديلون» وهي تنطلق برأسها العاري وخطاها الخفيفة .. وضحكتها المرحية تعلن أن هذه النزهة المضنية انما كانت تبعث في نفسها الجبور بدلا من الارهاق ! .. وكان يزيد من حنق صاحبنا المركيز ذلك الابتهاج الذي تبدى على ثالثهم « مستر صمويل بيللينجهام » وهو يسير بخطى نشيطة ، وسيجاره في

مه ، كأنه لا يجد أية مشقة أو عناء .. حتى اذا اشتد بالمركيز
النعب ، تهالك على كومة من الاحجار ، وراح يجحف بمسديله
المرق الذى كان يتفصد من جبينه ، ثم صاح :

- لن أمضى خطوة أخرى فى هذه النزهة السخيفة .. أجل ،
انها سخافة ! .. اننى لاشعر بالالام تجتاح معدتى ، وركبتى ،
وظهرى .. مالهنا جئت ! .. أين السيارة ؟! ..
وهتفت «ماديلون» فى رثاء :

- مسكين يا عماء ! .. لقد نسيت أنك لم تألف مثل هذه
الرياضة .. وكان خليقا بك أن تعيش فى انجلترا كما عشت
أنا ، لتألفها .. ولكنى ما أظنك تنكر روعة المنظر الذى
نطل عليه ! ..

وانساب نعليقه على المنظر فى سيل من السباب باللغبه
الفرنسية ، حتى فطن أخيرا الى ماقد يسببه للمستتر «بيللينجهام»
من امتعاض ، فأمسك لحظة محرجا ، ثم قال :

- سأعتذر عما قلت ، حين تهدأ ثأرتى .. أما الآن ..

فأجابه «بيللينجهام» قائلا : «لم يبق أمامنا سوى مسافه
بقل عن كيلومتر واحد .. اذ اعتقد أننا سنجد الطريق العام
حلف تلك الاكمة .. وقد أمرت بالسيارة أن نلحق بنا هناك ،
فلا ينقضى ربع الساعة يا «مركيز» حتى نكون فى «سان فليكس» ! ..
فقال «المركيز» فى حسرة وهو يستوى قائما على قدميه :
« آه ، لو استطاع المرء أن يجد شيئا من الشراب ! .. »

- سنعوضك عن صبرك بالتأكيد .. فلقد قمت بهذه النزهة
من قبل ، وأظن - اذا لم أكن مخطئا - ان ثمة حانة أو مقهى
يقوم عند التقاء هذا الممر بطريق العربات التى تحمل الاخشاب
من الغابة ..

والقى «المركيز» فى هذا الامل مابث فيه شيئا من القوة ،
فعاد الى السير متعثرا .. وان هى الا خمسون ياردة تقريبا ،

حتى ألفى الثلاثة أنفسهم ينتهون الى الطريق الذى تسلكه عربات حمل الحشب .. ولاح لهم عن كنب مبنى صغير أبيض ، فأشار المسر «بيللينجهام» قائلا :

— ها هو ذا مقهى الغابة .. ولعله أسوأ مقهى عرفته ، ولكننا لن نعدم فيه قسطا من خمر «ديبونية» دون أن نصاب بتسمم .. فقال «المركيز» وهو لا يتمالك نفسه من الابتسام : «لابأس بنخمر «ديبونية» .. ان المكان يحمل معالم الفقر والقدارة ، ولكنى أرجو أن نجد زجاجة من هذه الخمر لم يفض خاتمها ..

المقهى المهجور !

♦ وواصلوا تسلق الطريق دقائق أخرى ، انتهوا بعدها الى المقهى .. وكان المبنى صغيرا ، كثيب المنظر ، لا يشجع مظهره على الدخول .. وقد قامت فى خارجه ثلاث مناضد حديدية . حول كل منها مقعدان .. ولم يكن ثمة ما يدل على الحياة فى المكان ، وان كان الباب مفتوحا .. وولج الثلاثة ، فلم يروا أحدا وراء مائدة «البار» ولا فى الحجرة الزرية المظهر .. وان رأوا زجاجات على الارفف ، وكوبا على «البار» مليئا الى نصفه بالكونياك ..

ورفع مسر «بيللينجهام» عقيرته بالنداء .. وحلوا «الكونت» حذوه ، فلم يجبهما سوى صدى أجوف ، موخش .. وترثشوا لحظة ، ثم تقم المسر «بيللينجهام» الى باب خلف «البار» ففتحه ، واذا به يفضى الى مطبخ فقير فى أثاثه ، تناثر فيه بعض البصل ، وتلى من سقفه مشجب علق فيه أرنب ذبيح .. ولم يكن ثمة نار موقدة ولا ماينم عن أن أحدا عمر المكان من عهد قريب ..

وعاد مسر «بيللينجهام» ينادى ، فلما لم يتلق جوابا ، فتح بابا آخر يكشف عن درجات سلم .. ونادى الانجليزى فى

«بتر السلام» ، ولكنه لم يكن أسعد حظا من ذي قبل ، فكر الى زميله قائلا :

- ليس في المكان مخلوق ما ..

فاقترحت «ماديلون» أن يبحثوا عن أهل المقهى في الخارج ، فانبرى المستر «بيللينجهام» للبحث ، وهو لا يكف عن النداء .. ثم ارتد عائدا وهو يقول :

- ان المكان مهجور !!

فقالت الفتاة : « لقد لاحظت أن القرية التي مررنا بها كانت تستعد للاحتفال بأحد الاعياد .. فلعل أهل المقهى ذهبوا اليها .. أو لعل الرجل الذي يتولاه يقطع خشبا في الغابة » .. وابتسم «المركيز» وهو يتأمل الزجاجات التي كانت على الارفف ، ثم أشار الى واحدة قائلا :

- ليس يعيننا سوى أنهم نركوا لنا زجاجة من خمر «ديبونية» ، فلنفض سدادتها يا صديقي «بيللينجهام» فنطعم منها غلثتنا ، ونترك الثمن ..

وتناول الزجاجة من مكانها .. وسرعان ما وجدوا ثلاث كؤوس ، حملوها الى احدى المناضد الخشنة القائمة خارج المقهى ، وجلسوا ينعمون بالشمس الساطعة ..

♦ **وقلت** من «ماديلون» زفرة ارتياح وهي تقول : « ان هذا المكان يبعث في كياني قشعريرة .. فهو يبدو خاويا ، ساكنا .. فأجاب «بيللينجهام» : « انه في بقعة منعزلة .. نصبت اخشاب الغابة عندها ، فلم يعد يرتادها قاطعو الاخشاب .. »

وقال «المركيز» : « خليق بنا أن نحمد للقوم صنيعهم ، اذ تركوا الباب مفتوحا في غياهم .. ماشعرت يوما لخم «ديبونية» بمثل هذه النكهة اللذيذة .. ولكن ، كم بقى بيننا وبين البقعة التي تنتظرنا فيها السيارة يا صديقي «بيللينجهام» ؟ .. »

- لا أكثر من نصف كيلو متر .. وثمة درب غير وعر يقضي بنا الى السيارة ..

وتنهذ «المركيز» في ارتياح وهو يعيد ملء كأسه ، في حين أبت «ماديلون» أن تتناول مزيدا من الشراب .. وراحت تتململ في جلستها ، ثم قالت :

— لست أدري لم أكره هذا المكان ؟ أترانى منساقه مع الوهم اذا قلت انه يبعث في نفسى شعورا بالرهبة ؟ ..

وأشعل «المركيز» سيجارا ، واضطجع في مقعده وقال :

— اننى أدرك السر فى ذلك .. فيها هو ذا مقهى على حافة غابة .. وقد اجتمعت كل الظروف المهيئة لقصة مؤثرة .. أذكر اننى قرأت مرة ..

وأمسك عن الكلام فجأة ، وأفلت السيجار من بين أصابعه .. وقفز مستر «بيللينجهام» عن مقعده ، اذ رأى «ماديلون» تجمد فى مكانها وقد شحب وجهها ، وندت منها صرخة مرتاعة .. وأشارت الى نافذة تعلو باب المقهى ، وصاحت :

— لقد رأيت وجهها .. هناك شخص فى الحجرة ! ..
فتمالك مستر «بيللينجهام» نفسه وقال : «وماذا يروعك من هذا ؟ لعل فى المكان مريضا رهن الفراش .. أكان ذلك الوجه لرجل أم لامرأة ؟ ..

— لست أدري .. كل ما استرعى انتباهى أنه وجه ! ..
وأسرع مستر «بيللينجهام» الى داخل المبنى فغاب حوالى خمس دقائق ثم عاد قائلا : «ليس فى الطابق العلوى سوى غرفة واحدة .. ولم أجد بها مخلوقا .. وليس بها مخبئا يلوذ به أى انسان .. ولا صوان ، فكل ما بها سريران يبدو من مظهرهما انهما لم يرتبا بعد آخر مرة نام فيهما صاحباهما .. ولكننى أؤكد أن ليس فى المبنى كله مخلوق واحد ! ..

فتطلعت اليه «ماديلون» وقالت فى اصرار : « وانا أؤكد اننى رأيت وجهها .. »



فقال «المركيز» : « لابد
وانك تستطيعين أن تحكمي
ما اذا كان وجه رجل أو وجه
امراة »

- كدت أقول انه وجه شاب
صغير ، لولا أن شعره كان
أسود كثا ، ومن ثم يحتمل أن
يكون وجه فتاة .. وانما روعني
مه عيناه .. ناشدتكما أن
تصرفا معي ، فلست أقدر على
البقاء هنا .. ولا على الخوض
في هذا الحديث ثانية .. بنفسى
شعور بأن شيئا رهيبا وقع
هنا .. وكل ما أرجوه أن أنسى هذا المكان والوجه الذى
رأيت ! ..

♦ **ودس مستر «بيللينجهام» ورقة مالية من فئة العشرة**
فرنكات تحت زجاجة الخمر ، ثم انصرفوا .. ولم يسيروا طويلا
حتى لاحظت لهم السيارة التى استأجرها المستر «بيللينجهام»
لتكون تحت امرتهم فى ذلك اليوم .. فما أن استووا فيها حتى
نهده «المركيز» فى ارتياح ، وقال المستر «بيللينجهام» :
- والآن يا «مس ماديلون» ، لننس المقهى القذر ، والشبح
الذى رأيته ..

ولكن نسيان ذلك الشبح لم يكن هينا .. فبينما كانت
«ماديلون» تسير مع مستر «بيللينجهام» فى ذلك المساء ، بين
كازيتو «مونت كارلو» وملهى «شيرو» ، اذا بها تتشبث بلذراع
زميلها فجأة فى دعر .. وتصيح مرتاعة :

- انظر ! .. انظر ! .. هذا الفتى الجالس فى المشرب ! ..
وتبع بصر مستر «بيللينجهام» اشارتها ، فوقع على فتى

يجلس الى مائدة فى مشرب قريب ، وقد بدا مظهره غريباً فى الوسط الذى كان يحوطه .. اذ بدت ملابسه - رغم جدتها - مخالفة لازياء الحضر ، شبيهة بتلك الملابس التى يرتديها الريفيون فى أعيادهم .. وكانت قبعته منزلفة الى مؤخره رأسه ، مماثلة لقبعات أهل الجبال ، ذات حافة عريضة واسعة .. وقد بدا تحتها شعر أسود كث : أضفى على وجه الشاب مظهراً خاصاً .. أما بشرته فكانت فى سمررة بشره العمال الزراعيين .. ولكن عينيه كانتا أقوى ما يجتذب النظر اليه .. كانتا واسعتين ، سوداوين ، لا يشع منهما أى حبور يوحى بأن الفتى فى نزهة فى المدينة .. ولم تكن نظراتهما موجهة الى الناس ولا الى الاشجار والزهور ، ولا الى زجاجة النبيذ التى استوت أمامه على المائدة وقد فرغ نصفها .. وانما كانت تتراعى الى أفق بعيد غير منظور ..

وقالت «ماديلون» : « هذا هو الوجه الذى رايتك هذا الصباح فى نافذة الطابق الذى يعلو المقهى » !
وكانت يدها تتشبث بلواح زميلها فى انفعال ، فربت هذا عليها ملاطفاً وقال :
- يبدو أن منظر هذا الفتى أثار أعصابك .. امكثى هنا وسأذهب اليه ..

وتركها على أحد المقاعد العامة الى جانب الطريق ، ثم سار الى الفتى ، فسأله فى لغة فرنسية مفهومة :

- هل تنتمى الى ذلك المقهى المنعزل القريب من «سان فليكس» ؟

وتطلع اليه الفتى لحظة فى ارتياح ، وقد انفرجت شفاهه .. ولكنه لم يجب .. فعاد مستر «بيللينجهام» يسأله وهو ينتقى كلماته فى عناء :

- اننا لم نعثر على أحد فى المقهى ، فخشينا أن يكون ثمة

سوء ..

وهنا اندفع الفتى يتكلم بسرعة ، وانفعال ، فى لهجة
حول مستر «بيللينجهام» جاهدا أن يفهمها ، ولكن دون جدوى !
.. فتلفت حوله ، وإذا «ماديلون» قد لحقت به .. فقال لها فى
حيرة .

- يبدو أن هذا الراعى يتكلم لغة من ابتكاره .. والظاهر
أننى ضايقته ، ولكننى لأفهم كلمة مما يقول ! ..
- هذه لهجة الايطاليين المقيمين فى اطراف «مونت كارلو» ،
مدعنى أحاول التفاهم معه ..

وراحت تتحدث الى الفتى فى رفق وصبر ، ولكنه هز
رأسه ، وملا كوبه من زجاجة الخمر ، ثم أشاح عنهما ، غير مكترث
بوجودهما ، ولا بأسئلة «ماديلون» ، حتى برمت به أخيرا ،
فجذبت صاحبها قائلة :

- هيا بنا ، فهو يابى أن يجيب .. انه يتظاهر بعدم الفهم ،
ولكننى موقنة من أنه يعنى ما أقول .. فلنتركه ..
- أصبت .. وعلى كل حال ، فأمره لا يعنينى فى شيء ..
وانطلقا .. وتبعهما الفتى ببصره متجهما ، ثم تحول
بملا كوبه بمزيد من النبيذ ..

ولم يكده مستر «بيللينجهام» يسلم «ماديلون» الى بعض
معارفهما ، حتى غافلها وتسلسل عائدا الى المشرب الذى رأى فيه
الفتى .. ولكنه لم يجد لذلك الفتى أثرا ..
وهز كتفيه ، وحدث نفسه وهو يغالب قلقا غريبا خالجه :
« على كل حال .. أمره لا يعنينى فى شيء ! »

غموض متزايد !

◆ ومع أنه كرر هذه العبارة مرتين ، إلا أنه وجد نفسه فى
الساعة العاشرة من صباح اليوم التالى ، يسعى الى المفهم القائم
على حافة الغابة !

وغادر السيارة التي أقلته ، قبل أن يبلغ المقهى بقليل ، وقطع المسافة الباقية على قدميه .. ولم ير دخانا ينبعث من مدخنة المبنى .. وأجفل اذ رأى المائدة التي كانوا يجلسون حولها في اليوم السابق ، لاتزال تحمل الكؤوس والزجاجه والنقود ، كما هي . لم يمسسها أحد ! فتمتم لنفسه :

- يظهر أن أحدا لا يمر بهذا المكان الا نادرا .. ثم .. لا بد أن الذي كان يعنى بالمكان غادره في عجلة ، حتى انه لم يعن باغلاق بابه ..

وولج المكان ، فاذا كل شيء على ما رآه عليه بالامس تماما .. وفتح الباب المؤدى الى المطبخ ، ونادى بصوت مرتفع .. ولكنه لم يتلق جوابا ! .. وصعد الى الغرفة العلوية ، فاذا هي كما وجدها بالامس .. وفيما هو يهبط ثانية ، لاحظ بابا يفضي الى الغابة ، فتبين أن صاحب الوجه الذي رآته «ماديلون» في النافذة . كان قادرا على أن يغادر البيت في ثوان قلائل خلال هذا الباب .. وارتد الى المطبخ ، ففطن الى باب صغير الى جوار الموقد . غفل عنه من قبل .. وكان يبدو كباب صوان انشئ في الجدار . فسار اليه ، ودفع المزلاج الذي كان يقفله .. وقبل ان يجذب اليه الباب ، كان قد أدرك ما هناك ، فاسرع يفلقه ثانية .. وترنح في وقفته والعرق يتصبب من جبينه ، وانفاسه تتتابع في سرعة وتهديج !

جثة في دولاب !

♦ ولم ينقض ربع الساعة حتى كان مستر «بيللينجهام» يجلس الى قاضى التحقيق في قرية «سان فليكس» .. واذا تمالك نفسه ، راح يستقى عباراته الفرنسية بعناء ، ليقول للمحقق :

- هناك امرأة قتلت في حانة صغيرة عند طرف الغابة ! .. وشهق المحقق .. وشهق معه رجل البوليس الذي كان يزامله في الغرفة .. وبينما اخذ المستر «بيللينجهام» يروى



القصة ، انهمك المحقق في تدوين
بعض الملاحظات في انفعال ..
فقد كانت جريمة القتل حدثا
كبيرا نادرا في المنطقة ..
ورفع المحقق راسه ليسأل :
« اتقول ان ذلك الفتى .. ؟ »
فقال المستر « بيللينجهام »
مستطردا : « انه غريب ..
واغرب ما فيه نظراته .. انه
بدو ابله .. خائفا ، مدعورا ،
كأنما ثمة رعب يطارده .. ومع
ذلك ، فان منظره لا يخلو من
شيء يوحى بالخبث .. ! »

♦ وقال قاضى التحقيق للمستر « بيللينجهام » وهو ينطلق
معه الى الحانة ، بصحبهما رجل البوليس : « ان المقهى يتولاد
رجل طيب السمعة يدعى « بيير آنسون » ، وقد اعتاد ان يقيم
في المبنى معه ومع زوجته - وهى بلا شك القتيل - قريب
لهما في باكورة الشباب ، لم نسمع عنه ما يوحى بحسن
السيرة .. وكان « آنسون » يلزم الحانة لا يبرحها الا مرة كل
شهر ، ليشتري حاجيات التموين .. اما زوجته ، فالمعروف
انها كانت تدخر مالا .. واما الشاب ، فيقال ان امه قريبة
لهما فقيرة ، تقيم في « انيس » .. ويقال ايضا ان سمعتها ليست
فوق الشبهات ، وانها كانت تجد في ابنتها عبئا ثقيلا ، وقد
كادت تتخلص منه بطريقة ما ، لولا ان كفلها « آنسون » وزوجته !
وتسائل بيللينجهام : « ولكن .. الم يستثر اهتمامكم
امر الرحلة الشهرية التى يقوم بها « آنسون » ؟ .. »

- الواقع ان الرجل حسن السمعة كما ذكرت لك ..
ان بوسعه ان يتعلم بأنه يطوف بالاسواق ، وهى عادة القوم
هنا ، فليس ثمة ما يدعو الى الريب ..
- وابن هو الآن ؟ ..

- حدث من ثلاثة ايام ان تلقى نبأ عن وفاة قريب له في
«مارسيليا» .. وقد عرفت ذلك لانه جاءنى يستفهم عن
الاجراءات التى يجب ان تتخذ لدفن الميت .. ثم رحل . وكان
المرتقب ان يعود الليلة .. وقد ترك زوجته وابن قريبتها
وحدهما .. وما اظن المرء فى حاجة الى عناء ليحدث ما جرى !!
فرفر مستر «بيللينجهام» فى اشفاق ، وقال على كره منه :
- لقد كان ذلك الشاب - الذى تبينت الان انه ابن قريبه
زوجة «آنسون» - يشرب الخمر فى «كافيه دو بارى» بمونت
كارلو ليلة امس .. وقد ارشدتنى اليه الفتاة التى كانت معى
فى المقهى .. اذ اكدت ان وجهه هو نفس الوجه الذى لاح لها
فى نافذة الغرفة التى تعلو المقهى ..
وهز المحقق رأسه قائلاً :

- الواقع انها جريمة غير مستغربة فى هذا الوسط ..
فان اراقة الدماء تبدو هينة للريفى الذى من هذا الصنف .
اذا ما لعبت الخمر برأسه واستهوته المتعة التى ينتظر ان ينعم
بها اذا ما توفر له المال .. !

وصل ثلاثتهم الى المقهى ، فغاب المحقق ورجل البوليس
فى المبنى ، بينما آثر المستر «بيللينجهام» ان يجلس فى الخارج .
مشفقاً على نفسه من رهبة الجو الذى كان يخيم على المكان ..
وعاد الرجلان اليه بعد ساعة ، فقال قاضى التحقيق
يخاطب بيللينجهام :

- ان الامر واضح لا يحتاج الى امان فكر .. لقد

اختفى مال المرأة المسكينة .. ولن ينقضى يوم حتى يكون
الفتى في قبضتنا .. وما اظنك يا سيدى تفن بحضور التحقيق
لتدلى بشهادتك ! ..

وهز رأسه فى رثاء وقال : «مسكين آنسون» .. لسوف
مرد بقطار المساء .. فما ابشع ما سيجده فى انتظاره ! ..

لايكف عن طلب النقود !

♦ وكان منظر «آنسون» فى قاعة التحقيق فى الصباح التالى
يدعو الى الاشفاق حقا .. كانت الفجيرة قد احدث ظهره
وهدت كيانه ..

وكانت «ماديلون» تتأمله باهتمام ، اذ اصرت على ان
تسحب المستر «بيللينجهام» الى التحقيق ..
وسال المحقق المسيو «آنسون» عما يعلمه عن نقود
زوجته ، فقال وقد تبادرت الدموع الى عينيه وانحدرت على
وجنتيه فى اسى :

— كانت شديدة التقير .. وكانت تتكتم مالها ، حتى
انها لم تذكر لى مقداره قط ..

— وهل كان قريبك الشاب — الذى القينا القبض عليه
— اهل لان تترك زوجتك معه حين سافرت الى «مارسيليا»
لتدفن قريبك المتوفى ؟ .. كيف ائتمنته على زوجتك فى تلك
البقعة المنعزلة وانت تدري ما يسمعه الكل من ان سمعته ليست
فوق الشبهات ؟ ..

— اننى ادرك انه كان لا يكف عن طلب النقود ، ولكنه كان
.. ابن اختها ! .. وما كنت احسب انه يقدم يوما على عمل
فظيع كهذا ..

— ابن اختها ؟ .. واين امه ؟ ..
ورفع الرجل بصره مرة اخرى فى وجوم .. ثم قال
والدموع تنساب من هيئه :

— لست ادرى .. اظنها في «نيس» .. ان علاقتنا منقطعة بها ! ..

— واين اعتدت ان تذهب كل شهر ؟ ..
ووجم الرجل مرة اخرى ، ثم قال : «كنت اذهب لابتياح حاجات الحانة من مؤن» ..

— من اين ؟ .. من «نيس» مثلا ؟ ..
— منها .. ومن سواها ..
وانخرط الرجل في البكاء .. وانحنى القاضى على الاوراق التى كانت امامه يفحصها ..

وخطت «ماديلون» اذ ذاك بضع كلمات على ورقة دفع بها الى المسنر «بيللينجهام» فالقى عليها نظرة ، وتطلع الى «ماديلون» فى دهشة .. وارسل الورقة الى قاضى التحقيق الذى تأملها بدوره لحظة ، ثم فركها بين اصابعه ، وسال «انسون» بغتة :

— اين نزلت فى «مارسيليا» يا «بيير آنسون» ؟ ..
فتطلع الرجل اليه فى وجوم كمادته ، واذ ذاك اعاد المحقق سؤاله ، فhez رأسه واجاب :

— فى نزل صغير على مقربة من الميناء ..
— ما اسمه .. وما عنوانه ؟ ..
— لست اذكر .. انه نزل صغير قريب من المكان الذى توفى فيه ابن عمى ..

والآن ، ايها القارى .. هاهى ذى كل تفصيلات الجريمة .. وهى قد لا تحتوى على ادلة مادية تحدد القاتل ، ولكن المعلومات غير المادية وافية ضافية . تكفى على الاقل لتوجيه اصبع الاتهام .. فالى الرجلين ترجع ان يكون القاتل الحقيقى ؟ .. امتحن ذكاءك وفطنتك ، فلذا وصلت الى نتيجة ، فانظر بقية القصة على صفحة ١٧٤ من هذا العدد

شعوب العالم وكيف تعيش - ٣

تعال معي .. إلى بلاد الدانوب

للممثلة أ. ف. - إردوس

نهر السحر والجمال .. والمتناقضات!

◆ بين لحن «شترابس» الخالد - «الدانوب الأزرق» - وبين موسيقى الفجر ذات الانغام الساحرة .. بنسب «الدانوب» حالما ، يشر في رؤوس الشعراء أبداع الخيال .. وفي نفوس الموسيقيين أروع الانغام .. وفي قلوب الشباب اسمي ألوان العاطفة .. وفي نفوس الناس طرا أجمل المنى والاحلام !

على ضفافه يلتقي القديم بالجديد ، فيذوب كل منهما في الآخر ليخلقا جواً غامضاً بذاته لا شبيه له في قديم ولا في جديد ! .. يلتقي الشرق بروحانياته وتقاليده ، والغرب بمبادئه و«تقاليده» ، فيمتزج كل بالآخر ، وإذا منهما عالم فريد في نوعه ، لاهو إلى الغرب ، ولا هو إلى الشرق .. لا هو إلى الروحانيات ، ولا هو إلى الماديات ..

ذلك هو .. «الدانوب» ! .. أطول أنهار أوروبا .. يستمد مياهه من بلد يؤمن بالقوة والروح العسكرية - أذ ينبع من القابة السوداء في ألمانيا الجنوبية - ويصب مياهه في بحر يتنازع السيادة فيه بلدان ، يؤمنان أيضاً بالقوة والروح العسكرية - وهما تركيا وروسيا .. وفيما بين المنبع والمصب ، ينساب هادئاً ، حالماً ، في ست دول ، تمقت القوة والروح العسكرية ، لأنها تؤمن بالسلام ، والحب ، والفن ، والادب ، و .. الحرية !



مع الدانوب عبر النمسا

♦ والدانوب يبدأ صغيراً ، متواضعاً .. ثم يأخذ في النمو والانتساع ، كلما ابتعد عن ألمانيا وأوغل في الأراضي النمساوية ، حيث يتعرف على ثاني شعب يعيش على مجراه ..

ونصف أهل النمسا تقريباً من الفلاحين المدينيين ، المصريين على التعلل بتقاليدهم ، وبزيهم القومي القديم . وهم مثال للجد والكدح والعمل المثمر .. فهم أن وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها ، حتى نشط النمساويون لبناء اقتصادهم القومي من جديد ، فلذا صناعات الألبان والجبن التي أنشأوها تنافس أشهر الصناعات المماثلة في بقية أجزاء العالم .. وإذا محصولاتهم من بنجر السكر والبطاطس تنتعش .. وإذا هم يستنبئون من الفلال ما يكفيهم مؤونة الاستيراد .. ولم تنقُص خمس سنوات حتى كانوا قد شيدوا شبكة من الغنادل في طول بلادهم وعرضها ، اجتذبت السياح من مختلف البلدان ، في مختلف فصول السنة .. فإن النمسا تمتاز بمصايف على ضفاف البحيرات ، ومشات على سفوح الألب النمساوية التي تتيح ميادين لهواة الانزلاق على الجليد ، فضلاً عما فيها من مراعي وغابات ندر الأخشاب .. وليست هذه كل ميزات جبال النمسا ، بل أنها تضم في جوفها ثروة طائلة من الفحم والحديد مكنت للمصانع أن تقوم وللأهالي أن يجدوا ميادين للعمل ..

ليالي الأناضول في « فيينا » !

♦ على أن كثيراً من الصناعات النمساوية راحت تزحف حتى استقرت في « فيينا » وضواحيها .. في العاصمة التي أبت أن تكون للنمسا وحدها ، فاكتملت لنفسها صيغة دولية صبغت كل نواحي الحياة فيها ، وتمثلت في كل شيء .. بل وفي أهلها أنفسهم .. حتى ليقال أن أشد أبناء « فيينا » انتماؤاً إليها لا يعدم بين أجداده جداً « تشيكياً » وجدة مجرية !

ويتعرف « الدانوب » في « فيينا » على أول الوان حياة الشرق .. فهي أول مدينة في أوروبا الشرقية تجد فيها المقاهي الزاخرة بالرواد من هواة التسلية وقتل الوقت ، حتى لتكاد تكون تلك المقاهي من المنتديات التي لا غنى للمجتمع عنها ! .. وفي حوانيت فيينا تسمع أولى عبارات الجدل والمساومة بين الباعة والمشتريين .. على أن أجمل ما في « فيينا » حقاً ، هي ملاهيها ، وموسيقاها ، و.. لياليها الحافلة بالأنس والطرب .. لم ينتقص منها أنها اليوم موزعة بين أكبر كتلتين تتنازعان النفوذ في تاريخ المسرح السياسي الدولي ..

الى تشيكوسلوفاكيا .. بلد الحرية !

♦ ومن النمسا ، ينحدر «الدانوب» الى «تشيكوسلوفاكيا» ، الدولة التى ظهرت فى الوجود فى اعقاب الحرب العالمية الاولى ، فسرعان ما ضربت للعالم مثلاً فى تمسك الحرية وتشرب معانيها وروحها ..

والشعب التشيكوسلوفاكى تواق الى تنمية مواهبه الطبيعية واستغلال خيرات بلاده ، رغم النكبات التى جثمت على صدره نتيجة للحرب العالمية الثانية .. وليست القومية لدى التشيكيين مجرد نكرة وعاطفة ، وانما هى فلسفة متغلغلة فى اعماق نفوسهم .. ومن هنا ينبعث رجاء الديموقراطية فى انهم لن يلبثوا يوماً أن ينتقصوا على ربة الشيوعية

وقد يبدو التشيكيون شعباً هادئاً ، وادعاً ، ولكنه اذا تارت مشاعره ، انقلب متحمساً ، متقدماً فى حماسة .. وهو من ارقى الشعوب حضارة ، ومن ثم تجد افراده يبرزون فى العلوم والاداب والفنون .. وتجد فادته وزعماءه بن استاذ ، وعالم ، واديب ، وفنان ..

♦ على أن الصفة الغالبة فى التشيكيين هى انهم عمليون .. لم يكادوا يظنون الى ثروة بلادهم من الحديد والفحم حتى اقاموا الصناعات .. ويكفيهم فخراً أن منهم سليل اسكافى - هو «توماس باتا» - استطاع أن يقاوم الحفء فى مختلف أرجاء العالم ، من الهند حتى أقصى امريكا الجنوبية ، بفضل ما ابتكر من احدثية رخيصة !

وهم أيضاً صناع بيرة «بيلسن» ذات الشهرة الدافعة فى مشارب الدنيا .. فهم شعب ينزل البيرة منزلة الماء .. وتجد الصفار والكبار يلتفون حول اقداحها فى المشارب يتجاذبون اطراف الحديث .. وللمقاهى عندهم مالها فى «فيينا» من انتشار ، لا يفوقها فى ذلك سوى المطاعم .. حتى ليقال ان بين كل متجر واخر فى شوارع «براغ» ، مطعماً للشواء ، يقدم «السجق» واللحم المشوى لرواده فى اية ساعة من النهار أو الليل ..

ويهوى اهالى المدن الصغيرة والقرى تكوين الجمعيات .. ومن النوادر التى يتفككون بها فى «بوهيميا» ان ما من ثلاثة من التشيكيين اجتمعوا ، الا وانلقوا على انشاء جمعية ، يوقفون انفسهم على احيائها .. ومن ثم تجد فى كل قرية فرقة للتمثيل ومنندى رياضياً يخضع فى الغالب لهيئة «سوكول» التى كانت تشرف على الرياضة فى البلاد كلها ، والتى لقى الشيوعيون منها اقوى مقاومة فى بداية حكمهم ..

بين دخان الغليون وقصص المغامرات

◆ وينتشر التشيكيون في أرجاء العالم ، حتى أنك لتجد منهم صاحب مشرب ، او مهندسا ، او ترزيا ، او اسكافيا ، في اقصى مجاهل الارض .. ويتألف الشطر الثانى من هذا الشعب من فلاحين «السلافك» الذين يعيشون في جبال الكريات ، لا يشاطرون «التشيكيين» ولعهم بالنشاط الاجتماعى ، وان كانت لهم اجتماعاتهم الريفية الخاصة ، حيث يرددون الاغاني السلافية الملته بالشجن ، وحيث يمارسون رقصاتهم القومية ..

و«السلافك» قوم مفامرون ، اعتادوا - قبل ان يساهموا في انشاء دولة «تشيكوسلوفاكيا» - ان ينتشروا في الارض .. وكمن من الاف منهم هاجروا الى كندا والولايات المتحدة .. فكانوا يمارسون مختلف المهن ليجمعوا الاموال ، بينما يبيع زوجاتهم واولادهم في ارتقابهم في وطنهم .. فاذا عاد الواحد منهم بعد سنوات ، كان في جيبه من المال ما يكفيه لان يشيد لاهله دارا ، وان يقف الى اراضى اسرته مساحة جديدة ، وان يقضى ما تبغى من العمر «دخن «الغليون» وبروى الاقاصيص عن غرائب الامريكيين و«تقاليهم»!

سادة المجر .. و «أكل» الديون !

◆ وينتقل بنا «الدانوب» بعد ذلك الى «هنجاريا» ، او المجر .. واهل المجر ما يزالون يعيشون في ذلك الجو «الرومانتيك» الساحر الذى يسود سهول آسيا التى هاجروا منها منذ نحو قرنين من الزمان .. وهم يتحدثون بلهجة التعالى كاهل الشرق ، ويتحدثون سريعا فلا يقضى مشاحنتهم سوى الخناجر ..!

وتتمثل نروة المجر في سهولها المنخفضة .. حيث يعيش اكثر المجريين احتفاظا بصفاء عنصرهم ، عاكفين على الزراعة ، وتربية المواشى والاغنام والحياد .. تماما كاهالى السهول الاسيوية التى انحدر اجدادهم منها ! ولقد كان نروة المجر يعيشون الى عهد قريب عيش السادة في عهد الاقطاع ، لا يزالون سوى ارقى الاعمال الريفية .. كملكية الضياع ، وشغل مناصب الجيش العالية .. وكان من حكم القوم المائورة : «اذا شئت ان تبدو سيدا ، فلا تبد دهشة لشيء ، ولا تتمجل في امر ، ولا تكن من الغباء بعيب .. تسدد ديونك» !.. وكان ترفع الثروة يسف الى درجة ترك الاعمال المالية والتجارية ، والصناعة والعلوم والادب ، للطبقات الوضيعة .. بالنسبة اليهم..!

وكانت «بودابست» - عاصمة المجر - عروس «الدانوب» الى ما قبل الحرب الاخيرة .. نستلقى على ضفتيه ، فاتحة احضانها ليلقى كل مسافر بنفسه فيها ، ولو لبضع ساعات ، يرتاد خلالها مقاهيها المدينة ، وفنادقها الفاخرة ، ومطاعمها الانيقة ، ومشاربها .. ومسارحها .. وصلات الموسيقى .. وغيرها من الملاهي التي تتصاعد في جوها انغام «الفجر» الساحرة !..

والآن الى .. يوجوسلافيا

♦ ثم يلتوى «الدانوب» الى الجنوب الشرقى ، ليصل الى «يوجوسلافيا» .. أى بلاد «السلاف» الجنوبية !.. اذ تضم أبناء العناصر «السلوفينية» و«الصربية» و«الكرواتية» .. وكلها من «السلاف» الذين وفدوا على اوربا قبل المجر بمائتى عام ، ثم فرقتهم الغوارق الدينية ، وان ظلت لغتهم واحدة في اصلها لم تغيرها سوى شوائب في اللهجات ..

و«يوجوسلافيا» من بلاد البلقان في الواقع .. وهى جبلية في اغلب بقاعها ، واهلها هم اكثر البلقانيين ديموقراطية ، اذ انهم جميعا سلالة فلاحين اشداء ، ذوى اجسام فارعة عريضة ، وقلوب سالجة نظيفة .. ولذلك تجد القوم مطبوعين على الطيبة ، والود ، والكرم ، وحب المعاشرة .. لا تكاد نمل الحديث اليهم ، ولا الاستمتاع بطعامهم وشرابهم ورقصهم وفنائهم .. ولا هم يملونك أو يفسنون عليك بشيء اذا مالت اليك قلوبهم !.. وما اسمعك لو دعيت الى حفلاتهم واعيادهم القروية ، حيث ترى بعض طقوس من بقايا الوثنية .. ولعل اظهرها موكب «الدودول» - حين يشتد الجفاف والقحط ، اذ تخرج نساء القرية في زى خاص غريب ، فيجسمن خلال الحقول ينشدن الهانى حزينة يتوسلن فيها الى الامطار ان تهطل ..

قدح للترحيب .. وقدح يدعوك للانصراف !

♦ على ان الكرم ليس وقفا على قرى «الصرب» ، بل انك لتجده في مدنهم ايضا ، حيث لا تزور صديقا - في بيت او متجر او عمل حكومى - الا وقدم لك القهوة التركية ، ومضى يتنقل بك بين الاحاديث جميعا ، الا حديث العمل .. ثم تاجأ بالقهوة تقدم ثانية وانت لما تطرق الموضوع الذى جئت من اجله .. ولن يقدر لك ان تطرقه الا في زيارة لآتية ، لان الدح الثانى من القهوة معناه في عرفهم .. تفصل .. غير مطرود !..

ويولع اهل العرب - ببقية البلقانيين - بالحديث ، وخاصة حديث السياسة .. ولا تكاد تصادف عددا منهم - في مقهى او مطعم او اى مكان - الا وجدتهم يتكلمون من اخر الاحداث .. وعلى نقيضهم «السلوفينيين» .. سلاف الجنوب الغربى ، الذين تسربوا من «ترىستا» .. فهؤلاء يشبهون في حياتهم المان النمسا الى حد كبير .. ولقع بلادهم بين جبال الالب الجنوبية ، وقد تناثرت فيها البحيرات الجميلة .. وهم اكثر اليوجوسلافيين اقبالا على ممارسة الصناعات ، ويرتدون الشياى الغربية ، على عكس معظم مواطنيهم ..

بين عشائر «الكروات»

♦ ويجاورهم - الى الشرق - الكروات .. سلالة قوم محاربين ، لا تزال تبدو انقاض معسكراتهم الدارسة في القرى .. وهم فلاحون ، يتشبثون بتقاليدهم وازياتهم القومية .. ويتعصبون في ولائهم للكنيسة الكاثوليكية .. وقد كان هذا الولاء الدينى من الاسباب التى ادت الى تمرد يوجوسلافيا الشيوعية على نفوذ روسيا منذ اربعة اعوام .. ويمتاز «الكروات» بالروابط العائلية ، فلا يكاد القروى منهم يبلغ الثامنة عشرة ، حتى يسعى للزواج .. ولا تكاد الفتاة منهم تبلغ الخامسة عشرة حتى تفدو صالحة لان تكون زوجة .. وتستمر افراح القران عندهم ثلاثة ايام تقدم فيها اللحوم والحلوى والخمور بسخاء وكرم ، ولا يكاد القوم خلالها يكفون عن الفناء والرقص ..

ومن تقاليدهم ان ينشأ الاطفال في رعاية جددهم وجدتهم ، بينما ينطلق الوالدان للعمل في الحقل ورعاية المواشى .. وتستأثر الزوجة ببعض الدجاج والبان الماشية تباعها وتنفق ثمنها في شراء لوازمها .. وتمتاز بلاد «الكروات» بخصوصية سهولها ، ومن ثم يعتبر أهلها اغنى وارفع مكانة من بقية البلقانيين ..

المرأة المسلمة تذهب الى عملها « كحجة » !

♦ اما مقاطعتا «البوسنة» و «الهرسك» فبجليتان ، تكادان ان تكونا بمزمل عن بقية البلاد .. ولا تزال تتوج قمم جبالهما اطلال الللاع القديمة .. وتمتازان عن بقية اودبا باتهما تقسمان أكثر من مليون مسلم من سلالات العرب والكروات والأتراك .. وهم من اشد المسلمين تمسكا بتعاليم دينهم وتقاليدهم ، فلا تزال «المشربيات» تعجب نوافل بيوتهم عن عين المتطلعين ، ولا تزال نسلوهم لا

يرين في الطرفات الا متحجيات ، ملتفات في الملاءات ، في حين يحرص رجالهم على ارتداء الطربوش او العمامة ..
 - وفي صحنون مساجدهم ، ترى العلماء يرتلون القرآن .. ومن فهم مآذنيهم ينبعث الاذان في اوقات الصلاة .. وفي بيوتهم لا يزال قسم «الحريم» ذا حرمة وقداسة .. وليس ادعى لفضب المسلم منهم من أن تساله عن زوجته ، على عادة الغربيين .. او عن زوجته ، فان كثيرا منهم يقدم على تعدد الزوجات وافصى مسابرة للعادات الغربية عندهم ، هي أن يصحب «الافندي» الزوجة الاثيرة لديه الى مطعم ليتناولوا العشاء . ولكن اى غريب لا يستطيع - مع ذلك - أن يراها في بيتها ، أو أن يعيها في الطريق .. وهى قد تخرج الى السوق وحدها ، وفي أحدث الازياء ، ولكنها أبدا محجبة الوجه ..
 وقد تعمل المسلمة في المتاجر أو المكاتب والشركات ، فاذا خرجت الى عملها ، حرصت على أزارها وحجابها ، لا نخلعها الا بعد أن تستقر في مكان عملها .. ومهما بلغت درجة تعلمها ، فهى أبدا لا تأخذ بالسفور !..

صقور الجبل الاسود !

◆ بنى ركن من «يوجوسلافيا» عبر الجبل الاسود ، تقيم فيه عشائر «مونتنجرو» الصربية .. واهل هذه العشائر - رجالا ونساء - طوال القامة نحاف الاجسام ، محاربون اشداء ، وتجار ورعاة مهرة .. كانوا حتى الحرب العالمية الاولى يقيمون بين صخور بلادهم السوداء ، في حياة تشبه حياة العصور الوسطى .. وكانوا يؤلفون امانة منفصلة ، يرأسها امير او قيصر .. ولكنهم انضموا عقب الحرب الاولى الى «يوجوسلافيا» منذ انشائها ..
 وصقور الجبل الاسود ، خصوم اشداء اذا استثيروا .. ولكنهم في العادة ذوو ود وكرم .. يحتفون بالغريب ، ويرعون الاجنبى ويولونه صداقتهم ..

تعال نسبح الى .. بلغاريا

◆ ويمر «الدانوب» بعد ذلك على المقر بلد في وسط بلاد «البلقان» .. على «بلغاريا» التى تمتد خلالها جبال «البلقان» الشامخة التى يطوف الغوصى بقممها ..
 ويمش البلغاريون على الاغنام ، و«عباد الشمس» ، والتبغ ، والورد ..
 فمن الاغنام يحصلون على اللحوم واللبن الذى يصنعون منه «الزبانى» والجبن ، وهما اهم اصناف طعامهم .. ومن بلور «عباد الشمس» يحصلون على الزيت

.. اما بنفهم - وهو من اجود الاصناف التركية - واما زيت وروبهم - الذى يعتبر من احسن الزيوت العطرية - فيؤلفان اهم مادتين فى صادراتهم التجارية ..

وقد ادى عدم وجود مناجم او صناعات فى البلاد الى اقبالهم على النزوح فى اوائل ربيع كل عام الى اوربا الوسطى ، ليستاجروا الاراضى فى المجر والنمسا وتشيكوسلوفاكيا والمانيا ، فيزرعونها بالخضر التى يمدوا بها الاسواق المحلية .. حتى اطلق عليهم لقب «البنسائى الخضر لاوربا الوسطى» .. وقد اعتادوا أن يقضوا فى هذه الحال تسعة شهور من كل عام ، يعملون خلالها دائبين لاربعة عشرة - بل لثمانى عشرة ساعة - فى اليوم ، قانعين بالعيش الكفاف ، ليعودوا الى اهلهم فى اواخر الخريف بما يكفل لهم العيش بقية العام ..

ولا يحب البلغار شعبا قدر جهم روسيا ، فهى التى حررتهم من ريفله الاستعمار العثماني فى سنة ١٨٧٧ ، وفيها مركز الكنيسة التى يتبعونها .. وقد ازدادت علاقتهم بالروس توطدا بعد أن حرروهم من الاحتلال النازى ايضا فى الحرب الاخيرة ..

رومانيا .. آخر دول «الدانوب» !

❖ وبعد أن يبارح «الدانوب» مدينة «بلفران» ، يتسلسل الى رومانيا .. آخر دولة فى رحلته الى البحر الاسود ، وهى تشغل ثلث طول مجراه .. ويعتبر الرومانيون أن «الدانوب» نهرهم دون سواهم ، ومن ثم يتغنى به الشعراء ، ويبدع الكتاب فى وصف جماله وسعره ..

واربعة اخماس شعب رومانيا ، رومانيون اسما .. لمجرد أنهم يتحدثون باللغة الرومانية ، ويتبعون العادات الرومانية ! .. وتعتبر عاصمتهم «بوخارست» من اغرب العواصم ، فهى تجمع بين المظاهر التى تجددها فى اصفر المدن الشرقية ، وتلك التى تراها فى اكبر المدن الامريكسية .. وتصادف فى اكبر ميادينها - «الكاليه فيكتورى» - مئات من الفلاحين الحفاة ، وحفنة من الوجوه المتانقين ، والوظائف المتباهين بشبابهم الرسمية ، فى وقت واحد ..

ومع ذلك فرومانيا هى اثنى دول البلقان عموما ، فلها من البحر منظر الى العالم ، وجبالها متوجة بالغطاءات الكثيفة ، تطوى صخورها على ثروة من الحديد والنحاس والكروم والفضة والذهب .. كما شتر الروس فيها فى السنوات الاخيرة على معدن «الاورانيوم» الذى يعد قوام الصناعات الذرية ..

اما النلال ، فنبت الكروم الغنية بالخمور .. ومن ارض منطقة «بلويستي» ينبثق البترول بكمية لامثيل لها في اوربا ..

♦ وانت تجد في الفنادق الفاخرة والمطاعم الانيقة المتناثرة في «بوخارست» والمدن الاخرى اشهى الاصناف ، من «كافيار» ، و«شيمانيا» فرنسية ، ودجاج سمين شهى .. ولكن نشوة هذه الاصناف تبخر من رأسك حين ترى الفلاح في جبال رومانيا يعيش على خبز الذرة والجبن «القريش» ! .. وحين تجده لا يزال يعيش اسير العرافات والتقاليد التى قد يترد بعضها الى عهد الوثنية ..

وعلى الرغم من ان الكنيسة الارثوذكسية كانت نيسط نفوذها الروحي على رومانيا - حتى اضطهد الشيوعيون رجالها في السنوات الاخيرة - الا ان الفوم ظلوا متمسكين بالاعياد التى توارثوا الاحتفال بها عن اجدادهم الفابرين ، وان خلعوا عليها أسماء مسيحية ! ..

حيث تعرض العذارى للزواج !

♦ ومن اطرف حفلاتهم القومية «سوق العذارى» التى تعقد على هضبة «جايثا» في ٢٠ يوليو من كل عام ، ويسوق اليها الآباء بناتهم اللاتي بلغن سن الزواج ، ليختار الشبان منهن زوجات يعقد قرانهم عليهن في الحال .. ويعتبر «الفجر» من العناصر الهامة التى لا تكتمل رومانيا بغيرها .. وهم أشد من الرومانيين سمرة ، ولا يزالون يمارسون بعضى العادات الوثنية الهندية القديمة .. كموكب «فاسيلكا» في عيد رأس السنة ، اذ يأتون برأس خنزير وبيالفون في زخرفته ، ثم يحملونه ويطوفون به على الابواب .. وكرقصه «بابارودا» التى ترقصها بناتهم في اوقات الجفاف .. اذ يتخلن من ورق الاشجار أزارا خفيفا ، ويتنقلن من باب الى باب وهن يرقصن ويطنن لافراء الامطار على السقوط ..

واغاني «الفجر» وموسيقاهم من الالوان التى لا يتم بهاء الحياة الرومانية بدونها ..

وأخيرا .. يصل «الدانوب» الى مصبه ، فتسرى اغاني الرومانيين في الجو العالم الذى يسيطر على سهول اوكرانيا ، يخاطبها خير الماء وهو ينساب الى البحر الاسود .. الذى يقبع على مر القرون ، ملتفا في فلاة من السحر الفاسفى ..

عزيزى القارىء ...

فى هذا الباب اعتدت ان اطوف بك
فى سياحة فكرية شائقة نزور خلالها
شتى البلاد والمصور ، كى نلم من
كل منها بقصة .. ونشهد فى كل منها
دراما من صميم الحياة والواقع

حدث ذات يوم

وهكذا مضينا معا فى عدد سابق الى
ايطاليا ، حيث التقينا بمليلة السفاحين
«لوكرشيا بورجيا» .. ثم تركناها
لنقوص فى بطن الزمن ، فنلتقى بقيصر
روما القديمة «تيبيريوس» .. ومن هناك
عدنا الى فرنسا فى عصر نابليون ،
فعرفنا عشيقته البولونية «مارى
فاليفسكا» .. ثم عبرنا القنال الانجليزى
الى انجلترا ، حيث شهدنا مأساة ملكتها
كارولين ، زوجة الملك جورج الرابع ..
ومنها الى فينا ، عاصمة النمسا والفناء
والخمر والنساء حيث عشنا مع الاميرة
العاشقة التى كانت لها قصة اغرب
من اخصب خيال !.. ثم ارتحلنا الى
باريس القرن السابع عشر حيث عرفنا
قصة لويس الرابع عشر ومدام دى
مانتون



من قصص التاريخ ومآسيه

واليوم انتقل بك الى روما القديمة،
لنتعرف فيها على طافيتها السفايح
(نيرون) ، الذى يز فى جرائمه اتمى
المجرمين !..

وفى الاعداد القادمة اقدم لك بمشيئة
الله مزيدا من هذه القصص والمآسى
التاريخية الشائقة



نيرو

الطاغية السفاح
قاتل أمه..!



عندما تكون الحقيقة أغرب من الخيال !

◆ اذا كنت قد شاهدت فيلم «كوفاديس» او سمعت عنه ، فغالبا
الآن انك تساءلت : ترى هل كان «نيرون» حقا بالصورة التي اظهره
عليها الفيلم ، ام هي مقالة من مغرجه استلزمته الاغراض التجارية ؟
.. واذا كانت شخصيته التي ظهرت على الشاشة صادقة دقيقة ، فماهى
جوانب حياته التي اغفلها الفيلم .. وماذا كان ماضيه الذى لم تعرض له
القصة السينمائية .. وما هو سجل «جرائمه» بالتفصيل ؟ .. وما قصص
«اجريبينا» و «بويبا» وغيرها من النساء فى حياته ؟
كل هذه وغيرها اسئلة رايت ان اجيبك عليها فى هذه الصفحات ،
التي ستروى لك قصة نيرون الحقيقية كما سجلها التاريخ ، بغير ادنى
تحريف او خيال ! .. وسترى فيها امثلة متوالية - سواء من حياة
نيرون نفسه ، او امه ، او زوج امه الامبراطور - تؤكد جميعا ان «القاتل
يقتل .. ولو بعد حين !»

القاتل يقتل .. ولو بعد حين !

◆ كانت حياته منذ البداية سلسلة من الخداع والدسائس
والفضائح التي اشتد تفاقمها حتى غدت طفيانا ، واجراما ،
ووحشية ! ..

ذلك هو «لوسيس» بن «جنيوس دوميتيس اهنسباريس»
الذى سجل التاريخ سيرته بالدماء والنيران ، تحت اسم
«نيرون» !

فتح عينيه منذ نعومة اظفاره على الفنون والحيل التي راحت
امه «اجريبينا» تبذلها منذ وفاة ابيه ، حتى وفقت الى اغراء
الامبراطور «كلوديوس» على ان يتخذها زوجة - بعد ان قتل
زوجته الاولى بالسم ! - ثم على ان يتبنى ابنها هذا وينسبه
اليه .. ثم يزوجه اخيرا من ابنته المدعوة «اوكتافيا» .. وكان
نيرون وقتئذ لم يجاوز السادسة عشرة !!

وعند هذه الخطوة اطمانت الام « اجريينا » الى أن سبيلها لايتار ابنها « نيرون » بالعرش - دون « بريتانيكس » ابن زوجها الامبراطور - قد أصبحت ممهدة ، وكانت تعتقد أن نفوذها على فتاها كفيلا بأن يجعلها هي صاحبة السلطان والكلمة الاولى ، اذا ما حكم ! ..

وظلت تهدد هذا الامل حيناً ، وهي تنشاور مع « لوكستا » - أدمى ساحرة برعت في تحضير السموم في روما في منتصف القرن الاول الميلادي - حتى حانت لها الفرصة في سنة ٥٤ ، بعد الميلاد ، فدست لزوجها الامبراطور سما زعافا لم يقو علم طبيبه « اكسينوفون » على انقاذه من فتكه .. فمات بنفس الوسيلة التي قضى بها على زوجته الاولى !

يقتل صاحب العرش الشرعي

♦ مات « كلوديوس » .. وأفلحت « اجريينا » في أن تنصب ابنها « نيرون » امبراطورا ، ولما يتجاوز السابعة عشرة من عمره ! ..

وبدأ الفتى بداية طيبة .. كان لا يبرم أمرا الا بمشورة مربيه ومعلمه - الفيلسوف « سنيكا » - ولكنه لم يكد يبلغ رشده ، حتى تمرد على أستاذه ، وعلى مستشاريه .. بل وعلى أمه ! وعز على « اجريينا » أن يتمرد عليها ابنها وهي صاحبة الفضل في تسنمه العرش ، فراحت تهدده بأن تضيع عليه سلطانه ، بأن ترد الى « بريتانيكس » عرشه المقتصب ! ..

وهنا لجأ « نيرون » الى « لوكستا » ، كما لجأت اليها أمه من قبل .. وبفضل سموم الساحرة العجوز ، تخلص من « بريتانيكس » .. السيف الذي أشهرته أمه فوق عنقه !

♦ وكانت هذه الجريمة فاتحة سلسلة من الجرائم البشعة .. فقد انقلب « نيرون » الى وحش أهاجته رائحة الدماء .. فكانت

أثفه ريبة تعوم حول شخص كقبلة بأن تغرى الطاغية بالقضاء عليه !

.. وتتابعت الصحابا ، وهو مفرق فى اللهو والفجور والشرور ..

غدت ملذاته وأهوائه فوق كل شيء .. وغدا البطش طابعا يسم كل تصرفاته .. وكان لا يفتأ يقول : « ان أسلافى كانوا يجهلون حقوق السلطان .. ولقد يكرهنى الشعب ، ولكنه سيرهبنى ويخافنى » .. فكان الارهاب سلاحه فى الحكم !

وعندما انتقد استاذة « سنيكا » تصرفاته ، لم يتورع عن قتله ! .. وهجاه الشاعر « لو كان » فالحقه بالفيلسوف ! .. ثم اشتد الجفاء بينه وبين أمه فسعى حتى أوردھا حتفھا ولما تنقضى خمس سنوات على رفعها إياه الى العرش ! ..

ثم التقى ببويبا ، الفاتنة التى ملكت قلبه وحواسه ، فلم يتردد فى أن يطلق زوجته « أوكتافيا » من أجلها .. ثم الحق المطلقة المسكينة بأمه وضحاياه العديدين .. وبذلك خلا له الجو مع عشيقته ، فتزوج منها ، ليغدر بها فيما بعد ، كما سيجى !

يفنى .. وروما تحترق !

◆ وهكذا استبد به جنون القتل والتخريب ، حتى ليعزى اليه انه مدبر الحريق الذى اجتاح روما فى سنة ٦٤ ودام ستة أيام وسبع ليال دمر خلالها ثلثي معالمها ، وقضى على أعز تحفها الفنية والتاريخية .. وقيل انه فعل ذلك لتمثل له صورة حية للحريق الذى قضى على «طروادة» ! .. كما قيل انه لم يستشع الجرم ، ولم يحفل بالام الشعب ، بل لذ له مرأى النيران ، فراح يرقبها وهو يعزف على قيثارته .. فقد كان يعتقد فى نفسه أنه خير من أوتى الالهام فى الموسيقى والشعر والغناء والتمثيل و .. الحكم ! ..

نهاية الطاغية

♦ **وقد رمى « نieron »** رعاياه الذين اعتنقوا الدين المسيحى بانهم مدبرو الحريق ، فأوقع بهم أفظع اضطهاد عرفه التاريخ .. وطاردهم بالتنكيل فى جميع أرجاء امبراطوريته ...

وكان لا بد للشعب من أن يتحرك ازاء هذه الفظائع الجنونية .. فدبرت المؤامرات ، ولكنها كانت تنتهى الى فشل يلقي بمدبريها فى أتون نعمة « نieron » ! .. حتى قدر فى النهاية لجالبا - حاكم اسبانيا - أن ينظم ثورة ناجحة .. وقضى مجلس الشيوخ على « نieron » بالموت .. ولكنه بادر الى الفرار ، حتى اذا أدرك أن مطاردية أوشكوا أن يلحقوا به ، قضى بسيف أحد تابعيه ، على حياته التعسة .. التى لم تطل لأكثر من واحد وثلاثين عاما ! ..

ولعل الصورة التالية - التى أخذت عن نارينج زوجته الثانية « بوبيا » - خير مايمثل بذخ الامبراطور « نieron » وجنونه ! ..



المرأة التى أسرت قلب الطاغية !

♦ **كانها** كان القدر قد بيت

النيسة على أن يمنحها كل شئ .. يمكنها من أن تستوى على عروش القلوب ! .. كانت أجمل نساء روما جميعا ، حتى لقد كانت تسدل على وجهها قناعا اذا خرجت للنزهة على قدميها ، اشفاقا على الابصار أن يبهرها حسن ذاك الوجه الناصع البياض ، الذى توجّه شعر ذهبي فاتن ..

اللقاء الاول .. بين نieron و«بوبيا» !

وزاد من فعلها في القلوب ، أن اجتمع العلم والذكاء على أن يضيفا على حديثها لباقة وطلاوة ورقة ، أخذت بها النساء قبل الرجال ٠٠! وهكذا كانت بوبيا مثالا للفتنة التي تنهار أمامها أعنى حصون القلوب ٠٠ حتى لقد سرت الهمسات في البلاط الرومانى عن سحرها ، وأضافت أن (بوبيا) منيعة غالية ٠٠! ولكن « نيرون » لم يعبا بالثمن في سبيل أن ينالها ١٠٠ دفع الثمن ٠٠ وكان غاليا حقا ، فقد تمثل في قتل أمه ، وطلاق زوجته الشابة « اوكتافيا » !!

وغدت « بوبيا » عشيقة الامبراطور الطاغية ، بعد أن أقصى زوجها الثانى بأن عينه حاكما للبرتغال ، كي يخلو لهما الجو ٠٠! ولم يلبث « نيرون » أن اتخذها زوجة ، ثم مكن لها من النفوذ والسلطان ما لا قبل لامرأة به ١٠٠!

تستحم بلبن ٤٠٠ بغلة

♦ ولم يعرف التاريخ امرأة أنفقت ببذخ فى سبيل صون جمالها ، كما أنفقت « بوبيا » ٠٠ كانت جذران حمامها مكسوة بالمرايا الفضية المصقولة كي تتأمل فيها كل يوم جسدها الناصع البياض ، الذى اعتادت أن تحفظ لونه الفاتن بالاستحمام بلبن البغال - (حتى ليقال انها كانت تصحب ٤٠٠ بغلة معها أينما سافرت !) - وكانت تكسو وجهها قبيل النوم بطبقة من معجون لا يكاد يختلف عن « الكريم » الذى تستعمله كواكب السينما فى أيامنا هذه ٠٠ وفوق المعجون ، كانت تنثر مقادير من « البودرة » ثم تسلم وجهها لوصيفة تدلكه حتى تغدو بشرته كالحرير الناعم ٠٠ وما لم تكن مضطرة الى الظهور فى البلاط الامبراطورى ، كان المعجون يظل دائما على وجهها ٠٠ فاذا أزالته أخيرا ، بدت بشرتها بيضاء يشيع فيها لون وردى كأنه خجل العذارى !

اما يداها، فكانت تدلكهما بدهن التمساح، ليحتفظا ببياضهما



تستحم بلبن ... بظلة !

اخصائيون في تطريز وزركشة نعالها .. !

وكانوا جميعا يحيطون بها عقب كل حمام ، حين تجلس الى مرآة تتأمل شعرها وتفحص الشكل الذي نسق عليه .. فلقد كانت تعرف انها اوتيت اجمل شعر توج رأس امرأة في روما .. شعر تغنى « نيرون » بجماله ، ووصفه في أشعاره بأنه « عنبر » .. وقد أوحى هذا الى اخصائي العطور الذين كانوا في خدمتها ، بأن يستنبطوا لها من العنبر زيتا عطريا يضمنوا به الشعر الغالى .. !

وكان المكلفون بتنسيق شعرها يفتنون في عملهم ، حتى لقد كانت أية « تسريحة » تبدو بها « بوبيا » لا تلبث أن تفسد « موضوعة » تتناقلها نساء روما .. ! وكانت تثبت الجداول العنبرية بمشابك مرصعة باللاز التي كانت تجلب خصيصا لها من البحر الاحمر ، لما تمتاز به لآلئ هذا البحر من جمال وبياض ناصع ..

ونعومتها .. وكان العبيد يتولون جسدها بالتدليك عقب الاستحمام ، ثم يربتون لسانها بعضى عاجية مسطحة كي يظل على نعومته المخملية .. !

حاشية كبيرة لخدمة الجمال !

♦ وكانت لها حاشية كبيرة من العبيد .. فالجسوارى الافريقيات لتدليك جسمها .. والسبايا السكندريات لاختيار الازياء التي تناسبها وصنعها .. وعبيد موكلون بجواهرها وحليها .. وآخرون اخصائيون في تطريز وزركشة نعالها .. !

أما أذناها ، فكان يتدلى من كل منهما قرط رصع بثلاث ماسات .
ترسل بريقا بخطف الابصار كلما حركت الجميلة رأسها ١٠٠

ذهب وجواهر بلا حساب !

♦ وكان البذخ يمتد حتى قدميها ٠٠ اذ كان نعلها يصنعان
من صفائح من الذهب الموشى باللالء ٠٠ ويثبتان الى ساقها
باشربة من الذهب والحرير ٠٠
وكانت ساقها تلفان حتى الركبتين بقماش من التيل الرفيع
الناعم ، ينتهى برباط من الذهب المرصع بالماس ٠٠
أما جيدها فيحاط بمشد مزخرف ، صنع من خليط
من خيوط الصوف والحرير والذهب ، التى كانت تغزل وتنسج
فى الشرق ٠٠ وكان يرصع بأعلى الاحجار الثمينة ، ويراعى فى
الغلاة السابغة التى تلبس فوقه ، أن تكشف عنه ، فيترك أعلاها
منفرجا ، وتثبت عند الوسط بحزام موشى بالجواهر ٠٠ على أن
لا تمتد أطراف الغلاة الى الذراع اليسرى ، لتبقى عارية ، تزدان
بالاساور الثمينة ، التى تتسق مع القلائد التى كانت تحيط
بالعنق البض ٠٠!

للفواية فنون اتقنتها « بوييا »

♦ ولم تغفل « بوييا » حيلة من الحيل فى سبيل اسنبقا،
سحرها لدى « نيرون » ، ليظل لها ما نالت من عرش وسلطان
٠٠ وكانت تعرف كيف تسيطر على عاشقها ، وكيف تجعل
بها،ها يطفى على بريق أية غريمة لها ٠٠ وكانت بارعة فى اخفاء
عيوبها ، واطهار مفاتنها ، واضفاء وقدة من الانونة على ابتسامتها،
تلهب بها القلوب ٠٠!

ولم تكن تكف عن الابتكار والتجديد لتظل فريدة فى مظهرها
٠٠ فكانت أول امرأة فى روما اتخذت ثيابا من الحرير الخالص،
وأسدلت على رأسها وشاحا طويلا (كما ترى فى الرسم ص ١٤١)
وقد اعتادت أن تقضى الساعات الطوال ، تتأمل نفسها فى

نظرات فاحصة ، وتدرس كل حركة من حركاتها ، لتصلح منها ما يعوزها الفتنة .. حتى حركة أهدابها ، واختلاجات جوارحها ، كانت تحرص أن لا تغفل عن دراستها وانتقادها .. واستطاعت بالمران أن تجعل لمظهرها كل ما ترجو أن تفرضه على رائيها من تأثير ! ..

نهاية الفتنة ..

♦ وكانت لها ضحكة تهرز القلوب، فتخضعها للفتنة، وتبعث فيها الجبور ..

وقد ظلت تجرب كل فنون الغواية ، حتى انتهت الى أن أقوى سحر للانوثة يتمثل في بساطة الطبيعة ، بما يصحبها من مظاهر البراءة والسذاجة والضعف ! ..

وعلى قدر ما كان « نيرون » متيما ببوبيا ، فانه لم يتورع اذ أغضبته ملاحظة أبدتها - وهو عائد منتش من السباق ذات يوم - عن أن يركلها في بطنها بقدمه ، فاذا هي تصاب بنزيف داخل أدى الى موتها ! ..

وعصف الحزن بالطاغية .. وشاء أن يكرمها في وفاتها ، نكفرا عن ذنبه ، وتخفيفا لأسماءه ، فلم يسمح بحرق جسدها - كما كانت طقوس الرومان - بل أمر بتحنيطه على عادة المصريين ! .. وأقام لها جنازا رائعا ، تولى فيه بنفسه القاء المراثي التي كان القوم يتلوننها عادة .. وظل البخور يحرق حول تابوتها عدة أيام ، ثم ووريت التراب في مدفن أباطرة الرومان !

ولاول مرة عرفت عينا الطاغية الدموع .. فقد بكاهها من أعماق قلبه ، وظل وفيا لحبها ، تلف ذكراها قلبه في غلالة عاطرة لم يقو سحر امرأة أخرى على أن ينفذ خلالها الى ذلك القلب الذي لم يعرف اللين والحب الا نحو « بوبيا » وحدها ! ..



- ١ -

♦ لمحنا آثار أقدام راقصة ..
فتلكانا في مشيتنا ونحس ندرع الشارع الذي غسله
ضوء القمر
حتى قادتنا آثار الاقدام الى عتبة بيت غانية ..
وفي الداخل ، فوق اصوات الصخب والضوضاء ..
سمعنا جوقة الموسيقى تغزف
لمنا رائعا من الحان «ستراوس» !

- ٢ -

♦ مثل اشباح آلية غريبة المنظر ، تقوم برقصات عربية
.. خلافة
كانت الظلال تتمايل وراء خشب النافذة ..
فاخذنا نرقب الراقصين يدورون ، على انغام الكمان والنفير
مثل أوراق الاشجار حين تدور في دوامة الريح !

- ٣ -

♦ مثل جماعة من الجنس الاتي ..
كانت ظلال هياكلهم النحيلة تترنج على النغم البطيء ..
ثم تناول كل منهم يد الاخر

ورقصوا رقصة اسبانية مرحة
فدوت ضحكاتهم الحادة بين جدران المكان ..

- ٤ -

♦ وبين حين وآخر كانت دمية منهم ..
تضم شبح حبيبها الى صدرها
واحيانا كانوا يغنون أغنية هادئة ..
واحيانا كان أراجوز رهيب
يخرج كى يدخن سيجارته على السلم ، كانه كائن حى !

- ٥ -

♦ عندئذ استندت الى حبيبتى قائلا :
« الموتى يرقصون مع الموتى ..
.. والتراب مع التراب ! »
لكنها حين سمعت عزف الكمان
تركت ذراعى ودخلت الى داخل المكان
فقلت لنفسى : « ان الحب قد دخل الى بيت الشهوات ! »

- ٦ -

♦ وفجأة صار النغم نشازا
وتعب الراقصون من «الفالس»
وكلت الظلال عن اللف والدوران
وفي أقصى الشارع الطويل الساكن
زحف الفجر بأقدامه ذات النعال الفضية ..
مثل فتاة زحف الخوف على قلبها ! ..

عزيزى القارىء ...

في الإعداد السابقة من «كتابى» قدمت لك في هذا الباب على التوالى
فصص : «أموك» أو «غرام تحت سماء
الشرق» لستيفان زفايج .. و«شجرة
التفاح» أو «قلب عذراء» لجون جالزورنى
.. ثم «مرتفعات وذرنبج» لاميلى بروننى
.. و«التلميذ» أو «عندما يفضل الشباب»
لبول بورجيه .. و«أحدهم نوتردام»
لفيكتور هوجو .. و«جريمة حب»
لبول بورجيه .. و«جين إير»
لشارلوت بروننى .. ثم «أيام بومبى
الآخرة» للورد ليتون .. تليها «مانون
ليسكو» للاب بريفو .. و«حديقة الله»
لروبرت هتشنز ..

وفي العدد الماضى قدمت لك القسم
الاول من هذه القصة العصرية التى
يتنبا لها النقاد بخلود القصص
الكلاسيكية .. وفيما يلى القسم الثانى
والآخر منها .. يليها في الإعداد التالية
من كتابى بالذات الله: إيفانفو (والتر سكوت)
صورة دوريان جراى (أوسكار وايلد)
أوليفر تويست (تشارلس ديكنز) سافو
(الفونس دوديه) الرؤساء (فيكتور هوجو)
غادة الكاميليا (ديماس) مدام بوفارى
(فلورى) نانا (اميل زولا) تاييس (أناطول
فرانس) الجريمة والمقاب (دستوفسكى)
الحرب والسلام (تولستوى) .. الخ

الحياة قصص



روائع القصص العالمى



LA DETTE DE
HAINE

Par

GEORGE OHNET

جورج أوتيه

عند ما نحق المرأة!



خلاصة مانشر في العدد الماضي

◆ بعد أن قضى الشاب «ريون بلورانيه» ، الضابط بالبحرية الفرنسية ، عامين في جحيم القتال بالهند الصينية ، استقال من السلك العسكري وعاد الى فرنسا لينزف الى خطيبته السمراء ذات الجمال الحمري الساخن ، التي تعيش - مع أمها وابنة خالتها الشقراء التي تماثلها في السن ، ومربيتها الزنجية - في فيلا بيضاء جميلة تكتنفها الحفرة بضاحية (فيل فرانك) القريبة من مدينة نيس .. وفي اليوم الذي هبط فيه الشاب من السفينة في ميناء (طولون) ، وقبل أن يسافر الى حيث تقيم خطيبته ، التقى في الطريق بصديق له دعاه الى تناول الغداء مع جماعة من الاصدقاء في منزل أحدهم .. فلما ذهب استقبله الكل بالترحيب والاشواق .. وكان الوحيد الذي لا يعترفه من الحاضرين شاب ايطالي رائع الوسامة ، فارح القامة ، فاتن السمرة ، فاحم الشعر ، تجذبك اليه عينان سوداوان نفاذتان ، ولم دقيق يفر عن أسنان جميلة ناصعة البياض . وبظله شارب صغير رقيق ..

◆ وطالب الاصدقاء ضيفهم الايطالي - ويدعى المركيز جيراني - بأن يقصر عليهم أحدث مفامراته النسائية ، وهو الحجة في هذا الباب ، فبدأ يروي كيف التقى في إحدى المناسبات بفاتنة رائعة الجمال ، أحدها سمراء والأخرى شقراء ، تصحبهما امرأة متقدمة في السن وخدام زنجية .. فأسرته فتنة أحدهما ، وظل يطاردها ويعوم حول الفيلا البيضاء التي تكتنفها الحفرة ، التي تقطنها ، حتى استطاع بواسطة خادمتها الزنجية أن يلقاها .. وأحب كلاهما الآخر جدا جنونيا ، فلم تبخل عليه الفتاة الفاتنة بشئ ، منعت كل ما كان يشتهي .. ووصل معها الى نهاية الشوط !!

وانتهى المركيز جيراني من قصته بين صياح المجتمعين ، وتعليقاتهم الملائحة .. بينما أحس «بلورانيه» أن الأرض تعيد تحت قدميه ، فالأوصاف التي ذكرها الإيطالي العابت تقطع بأن الفتاة التي عناها واحدة من اثنتين : اما خطيبته ، واما ابنة خالتها ! وشعر بالأم الشك القاتل يكاد يشطره شطرين .. فانتفض فرصة تصريح المتحدث بأنه لا يفكر في الزواج من ضحيته لانه متزوج بالفعل . وتحرش به عامدا وراح يكيل له الإهانات .. حتى غدت البارزة بينهما امرا محتوما لم تفلح في تجنبه جهود الاصدقاء . لاسيما بعد أن أبى الإيطالي أن يشفي لخليل غريمه الى معرفة أي اللتان كانت عشيقته !

♦ وفي جو خيم عليه الوجوم أعدت عدة المبارزة ، فقيست المسافات والابعاد .. ووقف كل من الفريقين يحمل غدارته في يده ، مناهبا لتلقى الإشارة باطلاق النار !

واحتبست الانفاس ، في انتظار الفاجعة التي كان القدر ينسج خيوطها بسرعة مخيلة .. ثم حانت اللحظة الحاسمة فصاح الحكم ، بصوت مرتعش : « واحد .. اثنين .. ثلاثة ! » .. وانطلق الموت !
والآن ، تستطيع ان تتابع القراءة :

- ١ -

♦ كان جيرانى هو البادى باطلاق النار ، لكن رصاصته لم تصب من غريمه غير قبعته ، فأطاحت بها ممزقة في الهواء .. غير انه لم يجزع مع ذلك بل ظل واقفا في مكانه كالطود .. وجاء دوره هو فاذا به يسدد غدارته الى المركز ويطلقها ، فتستقر الرصاصة في صدره .. ويسقط على الارض مضرجا بدمائه !! وفحص طبيب من الحاضرين المصاب ، فأدرك لتوه ان الاصابة قاتلة .. ولم يكن جيرانى نفسه أقل ادراكا لخطورة حالته واشرافه على الهلاك ، فنظر الى الطبيب والدم ينزف من صدره وابتمسم ابتسامة حزينة ، ثم قال : « كل ما أطلبه منك ألا تدعنى أتالم طويلا ! »

وطلب أن يحدث الى قاتله ، فلما دنا منه هذا رجاء أن يصافحه ، ويصفح عنه .. فأجابه بلوارنيه : « بل أنا الذى أتوسل اليك أن لا تتركنى نهبا للشكوك القاتلة بصدد خطيئتي التى أحبها حب الجنون .. فبربك قل لى من من الفتاتين كنت تعنى : تيريز أم ليديا ؟ » .. فأجاب جيرانى ، وقد أخذ الموت ينسج على وجهه ظلاله السوداء : « لا ! » .. لكن بلوارنيه استطرد فى توسل : « لماذا لا تريد أن ترحمنى ! من من الفتاتين هى الطاهرة ومن منهما الدنسة ؟ لا تدعنى أشك فى الاثنين .. من منهما : تكلم : ليديا أم تيريز ؟ »

وانحنى عليه وأخذَه بين ذراعيه وهو ينبش بنظراته جسم هذا المحتضر عساء يجد ذليلاً ينقع غلته ويروى ظمأه ٠٠! لكن جيرانى أجابه بصوت محتبس : « لن أقول لك شيئاً ! لن أقول لك شيئاً ! »

قالها وفارق الحياة !

أما بلوارنيه فقد مر وهو خارج بجنة جيرانى ، فألقى عليها نظرة أخيرة ، كما لو كان ما يزال يأمل أن يحظى من الميت بالحقيقة التى ضمن بها عليه وهو حى ٠٠! وما كاد يصل الى الشارع حتى تتم قائلًا : « ما لم أستطع معرفته منه ٠٠ سأصل الى معرفته « منهما » ؟

- ٢ -

◆ نبتت أسرة « سان موريس » فى جزر (المارتينيك) ٠٠ وكان رأس الأسرة - الشيفاليه سان موريس - قائداً لحدى المدرعات الحربية فى عهد لويس السادس عشر ، وقد لمع نجمه وعلا صيته بما أداه لوطنه من جليل الخدمات ٠ ومات سنة ١٨١٠ وقد شُبع أياماً وشُبع مجدداً ٠ مات مبكياً عليه من الجميع فى تلك المستعمرة : من السود والبيض معا !

ومرت الايام والسنون ولم يبق فى جزر المارتينيك من أسرة سان موريس الا سيدة واحدة أرملة وابنتها البالغة من العمر خمسة عشر عاماً ، تقيمان فى « فور دى فرانس » وتميشان عيشة متواضعة من دخل محدود ٠

وبينما كانت هذه السيدة (واسمها مدام دى سان موريس) تعيش عيشتها التى درجت عليها اذا بخطاب يصلها من أوروبا قلب نظام حيساتها ظهراً على عقب ٠٠٠ ذلك أن شقيقتها « مدام لوتونور » وهى أرملة أحد الاغنياء المعروفين فى باريس ، كتبت اليها تقول لها انها مريضة وتشعر بأنها فى أيامها الاخيرة ، ومن

ثم فهي تستلعيها الى باريس وتوصيها ، فيما لو ماتت قبل ان تراها ، ان تعنى بابنتها الوحيدة « تيريز » ..

وكانت مدام دي سان موريس امرأة عطوفة رفيقة القلب . ولما لم يكن لديها من سبب يحتم عليها الحياة في «فوردى فرانس» فانها لم تتردد في اجابة شقيقتها الى رغبتها فأبحرت الى فرنسا تصحبها ابنتها « ليديا » وخادمتها الزنجية « ليلي » .. وما أن وصلت الى باريس وتوجهت الى منزل شقيقتها حتى صدمها الخبر الفاجع ، حين استقبلتها ابنة شقيقتها (نيريز) فى أبواب الحداد ! ..

واستقر المقام بـ مدام سان موريس وابنتها فى المنزل الفخم الذى كانت تملكه شقيقتها مدام « لوتورنور » فى أحد الشوارع القريبة من الشانزليزيه .. وفى صبيحة يوم وصولها قدم لزيارتها ابن أخت أخرى لها هو الضابط « ريمون دي بلوارنيه » ، وهو ضابط ذكى بالبحرية تدل سيماؤه على أن مستقبلا باهرا ينتظره .. وكان قد اعتاد أن يأتى لزيارة خالته مدام لوتورنور عقب كل رحلة بحرية يسافر فيها . فلما آل اليه ميراث أبيه الضخم - فقد كان أبوه رجلا ثريا للغاية - وجد فى زوج خالته خير مستشار له فى شئون ثروته الواسعة وفى كيفية استثمارها وتنميتها ، حتى ضاعف من ثروته الموروثة وهو لمسا يزل فى الثلاثين من عمره ..

أما ابنة خالته « تيريز » فقد كانت فى السادسة عشرة ، رفيقة الحاشية ، عذبة ، ودیعة القلب كاللائكة ، تقية متعبدة الى أبعد حدود التقوى والتعبد . جميلة ذلك الجمال الهادئ ، الاخاذ فى غير زهو ، الجذاب فى غير خيال .. وكان ريمون يحبها حبا جما ، حب الاخ لاخته التى بدأت تستقبل ربيع الحياة كالوردة المتفتحة الأكماء ..

ولما ماتت أمها بكأها ريمون معها جنبا الى جنب ، كما لو كان

ابنها الوحيد .. ولكن حزن تيريز على أمهسا ، رغم تقواها وتعبدها ، كان شديدا مفرطا بحيث خشي ريعون عليها مما لاحظته في مسلكها من علامات التصوف والزهد في الدنيا ومتعها .. وحين صارحها ذات يوم بقلقه هذا ورجاها أن تستسلم لقضاء الله وقدره أجابته بقولها : « لقد أصبحت وحيدة الآن يا ريمون ، وأحس بانني لا أجد لي سندا روحيا يعيد الى نفسي الثقة والراحة والطمأنينة .. »

فاجابها ريمون : « كيف تقولين انك وحيدة وأنا بجانبك ؟ ثم ألا تعلمين أن خالتك قررت الحضور من (المارتنيك) لتقيم معك في فرنسا ؟ انك ستجدين فيها أما رؤوما حنونا ، أما ابنتها التي في سنك فستكون رفيقتك ومؤنستك في وحشتك .. فهسلا نظرت الى المستقبل بمنظار أقل سوادا ؟ »

فاجابت تيريز : ان هاتين المخلوقتين المجهولتين بالنسبة لي هما بالذات مبعث قلقي وخوفي ، ومجيئهما يزيد في اضطرابي أكثر مما يبعث في نفسي الطمأنينة : كيف هما يا ترى ؟ وماذا هما صانعتان هنا عندما تصلان ؟؟

— أنك واثرة ثروة والديك الطائلة وسوف تكونين صاحبة البيت وسيدة الموقف !

— أنى أكره هذه الثروة الطائلة وأزهد فيها ، وأود لو تركتها لأكرس حياتي لخدمة الفقراء والمعذيين .. انني لن أشعر براحة النفس الحقيقية الا عند ما أتخيل نفسي راهبة في دير !

— انك يا عزيزتي لست في حاجة لان تترهبى كى تكونى على صلة بالله .. ان حزنك يجسم لك الامور .. ولا أقل من أن تنتظري قدوم خالتك لتعرضي الامر عليها قبل أن تقدمي على أية خطوة كهذه قد تندمين عليها ..

— سأفعل ما تريد يا ريمون .. غير اني لا أتوقع خيرا من حضور خالتي وابنتها ، فاني أرى احلاما مزعجة تؤيد عندي هذا

الاحساس ... وتؤيد اعتقادي بأن حضورهما واقامتتهما معي سيكونان شؤما على ومبعث ويلات لي !! ولكن ، لعل أخطأت في الكلام معك عن الاحلام فانك قطعاً ستسخر مني !!

- ٣ -

◆ بعد أسبوع من هذا الحديث وصلت مدام دي سان موريس الى باريس تصحبها ابنتها « ليديا » والخادمة الزنجية « ليلي » . فمما كان أشد دهشة تيريز ، بل ذعرها ، لدى رؤية ثلاثتهن !! ان الاحلام المفزعة التي رأتها والتي قصتها على بلوارنيه لتنطبق عليهن انطباقا عجيبا ، بل مفزعا !! ومع ذلك فقد شعرت تيريز بأنها ستحب خالتها وابنة خالتها ..

وفى صبيحة يوم وصولهن جاء ريمون دي بلوارنيه ليحيى خالته وابنتها . ولم يكن قد رأى « ليديا » قبل ذلك ، فما كاد بصره يقع عليها حتى سمر على الارض لفرط ما بهره جمالها الرائع ! فقد كانت في السادسة عشرة ، فارعة القامة - كأنها فضجت قبل الاوان - سمراء البشرة ، ذات عينيْن سوداوين ، وأهداب طويلة تعكس على خديها الفاتنين ظلالا رقيقة .. أما فمها فدقيق ، يشق عن شفتين تضمان أسنانا منضدة ناصعة . وكانت وقت دخول ريمون جالسة بجوار تيريز التي كانت تختلف عنها كل الاختلاف : فقد كانت الاخرى شقراء ، زرقاء العينين . ورغم جمالها فقد كانت أقرب الى براءة الاطفال منها الى فتنة النساء !!

ظل ريمون صامتا لحظات ، حتى تداركته ليديا بقولها : « ألم يحدث في أسفارك الكثيرة أن اقتربت من جزر المارتنيك؟؟ أتراك نسيت أن لك في تلك البقاع أقرباء ؟! »

فرد عليها ريمون ردا يناسب المقام .. واستقر المقام بأسرة سان موريس في منزل تيريز بعد الحاحها ورفضها أن تقسم خالتها في أى مكان آخر ..

◆ ومنذ اليوم الاول تسلمت الخادمة ليلى الزنجية ادارة المنزل بحزم وقوة خشيهما سائر الخدم !! وبالرغم من أن ليلى كانت تبدو قوية تبعث على الخوف الا أنها كانت ضعيفة ضعفا لا حد له أمام ليديا .. فقد أرضعتها طفلة وربتها ولازمتها منذ ولادتها كظلها .. وكانت تجيبها الى جميع رغباتها ونزواتها .. أما اعجابها بجمال « سيدتها » فكان أقرب الى العبادة والتقديس حتى لتؤثر أن تجلس عند موطئ قدميها تحرسها كالكلب الامين ! وقد أحست الزنجية منذ أول لحظة بكراهية نحو تيريز ، فقد أحققتها أن تكون تيريز صاحبة هذه الثروة الواسعة بينما معبودتها « ليديا » لا تملك شيئا !! لكن الماكراة أحبت ريمون منذ لحقت بواذر اعجابه بسيدتها ، فكان هذا الاعجاب بمثابة معاهدة عقدت بين حليفين !

وبدا « اعجاب » ريمون بليديا ينمسو شيئا فشيئا ويتبلور ويتخذ له شكلا واضحا ليس من السهل اخفاؤه أو تجاهله !! .. وحين لاحظت ليديا نفسها الامر كاشفت خادماتها به وأبدت لها دهشتها من أن ريمون لم يصارحها بحبه بعد !! .. فسألته ليلى اذا كانت تحبه ، فلم تزدد على قولها : « انه يعجبني » .. ثم أردفت : « .. وهو واسع الثراء ، وهذا مما يزيد اعجابي به !! » .. فقالت الزنجية : « لعل سر احتياطه وتردده في مكاشفتك انك ما تزالين في السادسة عشرة ! »

فانبرت ليديا تجيبها : « ان ستة عشر عاما لمن عاشت في المارتينيك تفوق عشرين عاما لمن تعيش في أوروبا .. خذى مثلا تيريز : انها في سننى ولكنها بالنسبة لى طفلة فى كل شىء !! »

— ان تيريز ليست طفلة يا سيدتى .. خذى حذرنا منها !! .. والىبيها عند ما يحضر بلوارنيه .. وبدلا من أن تضيى الوقت فى التطلع اليه ، تطلعى اليها !!

— هل تعتقدين انها تحب ريمون ؟! يا لها من مسكينة ! اننى

على كل حال أتركه لها بكل ارتياح . . . ولكن هل برضى هو بذلك ؟؟ اننى أشعر بأنه يحبني بقوة . .

- نعم يا سيدتى . ولكنى ما زلت ألتمس منك ان تاخذى حذرك من تيريز !

- آخذ حذرى ؟! أمن هذه الفتاة آخذ حذرى يا ليلي ؟! انك نجسمين الامور ، فهى فتاة تقية مiale للرهينة وتكرس نفسها للعبادات والصلوات . . وهذا طابع النفس الراكدة الفاترة ؟!

◆ لكن ليديا تنبهت منذ هذا الحديث فبدأت تراقب تيريز من طرف خفى . . على أن تيريز لم تكن بالانسانة الخبيثة ، بل كانت فتاة مستقيمة الخلق ، طاهرة القلب والضمير ، ولم يكن ليخفى عليها ما أحدثته ليديا من تأثير على ريمون ولا فاتها حركات الشغف والصبابة التى كانت تصدر منه عندما يراها أو يخلو بها ! . . أما حبها هى لريمون فكان حبا صافيا : حب فتاة درجت منذ نعومة اظفارها على لقاء شاب كان يستقبل من أبيها وأمها دائما بالترحاب . . فكانت لا تخفى عنه سرا ، وتأنس اليه ، وترى فيه الملاذ الروحى لها فى كل محنة . . ولكنها ما كادت ترى كيف شغف ريمون بحب ليديا حتى شعرت بأن لها خصما بدأ ينازلها فى عقر دارها . . وعندئذ فقط أحسّت بالفيرة والالام ، واكتشفت لأول مرة حقيقة مشاعرها نحو الضابط الشاب !

أما ليديا فلم يكن يعنيها ، وهى تلك الفتاة الرعناء الجامحة ، أن تتألم تيريز . . فانها كانت من الانانية بحيث لا تعنى الا بنفسها فقط . . فاذا كان ريمون يحبها وكانت هى تحبه فعلى تيريز الغناء ؟!

وتحالفت المقادير مع ليديا ضد تيريز ، فقد فوجئ الضابط ريمون دى بلوارنيه بأمر لم يكن فى الحسبان ، اذ صدر اليه أمر بأن يضع نفسه تحت تصرف القيسادة فى طولون تمهيدا

لسفره الى « تونكين » في الصين ، حيث كانت المعارك ما زالت تدور طاحنة بين فرنسا والقوات الصينية ...

كان وقع هذا الخبر شديدا على مدام دي سان موريس ، وعلى ليديا وتيريز معا .. فقد التقت مشاعر الفتاتين في نقطة واحدة هي حبهما لريمون ! .. وبعد حديث بين الشاب وبين مدام دي سان موريس نزل هو مع الفتاتين الى الحديقة ، وكان بادى الالم لسفره المفاجيء وتركه تيريز ، صديقه منذ الطفولة ، وليديا التى احبها حبا جنونيا .. وبقي الثلاثة في الحديقة يسرون في وجوم . ولكن لم يكن من العسير على فطنة تيريز وهى الفتاة ذات الاحساس المرفف أن تدرك الحقيقة المرة ، وهى أن ريمون يريد أن يغلو بليديا .. وأن حضورها معها يحول دون أن يبت كل منهما الآخر مشاعره ، فتعلت ببرودة الجو وانسحبت الى مخدعها !

وبعد لحظة صمت كاشف ريمون ليديا بحبه ، وفوجئت به يطلب منها أن تقبله خطيبا لها حتى يعود ، اذا قدر له أن يعود ! .. وحين سمعها تقبل طلبه وتجيبه الى توسلاته كاد يفقد عقله من الفرح !

وكانت مدام دي سان موريس جالسة في احدى الحجرات وبجانبها تيريز ، عند ما دخل « الخطيبان » ! .. فماكادت تيريز تراهما داخلين حتى أحسبت بأن أمرا جلا قد وقع ! .. ثم قالت ليديا مخاطبة والدتها : « لقد صارحنى ريمون منذ برهة بأنه يحبني ، وسألني اذا كنت أقبله خطيبا حتى يعود .. فقبلت .. فما رأيك يا اماء ؟ »

وثبت مدام دي سان موريس من مقعدها من شدة الفرح وقالت : « ولكنك ستسافر غدا ، فماذا نحن صانعون ؟ » فأجابت ليديا : « سأنتظره حتى يعود .. انه سيحبني على البعد والقرب .. وعندما يعود فلن يفارقنا ثانية .. أليس كذلك يا ريمون ؟ »

— نعم يا ليديا ؟ سأعود وسأكون لك وحدك .. الى الابد !
 فقالت الام : « ما دام هذا يسعدكما يا ولدى فلتكن ارادة
 الله .. » ثم وجهت الكلام الى ابنة اختها : « وانت يا تيريز :
 هل كنت على علم بهذا السر ؟؟ » .. فأجابت تيريز وقد سيطرت
 على أعصابها بقوة حديدية :

— كلا ! لقد كنت مثلك أجهل كل شئ ، ..!! ولكن يسعدنى
 أن أرى ريمون وليديا سعيدين !

فقالت ليديا وهى تحديق البصر فى تيريز بامعان : « اننى
 مدينة لك يا تيريز ، فلولاك لما عرفت ريمون ! »
 وهنا مد ريمون يده الى تيريز وقال لها : « اننى أترك لك
 ليديا يا تيريز .. أترك لك أعز مخلوق على فى الحياة ، فأحببها
 واسهرى عليها حتى أعود !! »

فأجابته : « اننى أعدك بهذا يا ريمون ! »
 وفى اليوم التالى أبحر الشاب الى الشرق الاقصى ..

- ٤ -

♦ وانقضت شهور ، وأقبل الشتاء .. فانتقلت الاسرة الى
 ضاحية « فيل فرانش » الدافئة - بين (نيس) و (موناكو) -
 حيث كانت والدة تيريز قد شيدت قبل موتها فيلا أنيقة تكتنفها
 الخضرة والازهار من كل جانب .. وكان من دواعى دهشة
 تيريز ما لاحظته من فتور مشاعر ليديا نحو خطيبها الغائب ،
 بحيث لم تكن تذكره الا اذا ذكرتها هى به ..! وحين انقضى
 الشتاء وعادوا الى باريس أبدت ليديا من اللهفة والاقبال على
 ملاهيها ما يقطع بعدم اكترائها بخطيبها ، فى الوقت الذى كان
 هو فيه يخوض المعارك الرهيبة ويتعرض للموت فى كل لحظة! ..
 وذات ليلة ذهبت الفتاة بصحبة أمها الى دار الاوبرا فتجاوب
 المكان بهممة الاعجاب بالسمراء الفاتنة التى لم تر باريس مثيلا
 لحسنها من قبل ..! وكان بين الحاضرين مالى كبير يدهى

« صموئيل برنهايمر » كان على صلة بأسرة نيريز ، فلم يكذبني بالتحية للمراتين حتى ألح عليه شاب من أصدقائه يدعى « المركيز موريس دي روكيير » فى أن يقدمه اليهما . فاستجاب « برنهايمر » لضراسته وقدمه اليهما فى فترة الاستراحة . ورغم الفنور الملحوظ الذى قوبل به الشاب المتطفل فانه راح يبنى من جراء هذه المقابلة قصورا ضخمة فى الهواء !

وتوالى الايام ، وأقبل الشتاء التالى . فعدت الاسرة الى بيتها الريفى الدافئ الجميل . وذات يوم ورد ذكر « موناكو » فاقترحت تيريز القيام برحلة قصيرة لزيارتها ، فقبلت مدام دي سان موريس وليديا الاقتراح وركب الثلاثة السيارة الى « موناكو » لمشاهدة معالمها والعودة فى المساء . وفى عصر ذلك اليوم وقع أول لقاء بين ليديا وجيرانى !

وحدث بعد ذلك أن كانت ليديا وخادمتها الزنجية تقطفان بعض الزهور عندما فوجئت ليديا بوجودها وجهاً لوجه أمام حيرانى للمرة الثانية ! وفى هذه المرة راعها منه جماله وأناقته ولباقتة ، وشعرت لأول مرة بأن فى هذا الشاب الايطالى شيئاً يستهوئها . لكن الامر لم يزد يومئذ على مجرد النظرة المتبادلة من بعيد !

♦ وفى اليوم التالى بينما كانت ليديا تظل على الحديقة من نافذة غرفتها ، اذا بها ترى جيرانى يحوم حول الدار . وظل وقتاً طويلاً ينتظر خروجها ، فلما تعب ذهب الى الصخور القريبة فجلس عليها حتى الساعة السادسة مساءً . وأخيراً ينس وانصرف ! . فلما باحت ليديا بأمره الى خادماتها و (كاتمة سرها) الزنجية قالت هذه تنصحها :

— لا تشغلى نفسك به ! . . .

— وأى بأس فى أن أنفق بعض الوقت فى تعقب حركاته وأمرى عن نفسى فى آن واحد ؟! اننى لا أعرفه ولا أعرف حتى اسمه ؟؟

- لكنى أنا أعرف من هو ، اذا كانت معلوماتى تسرك
يا سيدتى ٠٠؟

- انها تسرنى من غير شك يا ليل ٠٠
وفى اليوم التالى لم يظهر جيرانى ، فكان عجبيا ان ضايق
اختفاؤه ليديا ، فبدأ عليها الضجر ! ولم يخف ذلك على مربيتها
فقالت لها :

- يخيل الى أنك لم ترى ذلك الاجنبى اليوم يا سيدتى ؟
- ومن أين عرفت ذلك ؟؟
- عرفته لاننى قابلته اليوم فى طريق « سان هو » ، وقد
حدث الى !
- كيف جرؤ ؟

- ان عبدة رقيقه ملى لا يعتبر التحدث اليها جرأة يا سيدنى
٠٠٠ لقد أراد أن يعرف منى من أنت ؟ ومن أين أتيت ٠٠ وطلب
منى فى الحاح أن أساعده على الاتصال بك ٠٠٠ وكان بادى
الشغف والهيام ٠٠ فنبهته الى أن الكتابة اليك أمر لا يليق ،
فقال انه اذن سيبحث برسائله الى أنا ٠٠

وقهقهت الزنجية وأردفت تقول: « يكتب الى أنا التى لا أعرف
القراءة ولا الكتابة ٠٠ اننى طبعا سألقى بخطاباته فى البحر !»

◆ ظلت ليديا فى تلك الليلة مؤرقة لم يغمض لها جفن ! أما
جيرانى فقد بر بوعده وكتب الى الخادمة ، فكانت ليديا هى التى
نقض الخطابات وتقرأها ٠٠ وقد عرفت منها أن اسمه « اميليو
جيرانى » وانه « ماركيز » ٠٠ وشعرت بشئ مجهول يجذبها
اليه ، فقد كان يبدو لها كاحد أبطال القصص الغرامية التى قرأت
منها الكثير ! ٠٠ ولم يكتف بالكتابة بل عاد يحوم حول الدار من
جديد ٠٠ وبينما كانت فى الحديقة تقرأ كتابا ذات صباح اذا
بوردة تلقى عليها وتسقط على الكتاب ، فتنبهت ليديا مذعورة

فوجدت أمامها الماركيز جيرانى ! .. فأشارت اليه إشارة تنم عن عدم الرضى عن فعلته ، وهمت بالنهوض .. ولكنه استوقفها ووقف أمامها مكتوف الذراعين ، ثم قال :

— ابقى حيث أنت يا آنسة ... فانى ذاهب !!

ولكنه لم يذهب ، بل ظل واقفا كالمشدوه بجمالها .. ثم انحنى أمامها باحترام ، وذهب ! .. وعند منعرج الطريق التفت وراءه فإذا الفتاة ما تزال فى مكانها ، فوضع أصبعه على فمه وبعث إليها بقبلة طويلة ! ..

عادت ليديا الى غرفتها .. وفى الغد كانت هى المسرعة الى المكان المعهود ! .. لكنه لم يظهر .. فحرصت فى اليوم الذى تلاه على الذهاب الى نفس المكان ، فما كان أشد سرورها حين أبصرت به قادما يعدو .. وفى هذه المرة لم تحاول أن تتجنبه ، فاقترب منها وانحنى أمامها حتى أوشك أن يغر ساجدا على ركبتيه ! وبدأ يتكلم فراعها منه صوته الموسيقى الاخاذ ، وإذا كلامه قصيدة من شعر زاخر بالحب والسجود !! وأخيرا قال لها :

— ماذا يخيفك منى ؟ .. اننى أحدثك من بعيد .. هل هناك خطر من أن يسمعنى أحد ؟؟

كانت تستطيع أن تسكته ، ولكن عنوبة صوته على مسمعها وحلاوة تعبيراته جعلتها تتركه يسترسل فى الكلام .. ولولا أنها سمعت فى تلك اللحظة صوتا منبعثا من داخل المنزل يناديها لتركنه يقول ويطلق فى القول ما شاء !

وظلت هذه الرواية تمثل ثمانية أيام متواليات بلا انقطاع ! .. وبدأت ليديا تأخذ الحيلة لنفسها فكانت تجعل ليل تقوم بمهمة الحراسة من بعيد ..

◆ وبعد يوم عاصف مطير عن ليديا أن تخرج للتنزه قليلا فى الحدائق والمروج المحيطة بالمنزل .. وكان الظلام قد أرخى سدوله ، وإذا هى تسمع حفيفا بين أوراق الشجر ، ووقع

أقدام !! فوقفت تتطلع يمنة ويسرة لتتبين الامر ، وما هي الا لحظات حتى أبصرت أمامها شبحا يتقدم نحوها رويدا رويدا .. فلما دنا منها هالها أن تجد أمامها الماركيز جيرانى !!
لم يمهلها الشاب المغامر بل ابتدعها بقوله :
- هل أنت هنا بمفردك ؟ يا لسعادتي !!

فأجابته فى حزم : « اننى أمنعك من الاقتراب منى ! » .. لكنه لم يأبه لها ، بل دنا منها بجراة حتى أصبحها وجها لوجه وسط الاشجار الباسقة والورود الياضعة والظلام المخيم والسكون المطبق !! ورأت عينيه يشع منهما بريق وهاج وقد بسط نحوها ذراعيه .. أما هي فحاولت أن تدفعه بعيدا عنها ، كما حاولت الهرب .. لكن شجاعته خانتها ، وأعجبها بالشاب الواقف على مقربة منها يدد قواها !! بحيث لم تحاول الاستغاثة بخادمتها ليلي ، برغم قربها منها !! فقد تملكها نشوة عارمة مستها مس الكهرياء .. وانتفض كيانه كله باحساس ناري مجهول لا يقاوم ! وكان جيرانى قد طوقها بذراعيه القويتين فظلت تتلوى بينهما محاولة الافلات ، ولكن بلا جدوى .. فقد اطبق على شفيتها القرمزيتين الراضيتين فى نهم وسعار !! وانقلبت المقاومة الواهنة استسلاما .. وبدلا من أن تدفعه عنها تركته يجذبها اليه .. وقد انفلتت من صدرها زفرة طويلة حرى !
وكان ما كان !!

- ٥ -

◆ غلاة اليوم المروع المشنوم الذى صرع فيه جيرانى بيد ريمون دى بلوارنيه استقل ريمون القطار الى (نيس) فوصلها فى الساعة الخامسة بعد الظهر .. ولم يشأ أن يذهب الى (فيل فرانش) مباشرة لانه أزمع على التخفى لينتزع السرايمهوب الذى مات جيرانى طاويا عليه صدره !! وكان لم يذق طعم النوم منذ ٢٤ ساعة ، وما زالت قصة جيرانى التى رواها بين قهقهة زملائه

وسخريتهم تتجاوب أصداؤها في أذنيه كهزيم الرعد .. وعلى
الاخص تلك الجملة التي ختم بها النذل قصته : « لقد كان آخر
لقاء بيننا أمس في الحديقة التي تكتنف الفيلا البيضاء » .
وسيكون لقاءنا التالي غدا في نفس المكان .. أمام النافذة الكبيرة
المطلّة على البحر !! »

هذه النافذة الكبيرة يعرفها ريمون جيدا .. ويعرف السور
المنخفض الذي تسلكه جيراني ليدخل الى الحديقة فيلتقي ..
ترى بمن ؟ بخطيبته السمراء « ليديا » ، أم بصديقه الشقراء
« تيريز » ؟؟ انه ليتمثل جيراني في سكرات الموت وقد ارتسمت
على وجهه ابتسامته الساخرة : ابتسامة القتل المنتصر على
القاتل ، والمطمون الساخر بالطاعن !! يا لهول الشك .. انه
لاشد أنواع التعذيب نكرا !!

أحكم بلوارنيه وضع الخطة ، ونصب الفخ الذي سيقع فيه
الصيد لا محالة : فقد عول على الذهاب في الموعد المضروب الى
مكان اللقاء ، بدلا من جيراني ، وبذلك تقع الفتاة الأثمة في الفخ
ويعرف من هي ؟

لكن مصادفة ليست في الحسبان وقعت فقلبت خطة الشاب
رأسا على عقب !! ففي الليلة السابقة أرقت « تيريز » في
فراشها ، فهبطت الى الطابق الاسفل لتحضر كتابا تقرأه ..
وفيما هي صاعدة حانت منها التفاتة الى الحديقة من نافذة السلم .
فلمحت نورا خافتا ينبعث من الكشك الذي في أقصاها . ثم
رأت شبح رجل يتسلل منه الى الخارج ، وشخصا من الداخل
يودعه !! وبعد حين أقبلت ليديا متلصصة ، وكم كان ذعرها
حين وجدت تيريز في مواجهتها ، تسألها في صرامة عن « الرجل »
الذي كانت معه !

وفي البداية حاولت ليديا الانكار .. لكن تيريز ضيقّت عليها
الخناق ، وهددتها ببلاغ الامر لامها ان لم تذكر الحقيقة كاملة !! ..

فاضطرت الى الاعتراف بمقابلتها للشباب الايطالى ، زاعمة انها
انما قبلت لقاءه آخر الامر . بعد محاولات طويلة ، كى تقنعه
بالكف عن مطاردتها !!

وفى الليلة التالية تصدت بيريز لابنة خالتها قبل موعد اللقاء
ومنعته من الخروج ، هى أو خادمتها !! ومضت هى الى
الكشك بدلا منها !! وكم كان ذهولها حين الفت نفسها فى
مواجهة : ابن خالتها « ريمون بلوارنيه » !

وكان موقفا شائكا رهيبا .. لم تكذ تنفص منه دقائق الصمت
الاولى المتخلقة عن المفاجأة ، حتى صارح الشاب ابنة خالته بأنه
رغم أسفه على ما انحدرت اليه من ضعة فانه لا يملك نفسه من
الشعور « بالارتياح » لان الأئمة لم تكن خطيبته الحبيبه ليديا ،
والا .. لقتلها ثم قتل نفسه !

وكانت هذه العبارة بمثابة « المفناح » الذى أرشد بيريز الى
حل الموقف ، فقد كانت تحب ريمون من أعماق قلبها ، وفى سبيل
حبها اياه وتجنبيه كل ألم أو أذى فلتتحمل هى أية نضحية ..
مهما غلت !

وتركته يعتقد أنها الأئمة !! وحين اعترف لها بأنه قتل
« عشيقها » ندت من صدرها صرخة مكتومة ، مبعنها الجزع مما
قد يترتب على الموقف من نتائج ، لا الجزع لمصير الآخر !!

**ولكن انى للتعس أن يعلم الحقيقة ؟!! وطيب ريمون خاطر
الأئمة « المفجوعة » بكلمتين ثم طلب اليها أن تعود الى مخدعها
كى تلوف الدمع السخين وتسال ربها المغفرة !**

وعادت المسكينة الى حيث كانت تنتظرها الأئمة الحقيقية ..
فلم تكذ هذه تعلم منها بعودة خطيبها ومصرع عشيقها حتى
صرخت من قلب مكلوم ولاذت بمخدعها تبكى وتنتحب .. وفى
غمرة محنتها راحت خادمتها الزنجية تغذى حقدًا على خطيبها
بقصة وقعت لها فى شبابها : قالت انها كانت جارية لسيد أبيض

استملحها فأرادها لنفسه ، لكنها كانت تحب زنجيا من جنسها . فلما علم السيد جاء بحبيبتها الزنجي وجلده أمام عينيها حتى فارق الحياة . فطوت ضلوعها على نية مبيتة للانتقام منه ، وذات يوم تظاهرت لسيدها بخضوعها لرغباته وضربت له موعدا فى كوخها . وهناك أعدت له زنجيا آخر من جنسها ترصد له فلم يكد السيد يدخل حتى انقض هذا عليه وأوثقه فى عمود ثم انهال عليه جلدا بالسياط ونال المرأة أمام عينيها امعانا فى تعذيبه ! . وأخيرا خرج المتآمران فأضرم النار فى الكوخ بمن فيه وهاما على وجهيهما فى الاحراش ، فرارا من العدالة ، ستة أشهر كاملة ، قتل فى نهايتها العبد فى معركة بينما التقطتها هى سفينة عابرة حملتها الى جزر المارتنيك ، حيث التحقت بخدمة والد ليدا ، وكانت هذه طفلة حديثة الولادة فتولت الزنجية ارضاعها وتربيتها عوضا عن مولودها - ثمرة صلتها بالزنجي - الذى ولد ميتا !

لم تكد الزنجية تفرغ من قصتها حتى علقت عليها ليدا بقولها : « الحق معك يا ليل ، فالمرأة القوية لا تبكي ، بل تنتقم ! » . ثم أوت الى فراشها تفكر فى القصة التى سمعتها . وحين استيقظت فى الصباح ، شاحبة الوجه ، ذابلة العينين ، كانت قصة الزنجية قد سطرت فى وعيها بأحرف من نار . . ومنذ ذلك اليوم بدأت تبيت فى ضميرها خطة محكمة للانتقام !



♦ في اليوم التالي أقبل « ريمون بلوارنيه » لزيارة البيت بعد عودته من ميدان القتال فاستقبلته خطيبته مرحبة في جراحة - كأن شيئا لم يحدث ! - بينما هي قد أضمرت له حقدا أسود لم تكن تكشف عنه الغطاء الا حين تخلو الى خادماتها الزنجية فيدور بينهما مثل هذا الحديث :

- لقد حطم مستقبل ، وسوف يدفع ثمن فعلته غاليا !
 - لا تنسى يا سيدتي ان خطيبك غني موفور الثراء ..
 - و « جيراني » كان بدوره غنيا ، وكنت سأصبح « مركيزة » !
 - دعى الموتى وشأنهم يا سيدتي وفكري في مستقبلك ..
 - لقد أحكمت خطتي ، وبدلا من أن أتزوج بدافع الحب ، سأتزوج بدافع الحقد .. وسيحس هذا الرجل بأظفاري تنفذ الى قلبه في الصميم !

وبينما كانت « ليديا » تبيت نيتها هكذا على الانتقام ، كانت الاخرى « تيريز » - تطوى قلبها على تضحياتها النبيلة في صمت ، وتعاود التفكير في حلمها القديم بشأن نبذ الدنيا والانزواء في دير .. وذات مساء أعلنت مدام سان موريس لابنتها وخطيبها ما فاجأتها به تيريز في هذا الصدد ، وأضافت انها حاولت اقناعها بنبذ مشروعها فلم تقنع !! فقالت الفاجرة ليديا معلقة في هدوء عجيب :

- انها تحسن صنعا .. فلقد خلقت للرهينة !
 أما ريمون فصمت ولم ينبس بحرف ..

القسم الثاني

♦ وذهبت تيريز الى الدير ..

وتزوجت ليديا من ريمون دي بلوارنيه !
 وانقضى عام ، كان كل يوم منه يزيد ريمون تعلقا بزوجته الماكرة ، وعمى عن ادراك نواياها ! لم يكن الغبي يفكر الا برأسها ، أو يرى الا بعينيها ، أو يعيش الا بها ولها ! أما هي فقد صارت

تعرف في المجمعات الباريسية بلقب « الكونتيسة دي بلوارنيه » . ولم تكن تظهر في مجتمع الا ويحدث جمالها وأناقته دويا في المكان ، وتروح أنظار المعجبين تتقاذفها في شغف .. وكان في مقدمة هؤلاء المعجبين : المالى الكبير « صموئيل برنهايم » ، الذى صادفها مرة في دار الاوبرا قبل زواجها ، كما قدمنا .. ثم المركيز الشاب « موريس دي روكير » الذى ألح عليه ليلتد أن يقدمه اليها في مقصورتها !

وقد وجد « برنهايم » السبيل ممهدا لتقربه الى ليديا منذ اختيار مديرا لشركة مالية ضخمة ساهم فيها كل أصحاب الملايين في فرنسا وأطلقوا عليها « الكونتوار فرانسيس » ، فقد كانت ليديا بحكم جشعها ، حريصة على استغلال ثروة زوجها في كل باب تأمل أن يعود عليها منه ربح وفير .. فانتهاز برنهايم فرصة صلته القديمة بأسرة تيريز وريمون وراح يحاول التسلل الى قلب ليديا عن طريق ارشادها الى صفقات مالية ضخمة درت عليها وعلى زوجها أرباحا طائلة ..

وطيلة الوقت كان ينتهز الفرصة فيحاول أن يدرس نفسية ليديا ، لعله ينفذ منها الى لغز مأساة تيريز - ابنة صديقه القديم - وسر اختيارها حياة الدير والرهينة ، وهي ما تزال في ربيع شبابها ..! وكان قد زار تيريز ذات يوم في الدير واستخدم كل دهائه كى يقف منها على أى ايضاح يلقي ضوءا على الموقف ، لكنه باء من محاولته بالفشل ، فقد أصرت الفتاة على أنها اختارت هذا السبيل استجابة منها لميل شخصى متأصل في نفسها ..! لكنه وهو يودعها رأى عينيها تغروران بالدموع ، فانصرف وقد قوى عنده الشك في أن يكون الباعث لها على دخول الدير هو حبها لريمون واثاره ليديا عليها !

أما ريمون .. فقد بلغ من حبه الساذج الاعمى لليديا أن ضاعف من اغداق المال عليها بلا حساب ، واشباع شهوتها الى الاتفاق والبذخ في اسراف جنونى .. حتى لقد اضطرت أمها آخر

الامر الى مطالبتة بكف يده بعض الشيء ، وایقافها عند حدها بعد أن استفحل الامر .. لكن الشهور توالى والتعس مشفق من مصاتحتها فى هذا الشأن ! .. وحين تذرع بشجاعته أجيرا وفاتحها فى الامر ، محذرا اياها من عواقب اسرافها الاهوج الذى قد يززع مركزه المالى ويقوده الى الافلاس ، أدارت دفة الحديث مقترحة عليه أن يشارك برنهايمر فى مضارباته بالبورصة ! .. وما زالت به حتى زج بنفسه فى هذا السبيل ، وريج منه بالفعل مبالغ طائلة ، كما ربحت هى مثلها .. غير انها لخبث طويتها كانت تدخر كل ما تربح وتمعن فى انفاق أرباح زوجها ! ذلك ان خطة الانتقام - الذى لم تغب فكرته عن ذهنها يوما واحدا ! - كانت تنقسم الى شعبتين : الاولى أن تقود زوجها الى الافلاس .. والثانية أن تقضى بعد ذلك على حياته ، بأن توقع الشاب الماجن المركيز دى روكيير فى شرك غرامها ، وتدخل فى روعه ان زوجها هو الحائل الوحيد بينهما ، وتظل به تراوده عن نفسها حتى يجن بها حبا .. وتصل رائحة الفضيحة الى الزوج فيتبارز مع روكيير - الذى كان مشهورا بأنه من أمهر الرماة وأقدر لاعبى السيف ! - فيلقى ريمون حتفه على يديه .. وبذلك يسدل الستار على هذه المأساة المروعة !!

ولم تكن ليديا تتصور حين بدأت تفسأل المركيز روكيير وتشجعه على مغازلتها ، ان ما تحسبه لعبا سوف ينقلب جدا فى يوم من الايام ! وهكذا ظلت تلعب بالنار حتى أحرقت أصابعها ، وتخرجت رويدا رويدا حتى استسلمت للشباب وغدت خليلته ! .. واتخذ روكيير للقائها مسكنا خاصا فى شارع « لوبيك » ، صارا يلتقيان فيه بمنجاة من العيون .. لكن المحظور وقع ذات يوم ، حين لمح « برنهايمر » وهو مار بعربته فى شارع لوبيك ، امرأة تشبه ليديا خارجة من أحد المنازل وقد أسدلت على وجهها قناعا ! .. فتقاذفته الهواجس وعصفت بقلبه الغيرة ، فهرع من

فوره الى بيتها حيث انتهز أول فرصة فسألها عما كانت تعمل في شارع لوبيك؟! لكن الماكرة أنكرت في جراءة ذهابها الى هناك ! ومع ذلك فان انكارها لم يقنعه ، فصمم على استجلاء الحقيقة مهما كلفه الامر .. وهكذا يادر في صبيحة اليوم التالي الى استدعاء سكرتيه الخاص - وكان فضوليا مغامرا - وتبسط معه في الحديث ، حتى علم منه أن للمركز دي روكيير مسكنا خاصا في شارع لوبيك يلقي فيه احدى عشيقاته ، وقد وقف السكرتير على هذه الحقيقة مصادفة من صديقة له تقطن المسكن المواجه لذلك الوكر ! فلم يكذب « برنهايمر » يسمع هذه التفصيلات حتى كلف سكرتيه باغراء صديقه على مراقبة المسكن ومعرفة شخصية العشيقة ومواعيد ترددها عليه .. الخ

أما ليديا فان استجواب برنهايمر لها بشأن ترددها على ذلك المسكن قد أقنعها بضرورة تغييره فورا ، فأخطرت عشيقها بأنها تود رؤيته في الساعة الثالثة من بعد ظهر اليوم التالي لامر هام .. وبادر هذا فأرسل خادمتها الى المسكن قبل هذا الموعد بوقت كاف كي تعد العدة للقاء .. وعرفت صديقة السكرتير من حضور الخادمة انه تمهيد للقاء جديد فأخطرت صديقها ، الذي أخطر رئيسه بالامر .. وهكذا لم تكذب ليديا تصل الى مواجهة باب مسكن عشيقها حتى فتح باب الشقة الملاصقة على حين غرة وبرز منه رجل أمسك بيدها وجذبها الى الداخل ثم أغلق عليها الباب في طرفه عين : واذا ليديا وجها لوجه أمام .. صموئيل برنهايمر !

وعقدت المفاجأة لسانها لحظات .. ثم دار بين الاثنين حديث باحت أثناءه للرجل بكراهيتها الشديدة لزوجها ! وأثناء الحديث سألها المال الكبير ، دون قصد : تخيلي ان زوجك كان مكاني الآن ؟ ماذا كان يحدث ؟

— كان يصفى حسابه الآن مع روكيير !
وهنا خيل الى برنهايمر انه لا يرى أمامه ليديا الفاتنة التي

كان يهيم بها الى درجة الجنون .. وانما يرى أمامه ماردا من
مردة الجحيم ! انها تدبر خطة محكمة لتقتل الزوج ببسطة
العشيق ... فيا للهول !

وعلى أثر انصرافها خطر لبرنهايمر أن يمسك بالخيوط من
أطرافها ، فمضى من فوره الى مقابلة تيريز في الدير ، حيث طلب
اليها أن تصلي من أجل « ريمون » ، فان بيته مهدد بالخراب ! ..
فلما استوضحته جلية الامر صارحها بأن ليديا تدبر خطة لاغتيال
زوجها ! واذ ذاك أفلتت من تيريز هذه العبارة : « ويل للتعسة
.. انها تريد أن تتأذى للآخر ! » .. لكن تيريز تنبعت لخطورة
تصريحها فأبّت أن تزيد ، مكتفية بمطالبة برنهايمر بالسهر على
سلامة ريمون .. فخرج المالى الكبير من الدير وهو يسائل نفسه :
« ان ليديا تبغى اغتيال زوجها ثارا للآخر .. فمن هو هذا
« الآخر » ؟ »

- ٦ -

◆ قبيل هذه الحوادث كان برنهايمر قد شعر بأن بعض الايدى الخفية
تتلاعب باسمهم شركة « الكونتوار فرانسيه » تلاعبا قد يعرضه هو للمستولية
القانونية بصفته مديروها ، فلما عجز عن كبح جماح المتلاعبين قدم استقالته
من ادارة الشركة ، فقبلت استقالته فورا .. ولما كانت ليديا وريمون من المساهمين
في الشركة بمبالغ طائلة فقد رأى أن واجب الوفاء يقتضيه ان يخلدهما من
الخطر الملقى بهما كى يتداركا ثروتهما قبل ضياعها .. فمضى الى ليديا
وصارحها بالموقف ثم نصحتها بأن تبيع زوجها أسهمهما في الشركة أثناء
ارتفاعها المؤقت المصطنع ، الذى سيعقبه انهيار مخيف ! .. لكن ليديا - تنفيذا
لخطةها الجهنمية - اكتفت ببيع أسهمها الخاصة ثم عمدت الى تزيف رسالة
برنهايمر الى زوجها فمكستها ، قائلة له ان الرجل ينصحه بعدم بيع أسهمه
بأية حال !!

حدث ذلك قبل أن يكتشف برنهايمر حقيقة ليديا ويضبطها أمام مسكن
روكيير .. فلما انكشفت له حقيقةا وبدت من تيريز تلك الإشارة المقتضية
الى « الآخر » ، أدرك أن خطرا شديدا يحقق بريمون ، فخرج عليه واستفسر
منه عما اذا كانت زوجته قد ابلفته نصيحته له ببيع أسهمه ؟ وكما كانت

دهشة الطرفين حين صرح الشاب بأن زوجته قد أفهمته العكس تمامًا! وأنه قد اشترى بالفعل مزيدًا من أسهم الشركة ، بدلا من أن يبيع ما عنده منها !
 - وهل أصبحت هذه الإجراءات نهائية ؟
 - نعم ، فقد وقعتنا بالفعل !

وهنا غير برنهامر مجرى الحديث عامداً فحدث ريمون عن مقابلته الأخيرة لتيريز . وعن اهتمامها بأمره وعطفها عليه .. الخ - فلما خرج المال لم يملك ريمون نفسه من المقارنة بين تيريز وليديا .. واسترجع في ذهنه أحداث الماضي والحاضر فراح يربط بينها و « يولف » أحدها على الآخر .. ثم امتطى جواده وخرج ليرتاض قليلا . فصادق زميلا أكد له نبأ الكارثة المالية التي أصابت الشركة .. إذن فقد دق على رأسه ناقوس الحراب . وكانت زوجته هي السبب ! وإذا هو يلوى عنق جواده ثم يدفعه بسرعة جنونية في الطريق إلى منزله ، فقد ارتسمت في ذهنه علامات استفهام كثيرة وكبيرة كان يريد الجواب عليها في الحال .. فلما وصل اندفع إلى مخدع زوجته كالسهم ، فوجدها أمام مكتبها الصغير منهمة في الكتابة .. فلما رآته اضطربت واسقطت الورقة التي كانت تكتبها في الدرج ، لكنه بعركة قوية نعاها جانباً واختطف الورقة .. فإذا هي تصيح كالكلب المسعور وتحاول أنتزاع الورقة من يده ! لكنه تجاهل صراخها وتوسلاتها ونزع يقرأ فيها هذه البرقية : « يا حبيبي موريس .. أن اللم الذي أحكمنا تعبته ووضعه قد انفجر الآن .. فقد أفلس الكونتوار .. ويجب أن أدرك في الحال ! »

أمسك ريمون بليديا من كتفها ودفعها بقوة وحشية . ثم أضاف وقبضته الحديديتان تكادان تشطرانها شطرين :

- ليس المجال مجال كلام الآن بل مجال اعتراف .. من هو موريس هذا ؟ هل هو المركيز روكبير ؟

- نعم !

- أنك في هذه المرة عشيق روكبير . وأما في المرة السابقة فقد كنت عشيقه جيرانى ! أليس كذلك ؟؟

- نعم !

- والان أجيبني : مادمت تكرهيني الى هذا الحد فلماذا قبلت الزواج مني ؟
 - تزوجتك كي أأثر للرجل الذي أحببته ، والذي قتلته بيدك الالهة .. وها حلمي قد تحقق : فلقد قلدتني الى الحراب . ثم خنتك .. وسوف يتم انتقامي

حين يصرك روكبير .. هذا اذا واجهته ولم تكن رعيدا !
 - لقد قتل عشيقتك الاول ، وسأقتل الثانى .. وبهذه المناسبة دعيني اقدم
 اليك الدليل على أنك لاتعشقين غير الاندال : اليك الاقرار الذى سجل فيه
 جبرائى على نفسه انه كاذب مختلق فى كل ماروى . كى يتجنب المبارزة !
 - كاذب ..! كاذب !

- وهل تعلمين يا فاجرة ان عشيقتك النبيل الباسل كان متزوجا ؟
 - كاذب ..! كاذب !

وانطلقت من الغرفة كالصاروخ او كالجنونة . وبعد حين عرف انها اخلت
 كل ما استطاعت حمله من حليها وأموالها ، واختفت ..! فقال ريمون معلقا :
 - لقد أحسنت صنعا بالفراق .. ان عدد الداعرات فى الدنيا سوف يزيد بفراقها
 واحدة ..! والآن ، الى روكبير !

- ٧ -

♦ وتبارز الفريمان ، فسقط روكبير صريعا . بينما أصيب ريمون بجروح
 خطيرة ، رأى الأطباء معه ضرورة توفير ممرضة خاصة للسهر على راحة المريض ..
 فانطلق برنهايمر الى الدير وعاد وبصحبتة « تيريز » ، فان التى تهرع لنجدة
 الغرباء ، لا تفن بالنجدة على حبيبها !



واجتاز ريمون مرحلة الخطر بسلام .
 ثم ذف اليه « برنهايمر » بشرى مضاربة
 باسمه فى البورصة على النزول ،
 واسترداده له جميع امواله التى كان قد
 خسرها ..! وحسين أعربت تيريز عن
 رغبتها فى العودة الى الدير قال لها
 برنهايمر : « وخالتك المسكينة ؟ ان
 وجودك بجوارها فى محنتها القاسية لهو
 العزاء الوحيد لنفسها الحزينة وقلبيهما
 الكبير . بعد ان برأت من ابتتها القسالة

وقطعت كل صلة بها ! .. ومازال الرجلان بها حتى قبلت البقاء . فان طبيعتها السمحة كانت اسخى من ان ترفض أى عمل من شأنه اسعاد الآخرين !
اما ريمون ، الذى كان زواجه من ليديا مازال قائما - لانصمام له ! - يفرق بينه وبين تيريز بعائل لا فكاك منه - فقد شد رحاله بمجرد شفائه الى حيث راح بجوب البلاد فى رحلات طويلة ، عساه ينسى مصادفه من محن وأهوال ..
وذات يوم ، وهو فى لندن ، عاد الى بيته من رحلة صيد ، ليجد فى انتظاره خطابا من برنهايم مصحوبا بقصاصه من صحيفة ايطالية جاء فيها : « ان الفاتنة الفرنسية التى كانت ملء عيون واسماع اهل نابولى طيلة العامين الاخيرين قد اصبحت بحمى التيفلويد فقصت نجها ، برغم العناية الفائقة التى بذلها لها الطب ! .. اما خادمتها الزنجية التى كانت لاتفارقه دقيقة واحدة ، والتى ربتهما وارضعتهما ، فانها لم تحتلم الصدمة .. فوجدت فى صبيحة اليوم التالى بجوار نفس سيدتها .. جثة هامدة ! »

انتفض ريمون لدى تلاوة هذه القصاصه . فلما أفاق تذكر انه لم يفرا خطاب برنهايم ، فنشره امام ناظره وقرا فيه : « والان يا صديقى ، الا ترى ان ملة غيابك قد طالت اكثر مما يجب ؟ .. وانك مطالب امام الله باصلاح الاخطاء الجسيمة التى تعلمت تيريز عبثها بغير ذنب ولا جريرة ؟ فاذا كانت فى الدنيا عدالة فان هذه الفتاة القديسة يجب ان تعوض عما بذلت من ذات روحها وماتعلمت .. وانت الوحيد الذى يمكنك ان تعوضها وتجبر كسر جناحها المهيض ..! لقد قلت لى مرة انك مرت بجوار ينبوع السعادة ولكنك لم تره ، فلماذا لاتعود اليه الان وقد اصبح فى متناول يدك ؟ .. اذا فررت العودة فاكتب الى كلمة واحدة افهم منها ما عولت عليه ، وحينئذ سأعرف كيف أعبد لك الطريق فيما يتصل بـ « تيريز » .. والا ، فالوداع .. الى غير رجعة !! »

لغاص ريمون فى تفكير عميق ، ومرت أمامه صور الماضى البشعة باكملها : ليديا ، وشرها ، واعمالها ، وحقدها ، وهربها ، وخيانتها .. فخليل اليه ان الدم ما يزال ينزف من قلبه وينبجس من جروحه .. ثم رأى امامه وجه تيريز الجميل ، الهادئ ، الوداع ، وابسأمتها الحلوة .. وأحسن بدقات قلبها الطهور .. فلما مرت أمامه الصورتان ايقن ان السماء قد عفت عنه ، ومدت اليه يد الفوت لتنتشله من الوهدة التى تردى فيها .. فنهض واقفا وقد أعاد اليه الامل قوته وشبابه ، وكتب الى برنهايم برقية لاتحتوى على غير هاتين الكلمتين :
« انى قادم ! »

(بقية المنشور ص ١٢٦)

♦ وحل يوم المحاكمة ، فحضر الزوج المفجوع متحاملا على حزنه ، وقد بدا عليه الاسى اكثر منه يوم التحقيق وفى قفص الاتهام ، وقف «الفتى» الذى رآه مستر «بيللينجهام» فى «كافيه دو بارى» ، والذى اكدت «ماديلون» انها لمحت وجهه فى نافذة تلك الحانة .. وكان واجما ، تزخر نظراته بالغباء والذمر .. ولكنه ظل صامتا ، لا يتكلم .. حتى حين وجه القاضى اليه بعض الاسئلة ..

واذ يؤس القاضى منه ، تحول الى «آنسون» فسأله على حين غرة :

— هل تذكرت العنوان الذى نزلت فيه فى «مرسيليا» يا «بيير آنسون» ؟ ..

ورفع الرجل بصره فى وجوه المعتاد ، ثم قال :
 — لا أستطيع أن أتذكر .. ربما تعرفت عليه لو رأيته ! ..
 لقد الهتنى الفجیعة فى قريبي عن ان اعنى بتعرف اسم المكان ..
 — وما اسم ذلك القريب يا «بيير آنسون» ؟ ..
 وتردد الرجل .. وفى اللحظة التى اوشك ان يتكلم فيها ، صاح به القاضى :

— انك تكذب يا «بيير آنسون» .. لم لا تقول الحق ؟ ..
 انك قتلت زوجتك فى ساعة مبكرة من صباح يوم الاثنين ، واستوليت على مالها ، فدفعت الى الفتى الابله بمبلغ زهيد ليبتاع ثوبا جديدا ، ويلهو يوما فى «مونت كارلو» .. ثم اسرعت بالمال الى «نيس» لتنفرد به مع عشيقتك ، بعد ان احكمت شباك الشبهات حول هذا الابله المسكين ؟ ..
 وقفز الرجل فى مكانه مدعورا وقد احتقنت عيناه ، وامتعق وجهه .. بينما صاح القاضى :

— ادعوا هذه المرأة ! ..

وتطلع «آنسون» نحو الباب .. وفى اللحظة التالية بدت

امراة بين اثنين من رجال الشرطة .. وانبعثت صرخة مروعة في المكان .. واتجه بصر «ماديلون» نحو قصص الاتهام .. كان الفتى يبدو مسمرًا في مكانه ، وقد علق بصره بالمرأة التي اقبلت . وانجابت عنه غفلته ، واومض الذعر في عينيه .. وصاح مرة اخرى : «امى !!» ..

مفتاح الجريمة !

♦ قال القاضي وهو يجلس الى « مستر بيللينجهام » و«ماديلون» عقب المحاكمة :

— ان المآسى العائلية ليست نادرة بين طبقاتنا الريفية الوضيعة .. ولكن الغريب حقا في هذه المأساة ، ان «بيير آنسون» كان يحب شقيقتين في آن واحد .. وقد أثر ان يتزوج من كبراهما ، لانها كانت ارملة ورثت عن زوجها السابق مالا .. ولكنه ظل على علاقته بالصغرى في الخفاء .. وكان الفتى المسكين ثمرة هذه العلاقة ، وقد حاولت امه ان تتخلص منه ، ولكن «آنسون» في لحظة من اللحظات التي سرت الرحمة فيها الى قلبه ، انتزعه منها .. فكفلته زوجته ، دون ان تدري اكثر من انه ثمرة علاقة فاسدة بين اختها وشخص غريب ! .. وكان «آنسون» يتردد على عشيقته كل شهر في «نيس» . وهما يعلنان النفس بموت الزوجة كى يرثا مالها .. ولكن الزوجة لم تمت ! .. واكثر من هذا ، ان احوال «آنسون» ساءت ، اذ نضب الحشيب في المنطقة التي اقام فيها الحانة ، فتحول عمال قطع الخشب عنها .. وكان الفتى في هذه الاثناء قد كبر ، وبدا انه ابله لا امل فيه ، ولا خوف منه .. وبقيت القصة لا تحتاج الى شرح . على ان «بيير آنسون» اثبت انه داهية ندر ان يوجد مثله بين الريفيين ، فقد خدعنا جميعا .. وانا لمدينون حقا للآنسة ماديلون ومستر بيللينجهام ، فهما اللذان ارشدانا الى القاتل الحقيقي .. بعد أن كاد الابله المسكين يروح ضحية غدر امه وعشيقها !

مشروب الضيافة



محتويات الكتاب

الصفحة	الموضوع
٥	مقدمة العدد
٧	انا القاتل : قصة مصرية للمحرر
٢١	معركة في مجلس الامن : قصة سياسية ساخرة في حوار
٢٧	لعبة الحب والموت : قصة تمثيلية كبرى لرومان رولان
٥٧	بطل القصة .. والمؤلف (رومان رولان)
٦٠	الذئبة : قصة قصيرة لجيوفانى فيرجا
٦٧	فن الزعامة : اندريه موروا
٨٨	آراء لابن المقفع : الزعيم وصاحب السلطان
٨٩	دائرة معارف الزواج : تلبس بالخيانة الزوجية
٩٥	شويان : فنه .. وغرامه .. ومأساته
١٠٩	غرام شاعر : من رسائل الخالدين
١١٣	حانة الرعب : قصة بوليسية لفليبس اوبنهايم
١٢٧	تعال معي الى بلاد العانوب : شعوب العالم وكيف تعيش
١٣٧	نيرون : الطاغية السفاح ، قاتل أمه !
١٤٦	بيت الغانية : قصيدة للروائي الشاعر أوسكار وايلد
١٤٩	عندما تحقد المرأة : قصة كبرى لجورج أونيه

العدد القادم : أول أعداد كتابي الممتازة .. ممتاز في مادته
ومظهره - يباع بعشرة قروش .. لكنه يساوي أضعافا !

كنايات

الشافى عشر

.. دوقعت الواقعة فعلا، بلا مقدمات ..! عدت
ذات ليلة فجأة من مرحلة مصاحبة في بلدة قريبة
- قبل الموعد الذى حددته لعودتى - فوجدت
زوجه بين ذراعى رجل غريب ، من أعضاء النادي
الذى تردد عليه !!

« ولكم أن نقروا - يامضرات المشايخ -
عنف الصدمة التى أصابتنى ، فصحفتى سحقا .. فكلامكم
زوج ، وكلامكم يستطيع أن يتصور فظاعة الطعنة التى
تمزقه قلب الزوج المخدوع حين يكتشف فجأة أنه
زوجه التى أظلمت سقفه ، ووجدته
قد استباحته أن تلغ في شرفه ببلد
وانزع من ضمير .. ! »

(من قصة "أنا الفأل" ، إحدى قصص

Bibliotheca Alexandrina



0424549

